





New York University  
Bobst Library  
70 Washington Square South  
New York, NY 10012-1091

Phone Renewal:  
212-998-2482  
Web Renewal:  
[www.bobcatplus.nyu.edu](http://www.bobcatplus.nyu.edu)

DUE DATE

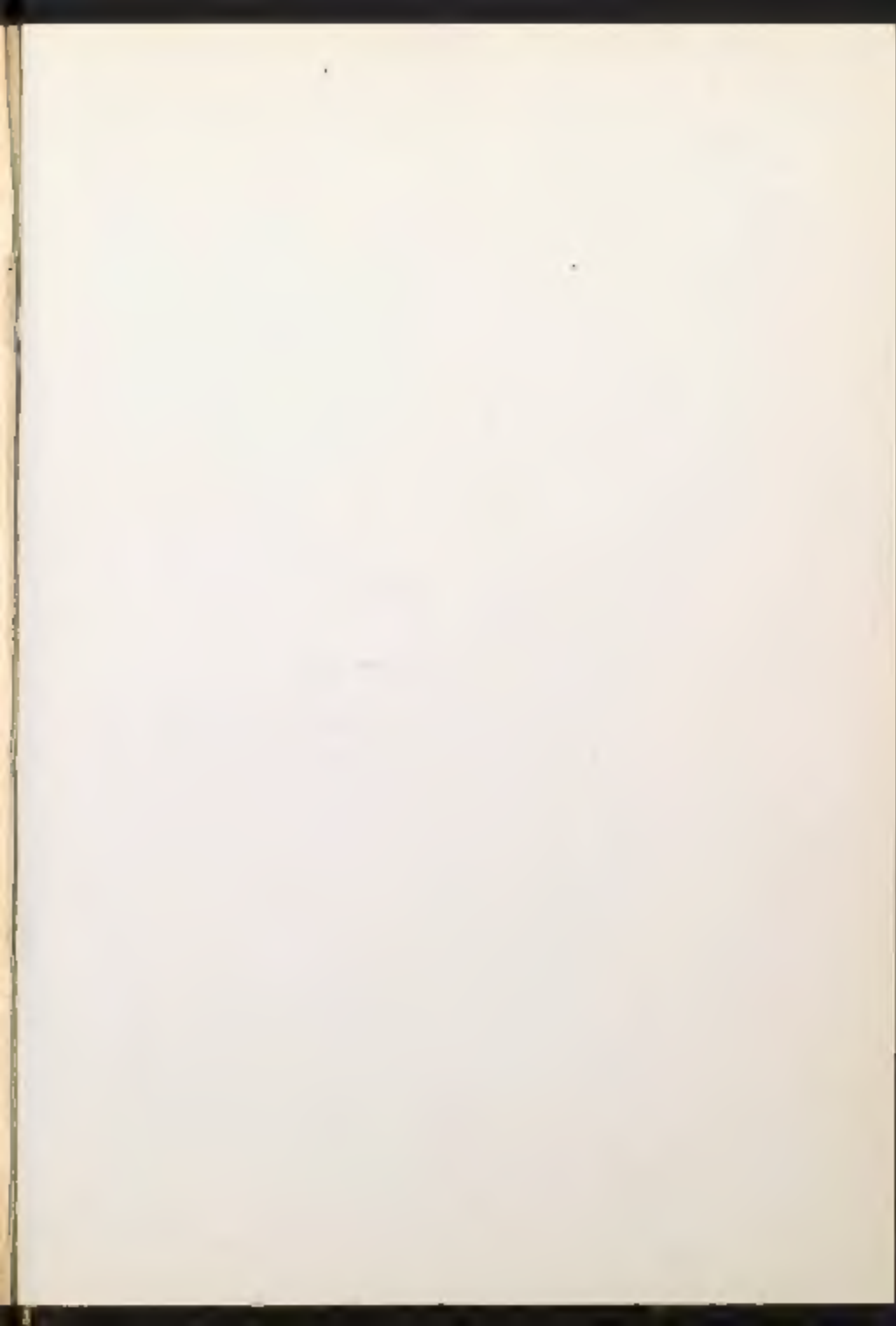
DUE DATE

DUE DATE

\*ALL LOAN ITEMS ARE SUBJECT TO RECALL\*

PHONE/WEB RENEWAL DUE DATE

THE END OF THE WORLD



رسالة

التوابع والزوابع  
*front*

RECEIVED

Ibn Shāhid, Abū 'Amir Ḥamad

ابن شهيد الاندلسي

Risālat al-Tawābi' wa-al-  
zawābi'

# رسالة النوابغ والزوابغ

مصحفها، وحقق ما فيها، وشرحها، ورواها،  
وسدرها بدراسة تاريخية أدبية

بمطبع البستمان

N.Y.U. LIBRARIES

مكتبة صادر  
بيروت

الحقوق محفوظة للمؤلف وللمكتبة صادر

PJ	<del>PJ</del>	Near East
7750	<del>7750</del>	<del>PJ</del>
.I2716	<del>.I273</del>	<del>7750</del>
.R5	<del>.R5</del>	<del>.I27</del>
1951	<del>1951</del>	<del>.R5</del>
C.1	<del>C.1</del>	<del>1951</del>
		<del>C-1</del>



# الكتاب الاول

ابن شهيد  
الأندلسي

حياته ، أدبه ، رسالة التواضع والزواجر

١٩٩٢



## ابن شهيد

٣٨٢ - ٤٢٦ هـ (٩٩٢ - ١٠٣٤ م)

في الدولة الناصرية

هو أبو عامر أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن مروان بن أحمد بن عبد الملك بن شهيد . ثم من أشجع وهم بطن من غطفان . وينحدر من سلالة الوضاح بن رباح الذي كان مع الضحّاك بن قيس القهيري يوم مرج راهط . وكان جده أبيه أحمد ابن عبد الملك وزير الخليفة الأموي الناصر عبد الرحمن الثالث ، وأول من تسمى بذي الوزارتين في الأندلس .

ولد أبو عامر بن شهيد بقرطبة في خلافة هشام بن الحكم ابن عبد الرحمن الناصر ، والأمر يومئذ للحجّاب محمد بن أبي عامر الذي حفر على الخليفة الناصر ، واستبد بالامر دولته ، ونلقب بالمنصور كما يلقب الملوك . وأثبت ابن بسام في الذخيرة رسالة لابن شهيد خاطب بها المؤمن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن محمد بن أبي عامر ، يذكر فيها ما لعمريين من الفضل عليه وعلى أبيه ، فتعظم منها أنه المنصور استعمل والده على الجهة

الشرقية تسعة اعوام بشدمير وبلنية ، ولم يصرفه عنها حتى ستم  
 العمل والتس الاقامة ، فأقاله على رضاه . فشخص الى قرطبة ،  
 ومعه اربع مائة الف دينار فاضة ، ومائة الف من ذهب آتية ،  
 ووثائق خمس مائة زوج مكفسية ، ومائتا نسمة من رفيق الصقلب  
 منتقاة . فكتب اليه يعرض عليه ما جاء به ، ويحكمه فيه .  
 فجابوه يقول : « لو اردنا اخذ ما اعطيناك ، ما قدماك .  
 ونحن نخاف ان تستخفي نفقتك ما استقتة ، وتأتي على ما  
 اجنبته ، بارتفاع ثمن الطعام ، وانك لم تترك منه على ذخيرة .  
 وقد حكمتك بالقي مدي بشقرون من فميج وشعير تستظهر  
 بها على زمانك ، فقيدها من أهراء فلانة لقرها من مكانك ،  
 ان شاء الله . »

فهذا الرضى من المنصور كاف لان يجعلنا على منزلة ابي  
 مروان عنده ، وما له من الخطوة والكرامة في دولته ، وعلى  
 النعمة التي كان ينقلب كائنا في احضانها منذ طفولته . ونفيع في  
 مكان آخر من الرسالة عبارة الحاجب به ، وعظله عليه ، اذ كان  
 في الخامسة من سنه . فقد جرى به اليه في يوم مطير ، وبين  
 يديه نقاعة كبيرة ، وراة ينظر اليها نظر من يشتهيها ، فأمره

١ ملالة : كنى بها عن نسبه قريبة او بدة .

بان يأخذ ويعض فيها ، فضاقت فيه عن الاحاطة بجزء من اجزاء  
 كثرها ، وصغرت كفه عن القبض الا بمخفق من مخانق الخفايا ،  
 فتناولها المتصور منه ، وجهل يقطع له بقية ويعطيه . ثم دعا  
 ولده عبد الرحمن الناصر ، فقال له : « احمله الى امك . »  
 فأخذ بيده ، ومعه رجل يكنى ابا شاكرا ، فامتنع الطفل عن  
 السير من المطر ، فصاح بهما المتصور : « احملاه على اعناقكما . »  
 فلفتا اعضادهما ، ووصلا اذرعهما باعناقهما ، واقلتا الى زوج  
 الحاضب ، فأجلسته على سريره ، ولاطفته ، ثم امرت له باربعة  
 آلاف درهم : الف عنها ، وثلاثة آلاف عن بعلها . ويخبرنا ابن  
 شهيد انه كان يأمل ان يوزعها على الخدمة والعمال من الصبيان  
 وصبايا الجيران ، فصادره عليا ابوه ، ففرق منها على حاشيته ،  
 وأشار بحمل الباقي الى خزائنه . فلما بلغ المتصور ذلك ، بعث  
 اليه بخمسمائة دينار ، واقسم على ابيه بحياته الا يمنع منها ،  
 فتصرف فيها على هواه .

ويذكر لابنه عبد الملك المظفر يداً عليه وهو ابن ثاني  
 سنوات ، والمظفر يومئذ ولي للعهد ، لان المتصور توفي سنة  
 ٥٣٩٢ ( ١٠٠٢ م ) وابو عامر بن شهيد في نحو العاشرة من  
 عمره . وذلك ان والده ابا مروان زعم في الدنيا ونسك ،  
 ونظر الى الآخرة بعد ابتلاه من مرض ألم به . فأشاح بوجهه عن

الجاه والشهوات وهذا من راحتيه . وبدأ له ان يصدر ولده عن  
 مشاوع الحياة العذبة ، فخلق له شقة ، وتزوج عنه ثيابه الحريرية ،  
 واللبس مدارع الكتان ، وحمله على التفتش وشطف العيش .  
 فضايق الصبي ذوعاً بحضنة أكره عليها ، وكانت امدح نازلة تزات  
 بصوته ، وافتلق حادثة سببت روثق بهجته ، على حد تعبيره .  
 فذات يوم راى رامح الورد ابن ماسنة يعود والده ، فسأله عن  
 حاله ، فكان جوابه شجياً وعميلاً ، فاسترجع أخيراً المظفر  
 خيره ، واستقدم اليه . ورامح به فألبس ثياب الحرير ، وضخ  
 بالخليب ، وحمله على فرس كريم . وأتبع ذلك الم دينار في  
 طبق ، وعقد له على الشريطة ، لكي لا يحسن لآبيه سيلاً عليه ،  
 فكانت السنة اروع لحظة ، كما يقول .

وليت لو عمر متصلاً بالمظفر بعد وفاة آبيه المتصور وانتقال  
 الأمر اليه ١٣٩٣ هـ . ولكن ليس لدينا من أخباره في عهد  
 هذا الأمير ، يستحق الذكر . وكانت ولايته سبع سنوات ،  
 وتوفي سنة ١٤٣٩ هـ ١٠٠٨ م . ومع ان ابن شيد بلغ رتبة  
 الوزارة في الدولة العمانية ، إلا انه لم يصل الى منزلة الكتابة  
 في الديوان ليقتب الوزير الكاتب ، على سنة تشوفه الى بلوغ  
 هذا الشرف اسوة بغيره من الوزراء الادباء . ويجوز ان نقل  
 سمعه فعد به عن الكتابة لأمير ، كما فعد بالجاحظ عنها اخراط

جعوظ عينيه ، وبأبي القسم ابن الأسيلى ودم انفاء ، ويقول في ذلك : « اذ لابد للملك من كاتب مقبول الصورة تقع عليها عينه ، واذا ذكيت سمع منه حسد ، وانفذتني لا ندم انفاه عند مقاربتة له . »

وصار الملك بعد المظفر اخيه عبد الرحمن الناصر ، فجري كآخيه وأبيه ، في الجهر على الخليفة هشام بن الحكم ، والاستقلال بالأمر دولة . ثم ضمت نفسه في الخلافة ، بعد شهر من ولايته ، ولم يكن هشام أولاد ، فطلب منه ان يوليه عهده ، فعمل . فسخط الأمويون على الخليفة الضعيف لأخراجه الإمامة من أيديهم ، فخلعوه وسجنوه ، وديعوا محمد بن هشام الماردي . من حفدة عبد الرحمن الثالث . وكان الناصر في طابطة ، فلما بلغه الخبر فقل إلى مرضية ، ولكنه لم يجرؤ على دخوها لأن جيشه تحلى عنه ، والعقب أخذوا يجرئون الناس عليه . وكان يلقب بالشنحول أو الشنجول (Sancho) وهو تصغير سنشو أو سانجو ، لأن أمه أميرة أسبانية ، وأبوه سانجو إمرأته ملك

---

« قال ابن بداء في الذخيرة ان محمد بن عبد الرحمن المستكفي الخليفة الاموي ، استكتب ابا القاسم ابن الأسيلى مد كتبه الوزير بن برد ، ومع كونه جانياً من البلاغة ، لأنه كان على طريقة المصنفين المتكئين . مد بحر في اساليب الكتاب المصنوعين ، فزهد فيه . »

قشتالة او ملك النافار ، كما يقول دوزي ، فكلاهما كان يحطب  
 ود الخاحب المتصور ، ويرغب في الازدلاف اليه . فلم يسع  
 الفقهاء أن يسلبوا مقاليد الخلافة الى الشنجول ، وهم يرون فيه  
 شائخه الصغير وابن ملك الاسبان ، فما زالوا يتفنون به حتى  
 أثاروا الحفاظ عليه ، فكرهت نفسه البقاء ، وأحب الانتحار  
 فلم يتح له ، لأن المهدي أدركه بوزيره فقبض عليه ، واحتو  
 رأسه ، فزال توتنه الدولة العاربية سنة ٣٩٩ هـ ( ١٠٠٩ م ) .

#### الفتنة

غير ان محمد بن هشام لم يستقر ملكه على حال لأنه جاع  
 البربر ليلهم الى العاربيين ، فاجتمعوا بظاهر قرطبة ، فأثروا  
 به ، وبايعوا سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الثالث  
 الناصر ، وتسمى بالسمعين . فقامت الفتنة بين الاميرين ، واتسعت  
 مباديها ، فعزا البرابر قرطبة ، فاستولوا عليها بعدما قتلوا  
 خاقاً عظيماً منها ، ودخلها السمعين في ختام امانة الرابعة للهجرة ،  
 وهرب المهدي الى طليطلة يستنصر الاسبانين ، فأمدوه بالعساكر ،  
 فنهض بهم الى قرطبة ، فامتلكها وهزم السمعين والبرابرة . ثم

١ يقول بروكمن انه ملك النافار .



عاد هؤلاء إلى محاربته، فخشي القرطيون من اقتحام البربر عليهم،  
 فثار الصقالبة، فأخرجوا هشام بن الحكم من السجن، وجددوا له  
 البيعة، على أمل أن يعتصموا به من البرابرة، وقتلوا المهدي  
 تخلصاً من الفتنة التي أثارها عليهم. ولكن المسلمين استمر على  
 حصار قرطبة حتى اقتتعا غزوة سنة ٤٠٣هـ (١٠١٣م) فقتل هشاماً،  
 وتولى مكانه، وتغلب البربر على الأحكام بعدما انتهت  
 العاصمة وحرب أجمل قصورها، وأصبحت مثلها المدن والقرى  
 في جوارها.

وكان علي بن حمود الأدرسي قد جاء الأندلس من المغرب،  
 فدعا البربر إلى مبايعته، فأجابوه لما للادارة من الكرامة عندهم،  
 فدخل قرطبة سنة ٤٠٧هـ (١٠١٦م) فقتل المسلمين، وتلقب  
 بالناصر. وثار عليه خيران العقيلي صاحب المشرقة، والمذر  
 ابن يحيى النجدي صاحب مرقطة، وبياع عبد الرحمن الرابع،  
 من عقب الناصر عبد الرحمن الثالث، فتلقب بالمرتضى. واستقام  
 الأمر لعلي بن حمود نحو ٤٠٤م إلى أن قتله مقلته في الحمام  
 سنة ٤٠٨هـ (١٠١٨م) فقام بالامر بعده أخوه القائم، وتلقب  
 بالثامون؛ فجمع خيران والمذر الناس، وفيهم رجال الدين،  
 فصدفوا بيعة المرتضى، وصبوه شقيقة بشرقي الأندلس، ثم  
 ساروا به إلى غرناطة، وعليها زاوي بن زيري من حزب فاسم

ابن حمود ، فرفض المبيعة ، وقتلهم ، فانفق المنذر وخيران على  
خذل المرضي لأنه ابى ان يتول على مطالبهما ، ففاوضا ابن  
زيري في ذلك ، ثم انهزما برجالهما ، فقاتل المرضي حتى صرع  
كثير من اصحابه حوله ، وانكشف عنه الباقون ، فخاف ان  
يقبض عليه ، فولى الى وادي آش ، فلحق به رجال خيران  
فدبحوه سنة ٤٠٩ هـ ( ١٠١٨ م ) .

واسنوى القاسم بن حمود على العرش مدة اربع سنوات ،  
حتى جاء من طنجة بجي ابن اخيه علي بنارعه الملك ، فاستولى  
على قرطبة سنة ٤١٢ هـ ( ١٠٢١ م ) وتلقب بالعتلي ، وور  
الأمون الى اشيلية فاستجاش بعض البرابرة ، ثم رجع الى  
قرطبة سنة ٤١٣ هـ وملكها ، وعرب العتلي الى مالقة ، وتغلب  
على الجزيرة الخضراء ، واسنوى اخوه ادريس على طنجة وهي  
حصن للأمون وراء البحر .

ثم ثار اهل قرطبة على الأمون واصحابه البربر المستبدين  
بالاحكام سنة ٤١٤ هـ ( ١٠٢٣ م ) فخرج الخليفة الى اشيلية  
ومنها الى شربش ، وباب القروطين عبد الرحمن الحامس اخا  
المهدي ، وتلقب بالمنظور ، ولكنه لم يملك سوى سبعة اربعين  
يوماً حتى قتله جماعة من الشعب ، فخلقه محمد الثالث المستكفي  
ابن عبد الرحمن بن عبيد الله ابن الخليفة الاموي عبد  
الرحمن الناصر .

ولم يلبث البرابرة ان تخلوا عن المأمون بن حمود ، وبايعوا  
ابن اخيه المعتلي سنة ٤١٥ هـ ، فزحف الى عمه واعتقله ، وجاء  
به الى مائقة .

ثم خلع اهل فرطية المستكفي سنة ٤١٦ هـ بعد سنة عشر  
شبراً من ولايته ، وجددوا بيعه المعتلي فاستعمل عليهم ابن  
عصاف ، وهرب المستكفي الى النهر ومات هناك .

وانتفضى القرطبيون سنة ٤١٧ هـ ( ١٠٢٦ م ) على المعتلي  
وصرفوا عاهله عنهم ، وبايع الورد ابو الخزم جهور عبيد جباغتهم  
مشم بن محمد اخي المرفضي ، وكان ملازماً في النهر عند ابن  
هود . فلما انتهى اليه خبر البيعة انتقل الى البراءة سنة ٤١٨ هـ ،  
ونلقب بالعتد بالله ، واقام مقرراً في النهر نحو ثلاث سنوات ،  
حتى اشتدت الفتن بقرطبة بين رؤساء الطوائف ، فانفقوا على  
استدعائه ، فجاء العاصمة آخر سنة ٤٢٠ هـ ، فاقام بها حتى خلع  
الجند سنة ٤٢٢ هـ ( ١٠٣٠ م ) ففر الى لاردة ، ومات بها سنة  
٤٢٨ هـ فانقطعت به الدولة الاموية .

واستبد بالحكم بعده في فرطية العميد ابن جهور ، غير ان  
المعتلي بقي يردد العساكر لحصارهم الى ان اسلمت له الحصون  
والمدائن ، فعاد الامر اليه حتى قُتل سنة ٤٢٦ هـ ( ١٠٣٤ م )  
وهو يحارب القاضي محمد بن عباد الناصر باشبيلية ، فذهبت بواتره

سلطة الدولة الحمدانية العلوية عن قرطبة ، وقامت حكومة  
الجماعة الأرستقراطية ، وعلى رأسها أبو الحرم جهور بن محمد  
ابن جهور من ملوك الطوائف .

ابن شهيد والمؤمن

فهذه الفئة العبياء التي نفاذت الأندلس طوال خمس  
وعشرين سنة ، حتى افضت الى تقطيع اوجاعها ، لم يبلغ البنا  
خلافها من اخبار ابي عامر بن شهيد سوى نبذة متفرقة لا يتألف  
منها بحث منساق في حياته ، فرأينا ان نذكر ثلثاتها بما نستطيع  
استخلاصه من شعره ونثره مستعنيين بعالم التقنيات السياسية التي  
مرت به بعد وفاة الناصر بن ابي عامر سنة ٣٩٩ هـ : فان  
رسائله الى عبد العزيز المؤمن بن الناصر تدلنا على انه لبث في  
قرطبة لا يرحلها ، مع ما نال اولياء نعمته من غير الدهر ،  
فانزعجوا عن دار ملكهم ، ونفروا في البلاد الأندلسية ،  
فذهب المؤمن الى الجهة الشرقية من بلنسية وتدمير ، واستقر بها ،  
فلم يغفل أبو عامر عن مكاتبه ، والاشادة بافضال العامريين عليه  
وعلى ابيه . ويرجو منه ان يصرف له ضيعة كان وزير والده  
قد وعده بها ، فحالت الفتن دون الجواز وعده . ويضم الى  
الرسالة قصيدة طويلة في مدحه ، يذكر بها الفئة ومقتل الناصر

وانتشار الفوضى بعده ، وبحرجه على استرجاع الامر ، وكشف  
الغمائم ، متبشراً بأنه انتضى عزيمة ماضية لاحت بوارق  
معدتها في انتصاره على السودان اذ ضربهم بالحقالة البيض :

من فتية قد أسيلت  
ظلماتها بيد المظنة

عنيت من احلامنا  
وكانها افادت حمام

وتضاءلت اجرامنا  
فيسا بتويفر الجرائم

ونحوك فيها الذن  
في الرأس ، وابن المنجد راغم

وأدار كل صغير قدر  
المستنهي أروحي العظام

فكاننا غمي ثنا  
ق' على العسى ، في ظل عنة

---

١ الارحم : جمع الرحي .

حتى انتفى عبد العزيز  
عزيم من صدر عازم

ضرب الأعاجم سودها  
بالصيد من بيتي الأعاجم<sup>١</sup>

فاستجفلوا فكانما  
ضرب الثعالب بالخرام

وعباً يؤتمن دعي  
في الحديث والقدام

بدأت أوائله وعا  
د الكشم غاشية الغيام<sup>٢</sup>

لا تترككن حرم الزمان  
على خطي تلك الصوارم

وارم الخطوب بمثلها  
عزماً ، فأت بها مصام

ونلتى جواباً من المؤتمن يدعو فيه الى الالتحاق به ، فرد

---

١ بالصيد : في الامل باليد .

٢ الغيام : الظلمات .

عليه معتذراً لأنه لا يستطيع هجر قرطبة لتعلق قلبه بها :  
 « وقد كان أقلُّ حقوق مولاي أن أقف ببابه ، وأخيم  
 بفنائه ، وأهدي إليه الشكر عتقاً ، وأنثر عليه المدح نضاً .  
 ولكني ممنوع ، وعن ارادتي مغموع ؛ يملكني سلطان قدير ،  
 وأمير لبس كمنله أمير : شيء غلب صبر الانقياء واستولى على  
 عزم الأنبياء ، وهو العشق : باطلٌ يلعب بالحق لئيبين ضعفاً  
 البشر ، وتلوح قدرة مصروف القدر . والذي أشكو منه  
 أغرب الغرائب ، وأعجب العجائب : بنتٌ شاعِلٌ ، وبسرح  
 قاتل ، وصبر بغض ، ودمع بغض ، لمجوزٍ بحراء ، سهكة  
 درداً<sup>٢</sup> ، تدعى قرطبة :

عجوزٌ ، لمتممَّ الحياء ، فانية ،  
 فا في الحشا صورة الغانية  
 زنت بالرجال على سبيلها ،  
 فبا حبذا همة من زانية !<sup>١</sup>

فقد أقعدته قرطبة عن السفر إلى ابن من رفعوا قدره وفقد  
 أبيه ، فاجتأز بتدبيج الرسائل ، وفرض أشعار الغزل والمدح ؛

١ نضاً : خالصاً .

٢ سهكة : أي ذات رائحة كريهة . درداً : نعت استعظما .

ولعله لم يكن يتوقع له النجاح المأمول ، فلم يشأ ان يغزو  
 نفسه في الذعاب اليه ، والفتى في كثرة الأندلس كالرباء العاصف  
 تجتاح الكبير والصغير ، فأثر البقاء في بلده يستقبل خليفة ويردع  
 خليفة ، ساعياً لان يتصل بكل منهم ، على أمل ان يستعيد ما  
 كان له من سابق العز في الدولة العاربة .

عند المستعين

ولكن ليس في اخباره وآثره ما يدل على اتصاله بالمهدي فأنزل  
 مولاه الناصر . ومن الطبيعي الا<sup>١</sup> يلقى حظوة عنده ، فينبعد  
 عن القصر مدة خلافته الى ان يتم الامر للمستعين ، وتمهيداً للفتنة  
 الاولى في قرطبة بعد مقتل المهدي ، ومقتل المؤيد هشام بن  
 الحكم ، فنسعه بدمع المستعين بقوله :

لعل نسيم الريح فأنى به الصبا  
 بنشر الخزامى والكبياء المعبق<sup>١</sup>  
 كأنه عليها نفحة عيشية<sup>٢</sup>  
 أنت من جناب المستعين الموفق<sup>٣</sup>

١ الكباء : عود البحر أو ضرب منه .

٢ عيشية : نية الى عبد شمس الى الامويين .



فقلت الذي قد نلت ، اذ ليس للعلي  
سواك ، كأن الدهر للناس مُنتقى

على ان خصومه وحساده من الأدياء والوزراء لم يجمعوا عن  
الذيل منه لدى الخليفة الأموي ؛ حتى انهوه بشعر قاله ، فأنكروه  
عليه ، أو شكوا فيه ؛ وفي رسالة النوايع والزوايع بشير الى  
ذلك فيقول : واما ابو محبته ، فانتضى علي لسانه عند المستعين ،  
وساعدته زرافة استهواها من الحاسدين ؛ وبلغني ذلك  
فأنشدته شعراً :

وبلغت افواماً نجيش صدورهم  
علي ، واني منهم فارغ الصدر  
أصاحوا اتي قوي ، فأسمت معجزاً  
وغاصوا على سرتي فأعجبهم امري  
فقال فريق : ليس ذا الشعر شعراً  
وقال فريق : أئمن الله لا ندري ،

ويبدو ان حالة سادت عند المستعين ، فأخذ يعاتبه على طريقة  
المنبي في عتاب سبب الذنوة بقصيدته ، وراحراً قلباه ؛ فإذا هو يشقى  
بحب الأمير ، ويشكو الحساد ويفأخروهم ، ويخذره من الندم اذا  
رحل عنه اتي قوم آخرين يكرمونه ، ويرغون حق العلي فيه .

والظاهر انه يلعب الى علي بن حمود الذي جاء الأندلس من  
المغرب لينتزع الخلافة من المروانيين :

لئن وردت سبيلا غيبا ثلثة  
لثقتن علي السن من ندم

في خلافة الحموديين

بيد انه لم يدمع عند الحموديين في إيمان دولتهم، فان سماعات  
الحصوم والحداد أقضت به الى السجن ، إما في عهد علي بن  
حمود أو في عهد أخيه القسيم . وله قصيدة اتبها الفصح بن  
خافان في كتابه ، مطلع الانفس ، يشكو بها ما لحقه من  
الضيم والمهانة عند الخليفة الملوي ، منها قوله :

فريب يحفل اغوان بعبد  
بجود ويشكو حزنه فبيعد  
نعم ضره عند الامام ، فيا له  
عدوا ، لآباء الكرام حمود

ثم لم يلبث ان استقامت اموره في زمن المعتلي بجي بن علي

---

١ حمود : فاعل نعم .

( ٤١٣ هـ ) يدل على ذلك كثرة مدائح له . ولم يطل حكم  
 المعتلي في قرطبة ، فان عمه القاسم المأمون استعادها منه سنة  
 ٤١٣ هـ ، كما مر بنا ، واكرمه على الفرار بسريه الى مالقة ؛  
 فكان ابن شهيد يكتب اليه بقصائد المدح والتهنئة ، منها قصيدة  
 ينشئ فيها بانتصاره على السودان في وقعة اشبيلية :

اجريت للزنج فوق النهر نهر دم  
 حتى استحل سمه جلست شققا

ولما ثار اهل قرطبة على المأمون وقتلوه ، وبايعوا الامير  
 الاموي عبد الرحمن المستنير ، وجد به ابو عامر في كرتيا في  
 الثالثة والعشرين من عمره ياتمه وبأس ياديه ، ويرفع قدره كما  
 رفع اقدار غيره من الوزراء بقبايني مروان ، غير انه لم يملك  
 سوى سبعة واربعين يوماً حتى قُتل ، ويومعه بعده المستنير ؛  
 وليس لدينا ما يدل على اتصال الشاعر بالخليفة الجديد ، وانما  
 نعلم انه لم ينقطع عن مكانه المعتلي ، وربما كان يكتسب المؤمن  
 ايضاً ؛ وله قصيدة ينظم فيها من بني امية ، ويرجو الخير عند  
 الهاشمين بني حمود ، وقد ازمع على الخروج من قرطبة لاحقاً  
 ببحس بن علي في مالقة ، يقول فيها :

لئن اخرجني عنكم ثر عصبه  
 ففي الارض اخوان علي اكلام

وإن عشت حتي أمية عندها  
فهاء على ظهر الحجة هاشم

موفته الاخيرة

ولا نحسب انه هجر قرصبة طويلاً ، لانه لم يكن يطيق  
الابتعاد عن ملاهيها ولذاتها ، فجميع اخباره واشعاره صادرة  
عنها ، وإن لم يبلغ اليها ما يظننا على علاقته بالمعتد آخر  
الخلفاء الامويين . ولا ما كان من امره بعد عودة الحكم الى المعتلي ؛  
وإنا نعلم انه اعتل في آخر عمره ، فلو لمه الداء بضع سنين حتى  
غلب عليه الفالج في شهر ذي القعدة من سنة ٤٣٥ هـ وذلك  
نتيجة انغماسه في حياة الراحة والترف ، وإطلافه العنان لشهوات  
النفس ، وإدمانه بمجالس الشراب ، واجهاده الفكر والاعصاب  
في الظلم والتأليف . ولكنه لم ينقطع عن الحركة أصلاً ،  
فكان يشي الى حاجته معتمداً على خصا او على انسان ، الى قبل  
وفاته بعشرين يوماً ، فانه صار ينقل في المحفة ، ولا يحتمل ان  
يحرك لمعظم الاوجاع ، مع شدة ضغط الانفاس ، وعدم الصبر  
حتى تم بقتل نفسه ، وفي ذلك يقول :

١ هـ : تعني هذه . تألمه إشارة الى الموت ، وهما لثنييه .

أَنُوحَ عَلَى نَفْسِي وَأُنَدِبُ ثَلِيهَا  
إِذَا مَا فِي الضَّرَاءِ أَزْمَعْتُ قَتْلَهَا

رَضِبْتُ قَضَاءَ اللَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ  
عَلَيَّ وَاحْكَامًا تَبَيَّنَتْ عَدْلَهَا

أَظْلَمْتُ فَعَبِيدَ الدَّارِ تُجَنِّبُنِي الْعَصَا  
عَلَى ضَعْفِ سَاقِي أَوْ هِنِ السَّقَمِ رَجُلَهَا

ومع ذلك لم يمتثل لسانه ، ولا انقطع عن قول الشعر ،  
فكان يرسل به أصدفاده من الوزراء والأدباء . وقد أوصى أن  
يُدْفَنَ بِجَنْبِ حَبِيبَتِهِ أَبِي الْوَلِيدِ الرَّجَّائِي ، وأن يُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ  
فِي لَوْحٍ رِخَامٍ هَذَا النُّثْرُ وَالنَّظْمُ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قُلْ هُوَ بِنَا عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مَعْرُضُونَ .  
عَدَا غَيْرِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ شُرَيْدٍ الْمَذَنَّبِ ، مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ  
أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ  
وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ الْيُسُفَ حَقٌّ ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ ، وَأَنَّ الْبَيْعُ حَقٌّ ،  
وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ .  
مَاتَ فِي شَهْرِ كَذَا مِنْ عَامِ كَذَا :

يَا صَاحِبِي ، قُلْ : فَقَدْ احْتَفَا  
أَلْحَنُ ، ضَوْلًا لَمَدَى ، عِلْجُودًا :

فقال في : لن تقوم منها

ما دام من فوقنا الصعيد

تذكركم كم ليلة موء

في ظلها ، والزمان عبيد

وكم مرور همى علينا

سحابة نيرة تجود

كل ، كأن لم يكن ، نقتنى

وسؤمه حاضر عبيد

حصدته كاتب حفيظ

رضه صادق شهيد

يا ويلنا إن تشكينا

رحمة من بطشه شديد

يا رب عفو ، فانت مولى

قصر في امرك العبيد

وما زال كذلك حتى توفاه الله يوم الجمعة آخر يوم من جمادى

الاولى من سنة ست وعشرين وأربع مائة وهي السنة التي قُتل

بها المعتلي ، وكان في الرابعة والأربعين من عمره . قال ابن

بسام : ، ولم يشهد على قبر أحد ما شهد على قبره ، من البكاء

والعويل ، وأنشد على قبره من المراثي جملة موفورة  
لطوائف كثيرة .

لهو وبحون

لم تشغل السياسة ابن شهيد ، على قلبه في نصره وتقربه إلى  
ذوي السلطان ، بقدر ما شغله ملذات فرسية وملاهيها ، فقد كان  
من أولئك الشبان الذين يتهافون على ارتشاف غيبات الحياة  
لا ينورعون من موافقة عثراتهما ، حفاظاً لدين ، أو صيانة لكرامة ،  
وتأتى له من شرف المقام ، وبسطة العيش ما جعله يطلق يديه  
في الهدل والمعطاء ، لاجتناء الضيقات ، وامتنعوا الاحباب والحلان ،  
حتى شارب الاملاق ، وانح لاغداه وحساده ان يصلوا عليه  
السنة حدادا لدى الملوك والامراء ، فأنتم ان حمود في غيابة  
السجن ، وكان يحزنه من اسباب سحقه عليه ، و اراد ان  
يعتذر فلم يستطع انكار ما نسب اليه :

وما خرمه الا مزاح وريقة  
شئت سفيه الذكر وهو رشيد

فان طال ذكرى بالبحون فني  
شقي بظلوم الكلام ، سعيد

وعلى كنت في العشاق أول عاقل

موت بحججه أعين ولحدود؟

وان طال ذكرى بلجون فأخا

عظائم لم يصير من جليد!

وعلمنا أنه بلغ رتبة الوزارة ، ولم يبلغ منزلة الكتابة في  
الدewan ؛ ورسم أن تقل سمعه آخره عنها ، وما كان ينبغي له  
أن ينسى فتكه وعبه ، فإن الملوك يؤثرون في الكاتب العقل  
والرخصة على الغزل والنجون ؛ مع أنه في كلامه على الجاحظ  
أضاف إليه خفة العقل ، وقال أنها قدمت به عن الكتابة ، كما  
قعد به عنها جحوظ عينيه :

« وربما انكر منكر قولنا في شرط جمع أدوات الكتابة  
فقال : وأي أداة نقصت الجاحظ ؟ فنقول : أول أدوات  
الكاتب العقل ، ولا يكون كاتب غير عاقل ، وقد نجد عالماً  
غير عاقل ، وجدلياً غير حبيب ، وقبيحاً غير حليم ، وقد وجدنا من  
ينسب العقل إلى سبل أكثر من ينسب إلى الجاحظ . »

ورأيناه يأتي الخروج من فرجة لقاء مولاه المؤمن في مائدة ،  
مع حبه له ، لأنه لم يصدق فراق تلك المعجوز الزانية ، التي تقود  
إليه خروب المذات .

---

١ سبل : أي سبل بن هارون .



قال ابن بسام في صفة اخلاقه :

« منهم ابو عامر بن شهيد فتى الطوائف ، كان بقرطبة ، في  
وقته وبراعته وظرفه ، خليعاً المنهك في بطلائه ، واعجب الناس  
تفاوتاً ما بين قوله وفعله ، وأعطهم في هوى نفسه ، واعتكفهم  
لمرضه ، وأجرأهم على خالفه . »

وقال فيه ابن حبان :

« غلبت عليه البطالة ، فد يخل في آثارها بضياع دين ولا مروءة ،  
فيحط في هواه شديداً . حتى استقط شربه ، ووهم نفسه رائياً في  
ذلك بما يلذه ، فلم يقصّر عن محبة ، ولا ارتكاب فييحة . »  
وكانت السماء المحضات تتجنب لقاءه ، وتبتعد عنه ، اذا  
رأته ، خشاة ان يتعرض لهن بشعره فيفضعن به . وكان له بباب  
الصومعة من الجامع موضع لا يفارقه اكثر نهاره ، فقام فيه  
ليلة سبع وعشرين من رمضان ، في جماعة من اخوانه ، فاذا امرأته  
من اعيان اهل قرطبة ، اطلت لتوازي بين جواربها ، وآهامها  
طفلتها يرافقها الى المسجد . فلما وقعت عنها على ابي عامر ،  
ارتدت مولية عنه ، وكرهت ان تمر به ، ولكنها لم تسلم من  
معرة لانه ، فقد وآها مقيمة مدبرة ، فراقه منظرها على الخالين ،  
فقال فيها شعراً فضحها به وشهرها ، على غير ذنب منها .

---

« في آثارها : لعيا في ابتارها .

وذكر الفصح بن خاقان عنه في آخر حياته ، فرجا ان  
يكون له فيها كفارة عن ذنوبه ، قال :

« واحب ان الله ارادها تمحيصه ، واطلافه من ذنب كان  
فنيحه ، فطهره تطهيراً ، وجعل ذلك على العفو له ظهيراً ! »

ولم يكن ابن شهيد في مرضه الاخير قد بلغ السن التي تضعف  
بها شهوات النفس ، ونزوات احوالها ، ولا سيما من كان مثله  
جلس هو ، وينتع نساء ، فضل ، على تحكم الفالج بجثمانه ،  
وشعوره العميق بآلامه ، يحن الى الماضي البهيج ، ويشاق العيون  
السواغر ، فيقول ، حين هم بقتل نفسه تخلصاً من الاوجاع :

عليكم سلام من فنى عنه الردى  
ولم ينسَ عينا اثبتت فيه نيلها

ويقول ايضاً في عنه :

وليس عجباً ان تدانت مني  
يصدق فيها اوتي امرآ آخري

ولكن عجباً أن بين جوانحي  
هوى كضرار الجيرة المنطاري

بحر كني والى موت يحفز مهجتي ،  
ويهاجني ، والنفس عند حناجري

ولم يزل قلبه يخفق للحب والлюه ، ونعتاده صوة الشباب ،  
حتى مات .

اسمائه وأهل مودته

هؤلاء الاصحاب منهم الامراء ، ومنهم الوزراء ، ومنهم  
الادباء ، جمعهم قصور قرطبة ودواوينها ، وبجائس سياستها  
وانسها ، وأيام نعيمها وبؤسها ، فكان ابو عامر نقطة الدائرة  
الادبية في عصره ، يرفع الامراء قدره ، ويخطب الوزراء  
صدافته ، وينبأرى الشعراء والكتاب بمساجلته ، واستحثاث  
قريحته . فأخلص الود لمن وجد فيه المودة والاخلاص ، فلم يفس  
العامريين في نكبتهم ، ولا كفر فضلهم بعد زوال نعمتهم ،  
وافراط الامويين عليهم ، بل لبث يشيد بذكركم في شعره  
ورسائله ، وينسى رجوع دولتهم ، ويحضر المؤمن على الثورة ،  
ويطلب الملك المفقود . وكذلك كان شأنه مع المعتلي يحيى بن  
علي بعد استيلاء عمه انامون على قرطبة . وأحب من الأمويين  
المستظهر بالله ، وكان ادبياً شاعراً يمتاز به الادباء ويأنسون بمجلسه ،  
محظي عنده مدة خلافته القصيرة . واختاره مع الحاجب ابي  
عامر بن المظفر مأثورة ، كما يقول ابن حبان ، فان هذا الامير  
لم يهجر قرطبة بعد انقضاء الدولة العامرية ، فضت له بها عيشة  
راضية ، يجتمع اهل الأدب في قصره ، ويشاركونه في لهو ،

ويخلدون بأفوالهم آثاره ، ولا سيما أبو عامر بن شهيد فإنه كان  
ألمحهم بذكره ، وأكثرهم اختلافاً إليه . فمن جملة أخباره معه  
ما رواه ابن حبان من أنه شاهدهم ليلة في مجله ، وطفيلة  
صغيرة عجيبة الخلق كانت تسقيهم ، تسمى أسماء ، عجبوا  
من مكابذتها السهر معهم على صغر سنها ، وحسن قيامها بخدمةهم ،  
فسأل ابن المنذر أبا عامر بن شهيد أن يصفها ، فقال :

أفدي أسماء من نديم  
ملازم للكؤوس ، رائب

فقد عجبوا في السهاد منها ،  
وهي ، آفشري ، من العجائب

فالوا : تحيا في الرقاد عنها  
فقلت : لا ترفد الكواكب

ولم يزل على اتصال به ، حتى استوحش ابن المنذر من هشام  
المعتد بالله . وخشي أن يطلبه بذنوب نسب إليه ، فخرج من  
قرطبة هارباً ، ثم التجأ إلى حصن على نهرها ، فأجاره صاحبه  
حرزة الصدوق ، فأقام عنده في كمد وغصة إلى أن مات .

وأصحابه الوزراء كثروا ، وفيهم طائفة من الأدباء يمدحونه  
ويمدحهم ، ويساجلونهم ويساجلهم ، أمثال الوزير الكائباني

المنيرة عبد الوهاب بن حزم ، « وكان هو وأبو عامر بن  
 شيد خليلي صفاء ، وحليفي وفاء ، لا يتفصلان في رواح ومقيل . »  
 على حد تعبير الفتح بن خاقان . ولم تكن صلته به دون صلته  
 بابن عمه الوزير الأديب ، والعالم الفقيه أبي محمد بن حزم صاحب  
 كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل ، وكتاب طوق  
 الحمامة في فلسفة الحب وصفاته . وكان يتقارضان الشعر ، وينهاديان  
 المدح ؛ فمن قول أبي عامر فيه :

وأنت ابن حزم مُنْعَشٍ من عمارها  
 إذا ما شرفنا بالحدود العوانو

وكتب إليه في علمه يقول :

فَمَنْ مَبْلَغُ عَنِّي ابْنَ حَزْمٍ ، وَكَانَ لِي  
 بَدَأُ فِي مُلْتَأَتِي وَعِنْدَ مُضَائِقِي :

عَلَيْكَ سَلامُ اللَّهِ ، إِنِّي مَفَارِقٌ ،  
 وَحَبْلُكَ زَادًا مِنْ حَبِيبِ مَفَارِقٍ

فَلَا نَفْسَ نَأْبِيئِي ، إِذَا مَا فَقِدْتَنِي ،  
 وَتَذَكَرَ أَبَايَ ، وَفَضَلَ خِلَاتَنِي

---

١ وحبك زاداً : أي وحبك السلام زاداً .

فجابه ابن حزم بأبيات منها قوله :

أي عامر ، ناديت خيلاً مصافياً ،  
يفقدك من دهم الخطوب الطوارق  
وألقيت قلباً مخيضاً لك ، منحطاً  
بوزك - موصولاً للعرى والعلائق  
فإن النجاء قلت : الحمد لله مخيضاً ،  
فمن أعظم النعمى بفناء المصاويق

وكان صديقه الوزير أبو مروان بن الجزيري يساجله في  
القريظ معترفاً بفضائه مع أنه كان يومئذ في نحو الثامنة عشرة  
من عمره ، لأن المظفر عقد له على الشرطة وهو دون العاشرة ،  
وكان أبو مروان من وزراء الدولة - ثم غضب المظفر على  
الجزيري ، فسجنه في المظنجر ومات به مخنوقاً سنة ٣٩٤ هـ  
( ١٠٠٣ م ) وابن شهيد في الثامنة عشرة . فساجلة أي مروان  
له في الشعر ، وهو صبي ، تدل على نبوغه المبكر . فقد كتب  
إليه مرة يسأله عن الورد :

قل للورير الذي بانث فضائله ،  
وقام فينا مقام الفيت فائله ؛  
أواخر الورد ، إذ تجنيه ملتقطاً ،  
أزكى وأعطر نسمراً ، أم أوائله ؟

فأجابه :

يا سيدي ، أُرِجَتْ طيباً شمانك ،  
وشاكيتْ شِعْرَة حُناً رَسَانك  
وشائلاً جَ عما ليس بجعله ،  
ولا الذي كُتِفَ التفصيلَ جاعله  
الوردُ عهداً ونشراً صلوَ عهدك ، لا  
ثاني أو أخيرَه طيباً أو أواله  
ووجهه ، في كلا الحالين ، مُفْتَرَص ،  
ميتان قاطعة جهلاً ، وواضحة

ورث من أصدقائه الورداء أبا عبيد حسان بن مالك ، وزير  
الخليفة المنظمر أيام الفتنة ، فقال فيه :

أفي كل عام مصرعٌ له عظيم ؟  
أصاب المنايا حاد في وقديمي !

ورث من القضاة صغيته أبا حاتم بن ذكوان صاحب المظالم  
في زمن المنظمر وكان قَيمَ نفسه ، ونسب أنه ، كما يقول الفتح  
في مطلع الأتقى ، فقال :

يسيرُ به النعشُ الأغرُّ وحوله  
أبا عبيدُ واحواً للمصائب أقارباً

عليه حَقِيفٌ لِلْمَلَائِكَةِ أَقْبَلْتُ  
تَصَافَحَ شَيْخًا ذَا كِرٍّ أَفَقَهُ تَائِبًا

وَقَضَى أَيَّامَهُ الْأَشْهُورَ ، بَعْدَمَا اسْتَبَدَّ عَلَيْهِ الْقَالِجُ ، وَبَاتَ  
الْمَوْتُ يُلَاحِظُهُ ، فِي نَظْمِ الْأَشْعَرِ وَارْتَاخِ أَيْ أَصْحَابِهِ ، قَالَ ابْنُ  
بَسَّامٍ : وَبَلَغَنِي أَنَّ آخِرَ شَعْرٍ قَالَهُ يُوَدِّعُ إِخْوَانَهُ هَذِهِ الْآيَاتُ :

أَسْتُوْدِعُ ائْتَهُ الْخَيْرَانِي وَعِشْرَتَهُمْ  
وَكُلَّ خَيْرٍ قِي إِلَى الْعَلْبَاءِ سَبَاقٍ  
وَعَيْنِي كَمَجُومِ الْقَذْفِ تَبْرَاهِيمُ  
يَهْدِي ، وَحَالِيهِمْ يُودِي بِأَحْرَاقٍ  
وَكُذْرُ كَيْفًا فِي مِنْهُمْ كَانَ مُغْرِبُهُ  
قَلْبِي ، وَمُكْرِبُهُ مَا بَيْنَ أَطْوَافِي  
اِئْتَهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِمَّا أَخَافُهُ ،  
إِلَّا وَفِي الصَّدْرِ مِنِّي حَرٌّ مُشْتَاقٍ  
كُنْتُ الْبَقِيَّةَ خَانَ الدَّهْرِ الْفَتَا ،  
وَأَيُّ حَرٍّ عَلَى صَرْفِ الرَّدَى بَاقٍ ؟

---

١ الْحَرْقُ : الْفَنَاءُ الْخَفِيُّ الظَّرِيفُ ، وَالْكَرِيمُ الْمُتَّقِي .

٢ نَجُومُ الْقَذْفِ : أَيِ الشُّبُهَاتِ الَّتِي قَدَفَتْ بِهَا شَيَاطِينُ الْجِنِّ ، فَحَرَقَتْهُمْ ، كَمَا جَاءَ  
فِي الْقُرْآنِ .



فَإِنْ أَعِشْ ، فَعْمَلُ الدَّهْرِ يَجْمَعُنَا ،  
 وَإِنْ أَمُتْ ، فَسَيَقْبِهِ كَذَا السَّاقِي  
 لَا ضَيْعَ اللَّهِ إِلَّا مَنْ يُضَيِّعُهُ ،  
 وَمَنْ تَخَلَّقَ فِيهِ غَيْرَ أَخْلَاقِي !  
 فَكَانَ بَرْدِي ، إِذَا مَا مَسَّنِي كِتَابُ ،  
 لَا يَسْلِمُ الْحَبُّ آدَابِي وَأَعْرَاقِي  
 حَتَّى رَمَتْهُ صُرُوفُ الدَّهْرِ عَنْ كَتَبِي ،  
 فَفَرَّقْتَنَا ، وَهَلْ مِنْ حَرِيرِهِ رَاقِي ؟  
 إِنِّي لِأَرْمُقُهُ ، وَالْمَوْتُ يَضْطَعُنِي ،  
 فَأَقْضِي فَرْجَةً لِمَرَدِّ أَرْمُقِي

وكانت وصيته قبل وفاته أن يُدفن بجانب صديقه أبي  
 الوليد الزجاني .

خصومه وحشاه

بلغ ابن شهيد ، في زمانه ، منزلة أدبية بشعره ونوره رفعت  
 قدره ، في قصور الأمراء ، على أقدار أقرانه ، فأوتت إليه جماعة  
 المعجبين به تلتف لفته وتشيد بذكوره ، فناله ما ينال الأدباء من  
 الزهو والاعتداد بالنفس ، فتشكر له جماعة من أبناء طبقته وأهل

حرقة ، وحسدوه على نعمة من خبط العيش يتقلب فيها ،  
 وهمة من توفد الذهن يشتمل عليها : نعمة الأرض ، وهمة السماء ،  
 فراحوا يسعون به لدى الملوك ، ويتقصون شعره وأدبه  
 وأخلاقه ، حتى حبه ابن حمود ، وأعرض عنه المستعين . وقد  
 مرّ بنا كيف اعتدوا من بحونه ، وذاد عن شعره ، وأزرى على  
 حاسديه . وبذكر في رسالة التواضع والزواجع ثلاثة أشخاص لا  
 يأتون من الطعن عليه ، وهم أبو محمد وأبو القاسم وأبو بكر ،  
 فأبو محمد انتفى عليه لسانه عند المستعين ، واتهم شعره وشاك  
 فيه . ولا نعلم من الأدباء من يكنى بهذا الاسم ، وإن صلة به ،  
 غير أبي محمد بن حزم ، وكان صديقه كما ذكرنا ، وليس في  
 أخبارهما ما يدل على تخصيما في بعض الأوقات ، وإنما كان  
 بينهما مكاتبات ومداعبات ، على ما أنبأنا ابن خلكان . ومن  
 معاصري القاضي أبو محمد عبد الله المعروف بابن الفَرَّاحي ويكنى  
 أيضاً أبا الوليد ، تولى القضاء في دولة المهدي ، وقتله الهرير  
 يوم استبلاء المستعين على فرطية ، سنة اربعماية للهجرة ،  
 بحسب رواية الذخيرة ؛ غير أن نفع الطيب يجعل مقتله في سنة  
 ٤٠٣ هـ ( ١٠١٣ م ) فيكون قد أدرك خلافة المستعين الأولى  
 وهو رجل ذو حظ من الشعر والأدب ، ولكن لم نعرف له  
 علاقة صداقة أو خصومة بأبي عامر بن شهيد ، فبالأولى أن يكون

المقصود أبا محمد بن حزم لسلطة لسانه ، وقد يحدث أمثال هذه  
افئدت بين الأدباء ، وإن كانوا أصدقاء .

وليس في التعريف بابي القاسم مجال للاجتهاد والتخمين ، كما  
هي الحال في أبي محمد ، فقد صرح ابن شهيد باسمه في رسالته  
إذ قال : « وأما أبو القاسم الأفليلي ، فمكانه من نفسي مكين ،  
وحبه بفؤادي دخیل ، على أنه حامل علي ، ومنصب الي . »  
وأبو القاسم هذا من أئمة النحو واللغة بالأندلس ، كثير الحمد  
والغرور ، يجادل على الخط ، ويتشبت به معانداً . وخصه أبو  
عامر بكان من رسالته في عالم الجن ، لينتقده وينتقم منه ،  
فأقام له نابعاً سماه آنف النافقة ، وأخذ يناظره ويسمه من كلامه  
حتى أخزاه ، فقال : « وعلت آنف النافقة كآبة » ، وظهرت عليه  
مهاية ، واختلط كلامه ، وبدأ منه ساعشئ بوادٍ في خصاله  
رحمه لها من حضر ، وأشفق عليه من أجلها من نظر . »

على أن الأفليلي ، وإن تحامل على أبي عامر ، لم يكن  
ينكر عليه أدبه ، وبصره بذاعب الكلام ، فقد عرض عليه  
يوماً بعض المتأدبين شعراً له استعمال فيه وحشي اللفظ ، فقال  
له : « تنكش » عن هذا الكلام . فقال : « إن أبا عامر  
يستعمله . » فقال : « يضعه في موضعه ، وهو أدرب منك  
في استعماله . »

وأما أبو بكر فشأنه شأن أبي محمد في الالتباس والغوض ،  
فقد يكون أبا بكر بن حزم ، ولا تعرف عنه شيئاً سوى أن  
أبا عامر صدر رسالة التواضع والزوابع بمخاطبته ، وذكر أنه  
حين سمع كلامه تعجب وقال : « كيف أوتي الحكم حياً ، وهز  
يجزع النخلة فاستقط عليه وطباً جنيّاً ؟ ! » وقد يكون أبا بكر  
عبادة بن ماء السماء ، وهو من مشاهير شعراء فرطية ووشاحيها ،  
لحق الدولة العنبرية والدولة الحمدية ، ويقول ابن شهيد أنه  
توفي بمائة سنة ٤١٩ هـ . وقد يكون الكاتب أبا بكر المعروف  
بأشكباط ، وهو من الذين تقدوا أبا عامر وعابوه باستباحة  
كنوز غيرة . روى ابن بسام أنه عرضت عليه فصول من  
كلامه ، فقال : « فقر حسان إلا أنه عثر عليا » . فوصل خبره إلى  
ابن شهيد ، فكتب إليه بما ملخصه : « أغثوك أبا بكر ، على نظم  
ونثر ، لو إليك كان العمد ، أو مكفك كان القمه ... عرضت عليك  
الدور منظوماً ، فقلت : نعم ما صنعت لو اخترعت ، وما أحسن  
ما أطلعت لو ابتدعت ، معرضاً بالتقصص ، ومشيراً إلى  
التلخيص ... لأقطعن جبالك هاجراً ، ولأؤكن ليلك ماهراً ! »  
وله رسالة إلى أبي قحطم الأفلبي يشكو فيها تغييره عليه ،  
ويعزو ذلك إلى جعفر بن محمد بن قتيح ، فيقول : « فبحث عن

« القصص : التمتع »

طراً عليك من الأزدال ، وحلّ بساحتك من الأعلاج ، فقبل لي :  
 ابن فتح : فأنعمت البحث ، وأعملت لطائف الكشف ، حتى  
 صح عندي أنه كدّ رجفوك عليّ ، وغبر تبرّك لديّ ، فقلت  
 من هاهنا أثينا ، ومن هذه القوس اللثيمة زمينا ، وقصصني مع  
 هذا العليج حلويل .

وكان ابن فتح ينسب إلى بني هاشم ، فتقرب إلى يحيى بن  
 علي المعتلي ، وقدم إليه صديقه أبو القاسم الأفيلي ، ورفع قدومه  
 في حضرته . والظاهر أنه كان يكره أبا عامر ، فاستطاع أن  
 يبعد الأفيلي عنه بما له عليه من الدالة والتأثير . قال ابن شهيد  
 في رسالته : « ولولا أنه منسب إلى آل هاشم ، إلى عصابة  
 أقاتني كرمهم ، وأظننتي تبعهم ، ومُسندٌ ، على العيلات . من  
 أبي جعفر ؟ إلى وزير كان لي وزيراً ، رفرق شرابي ، وأخطب  
 به جنابي ، لأدوت بداره دائرة السوء ، وسرّيت إليها في لثة ،  
 من صغاليك الأحرار ، وصميم الرجال ، فأحرقتها على غارها ،  
 وجعلت عاليها سافلها . . . فأنه الله في قبول هذا الفرد والالتباس

١ الترتب بالكسر : الماء .

٢ أبو جعفر : أي أبو جعفر القماني . كان وزيراً كاتباً لملي بن حمود .

٣ وزيراً : مؤثلاً .

٤ اللثة : الجماعة .

به ، فإنه قد أرا متي لزمه . وهو والفرضي رضيعا إيمان ،  
وقرنا رعان .

والفرضي الذي يذكره هنا ، ويجعله صنوا لابن فتح في  
عدائه وسوء أخلاقه ، هو الوزير الكاتب خالد بن يزيد الكيمياء  
أبو عبد الله الفرضي . وكان الاشتغال بالكيمياء يومئذ غير محمود  
عندهم ، ولا يمد صاحبها من التهمة بدبته وخلقه ، ويجوزنا ابن  
شيد في بعض رسائله أن لدى الفرضي حشائش استغادها من  
كيمياته يستعملها في الشر والفتك . ويقول أنه قصده مرة على  
غير موعد ، فأنكشف له ما يخفي من أمر اشتغاله بهذه الصناعة ،  
فأطلع عليه أحد ثقاه ، فأداعه بين الناس ، فعمد عليه الفرضي ،  
وصار يسعى إلى ضرره . قال :

« وقصده يوماً ، على جبل ينلك الخليفة منه ، لأستريح  
إليه ، وألقي من شبي عليه ، فأنقبته فد خلا بابيه ، وغاب  
بوابه ، فوجدت ، فتار إلي صبي غريب أصبته هنالك ، فأنالني :  
« طال انتظارنا لك ! » وتقدمني ، وسرت ، حتى انتهيت إلى دار  
ذات أجوان<sup>١</sup> ، فدعشها<sup>٢</sup> دحان كتمطع العنان<sup>٣</sup> ، تعبق منها

---

١ قدار : عائر مائة صانع ، كان شوما على قيته ثود .

٢ الاجوان : جمع جونا كالأصا جمع رطب يضم ففتح ، مقردها جونة ،  
وأصبا أفض ، وهي سقط ممشى بجلد ، ظرف لطيب العطار . ويطلق  
على الخاية .

٣ العنان بالفتح : الدخان .

صَلَاتُكَ مِنْ كَوْنِيْعٍ وَكِيْرِيْتِ ، وَنَحْفُوْرٍ وَأَنْزُوْرٍ ؟  
 فَتَذَكَّرْتُ : « يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ ، هَذَا  
 عَذَابٌ أَلِيمٌ . » فَاسْتَشَعَرْتُ الشَّرَّ ، وَأَرْدْتُ الْفَرَّ ، ثُمَّ الْفَتْهُ ،  
 فَإِذَا أَنَا بِأَكْدَاسٍ جَمْرَ ، وَأَلَاتٍ نَبْرَ ، وَأَشْخَاصٍ سَوْدَ وَصْفَرِ .  
 ثُمَّ أَفْضَيْتُ إِلَى بَيْتٍ فِيهِ رِجْدَةُ أَشْبَاحٍ ، كَتَابُ فَبَاطُ الْأَرْوَاحِ ،  
 غَرَابِيبُ<sup>١</sup> ، بِأَيْدِيهِمْ كَلَالِيْبُ ، وَزَادِقُ<sup>٢</sup> . فَدَتَّقَلْتُ مَطَارِقَ ، فَلَمَّا  
 رَأَوْنِي صَاحَبُوا : « فَضَحِكِ الْوَاعِلُ<sup>٣</sup> ، فَاْمُحِّقُوْهُ مِنْ عَاجِلٍ ! »  
 فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى الْمُنِيَّةِ ، وَخُشِبْتُ فَصْلَ الْقَضِيَّةِ ، ضَحِكْتُ  
 إِلَيْهِمْ وَقُلْتُ : « مَحْظَنَتُكُمْ النِّعْمَةُ ، وَلَا هُدْيَتُكُمْ سَبِيلُ الْحِكْمَةِ ،  
 أَهَكَدَا نَعْمَ جَاوُونَ ، وَلَا تَدْرُونَ مِنْ ثَرِيْدُونَ ؟ » قَالُوا : « وَمَنْ  
 أَنْتَ ؟ » قُلْتُ : « مِنْ أَخْطَأَ الْعَصَاثِقُ<sup>٤</sup> ، فَسَحَقَهُ بِالْمَذَقِ ، وَشَقَّ  
 بِيَدِ الذِّكَاةِ ، عَنْ زَهْرَةِ الْأَشْبَاءِ ، فَبَشَّرَ الْآبَاءَ بِالْأَبْءِ . » فَقَالُوا :

- ١ الزنجفور : المعروف أنه يقال له الزنجبر ، وهو معدن مفتت بخاص يعمل منه  
 الحبر الأحمر ، ويستخدم به نوع من القمل ينشئ بالجسد .
- ٢ الأنزروت : صمغ عربي ، ويقال له أيضا أنزروت .
- ٣ الغرابيب : جمع غريب ، وهو الأسود اللون ، والشيخ يهود شيه بالخضاب .  
 : الرزاق : صفوف الناس .
- ٤ الواغل : الداخل على القوم في طعامهم وشرايبهم .
- ٥ الطلاق : الشريم ، وهو نبات له حب كالندس . وشمس غليظ ملآن لنا . يسيل  
 البطن ، واستعمال ابنه خطر . وإنا يستعمل أحسنه مصباحاً ، بأن ينقع بالحليب  
 ويغاط بغيره من التثاقير ، ويصنع منه دواء . وشجر ذو شوك يقال أنه ينفع  
 من الوباء .

« بنار أم براء ؟ » قلت : « بهما جميعاً ، ويهواه . » فأومضوا<sup>١</sup>  
 إليّ ضاحكين ، واستقبلوني معتدلين ، وقالوا : « كِدْتَ<sup>٢</sup> ،  
 والله ! أن تُلْتَمِمْ ، ونكون السواد<sup>٣</sup> المتخترم<sup>٤</sup> ! » قلت :  
 « وأين أبو عبدالله ؟ » قالوا : « انفرد برفق ماء بَيْض<sup>٥</sup> ،  
 ويصقّ دم حَيْض<sup>٦</sup> ، وغرضه استخراج دهن الحجر الكريم<sup>٧</sup> . »  
 فقلت : « نفس<sup>٨</sup> حديث أو قديم ؟ » فتداروا : « أواه ، أواه !  
 على الحجر سقضم<sup>٩</sup> ! » ثم نلظفت<sup>١٠</sup> وخرجت ، نظير في رجلاي ، وقد  
 حقن الله دمي بعطفه ، واستغفني من يدي منيتي بلطفه . ووصفت  
 من استوثقته ذلك بعد أن استكننته : فجانس<sup>١١</sup> وخاس<sup>١٢</sup> ،  
 وكانني أودعت سري رجلاً . واضطفت<sup>١٣</sup> ذلك عليّ ، وأكد ذلك  
 معاملة<sup>١٤</sup> عاملني بها أيام حرب المدينة ، وكانت جهاها ، إذ ذاك ،  
 منبئة<sup>١٥</sup> . أعقبته ورفع السوط على رأسه ، وعض<sup>١٦</sup> الحجل<sup>١٧</sup> على

١ أومضوا : اشاروا .

٢ السواد : النقص .

٣ المتخترم : من أخذته المنية .

٤ الحجر الكريم : أي الحجر النفيس .

٥ النفس : الجبس ، من نقبت المرأة كمنع ، أي حامت .

٦ جانس : طاب النية بالاستقصاء ، وتزد حلال الدور والبيوت .

٧ خاس : غدر وخائن ، واحلف بالعهد .

٨ منبئة : مقصوغة .

٩ الحجل بالكسر : القيد .



سأفه ، وكان الأمير بها أبو أيوب<sup>١</sup> بن المرتضى رضي الله عنهما ،  
وهذه الرسالة كتب بها أبو عامر الى صديقه الموفق ، أبي  
الخير مجاهد أمير دانية ، وذكر فيها أن وطأة الفرضي امتدت  
أيام المستظهر ، فحاول الإيقاع به ، فنتجته شعراً في هجائه ،  
فوقاه الله شره ، ورد عنه أداءه ، ولم تنجح مكيدته عند الخليفة  
لأن ابن شهيد كان مقرباً إليه . ويتنس من الموفق ألا يصغي  
الى وشائاته وأكاذيبه ، فيقول :

« فكيف يصغي الموفق ، أيده الله ، الى رجل عذبه صفته ،  
وبني وبنيه ما قد شرحته وأوضحته لا لبجير من قبول حديث  
هذا الحديث في » ، وأصفته الى كذبه علي ، ولبجير نفسه من  
عادته ، وينظر من وجه فائدته ، يجده انتهى الانقباء ،  
وأضعف الضعفاء ! »

ومن منافيه الأدبه أبو جعفر أحمد بن عباس وزير زهير  
الصفلي صاحب المشرية ، وكان أمير ديوانه ، وكان كثير الصلف  
والنبه ، شديد الأعجاب بنفسه ، فلما دخل زهير فرطية زمن  
الفتنه أظهر أبو جعفر من الكبر وسوء الخلق ما كرهه الناس  
به . قال ابن يسام : « وحسبك من جهله وعجبه أن عاملاً

---

١ أبو أيوب : الخليفة المستعين .

أهل قرطبة الذين فيه منتهاه ، وهم بقية الناس . أيام دخلها  
مع زهير صاحبه ، بأسوا ما عنده ، فحجب كبيرهم أبا عمر بن  
أبي عبدة من غير عذر ، وما عُرِفَ عباس أبوه إلا بخدمة ابن  
عمه ، وتلقاه أريبهم أبو عامر بن شبيب ولم يكن يُحسن  
مستلياً له .

ويحدثنا ابن شبيب عما جرى له معه فيقول :

« لما قدم زهير الصقلي ، فقي بني عامر ، حضرة قرطبة من  
المريّة ، وجّهه أبو جعفر بن عباس وزيره عن لمة من  
أصحابنا ، منهم ابن برد ، وأبو بكر المرواني ، وابن الحنطاط ،  
والطبري ، فسأهم عني ، وقال : « وجّهوا عنه . » فوافاني  
وسأله مع داتة له بسرج <sup>مخاض</sup> ثقل ، فسرت إليه ،  
ودخلت المجلس ، وأبو جعفر غائب ، فتحرك المجلس لدخولي  
وغاموا جميعاً أيّ ، حتى ظنعت أبو جعفر علينا ساجداً للذيل لم  
يُرَ أحدٌ سجدته قبله ، وهو يتوسم . فسألت عليه سلام من  
يعرف حق الرجال ، فردّ رداً لطيفاً ، فعدت أن في أفقه  
نقرة <sup>١</sup> لا تخرج إلا بسوط الكلام ، ولا تراض إلا بمسحيد <sup>٢</sup>

١ على : في الأصل جلي ، والتصحيح لجنة المبرية عن نفع الطيب .

٢ النقرة : الخلاء والكبر .

٣ المسحيد : الحبل المشعك .

النظام<sup>١</sup> . قرأيت أصحافي يصيخون إلى توثقه ، فآلتهم عن ذلك ، فقل لي الحظاظي<sup>٢</sup> ، وكان كثير الانحاء علي<sup>\*</sup> ، جالياً في المحافل ما يسره الأرباب ، أي : دان الوديع حضره قسيم من شعره ، وهو يسألتنا إجادته . « فعلت أي المراد . فاستشدته ، فأنشده ، وهو :

مرضى الجفون ، وثقة في المنطق

فقلت لن حضر : « لا نجهدوا أنفسكم ، فلم المراد . »  
« أخذت القر وكتبت بديعة :

مرضى الجفون ، وثقة في المنطق ،

سبائك جبراً عشق من لم يمشق

من لي بالغ لا يزال حديثه

يدي ، على الأكباد ، جمره مخرق

يبي ، فنبو في الكلام لسانه ،

فكانه من خير عينيه سقي

لا ينشئ الألفاظ من عثراتها

ولو أنها كتبت له في مخرق<sup>٣</sup>

١ النظام : أي تأليف الكلام ، من نظم المؤلف .

٢ المخرق : الصيغة .

ثم قمت عنهم ، فم ألبث أن وردوا علي ، وأخبروا أن  
أبا جعفر لم يرض ما جئنا به من البديهة ، وسألوني أن أحمل  
مكايدي الكلام على حذاره . وذكروا أن إدريس هجاه  
فأفحش ، فم استحسن الإفحاش ، فقلت فيه معرضاً ، إذ  
التعريض من محاسن القول .

والأبيات فيها فحش كثير ، فما يحسن اثباتها ، قال ابن  
بسام : « وليت شعري ما التصريح عند أبي عامر ، إذا سمى  
هذا تعريضاً ؟ ! ولولا أن الحديث متجوز ، والتابع فيه جنون ،  
والكلام ، إذا لاق قباداً ، سهل الطراد ، وإذا قرب بعضه  
من بعض ، لم يفرق فيه بين سماء وأرض ، لما استجرت أن  
أشبه كناني هذا الكلام البارد معرضه ، التبعيد من السداد غرضه ،  
وفد يظن القلم ، ونجم الكلام . »

ونعم من حديث أبي عامر عن الوزير ابن عباس أن الخطاطي  
كان كثير الانحياز عليه ، جالباً إليه في الحافل ما يسره الأولياء .  
وصاحبه هذا هو أبو عبد الله بن الخطاط الضري ، أحد زعماء  
النظم والنثر في عصره . قال ابن بسام : « وكانت بيته وبين  
أبي عامر بن شهيد بعد نكته بأسبابه ، وانحياضه - كان - إلى

---

٩ الخار ، حرف الجفن ، وحقة المدير .

جناحه ، مناقضات في عدة رسائل وفصائد أشرفت أبا عامر بإنه ،  
وأخذت عليه بغروج الغراء .

ولدينا من هذه المناقضات واحدة للبحث علي يصغ بها زعمو أبي  
عامر وخيلاه واعتداده بنفسه ، غائباً عليه اسبابه وتطويله ، قال :  
« الاسباب كفاة » ، والايحاز حكمة ، وخواطر الألياب  
سهام ، يُصاب بها خواسر الكلام ، وأخيراً أبو عامر يسب  
نورا ، ويظيل نظماً ، شاعراً بأنفه . ثانياً من عيقله ، مثبطاً  
أنه قد أحرق السبق في الآداب ، وأوتي فضل الخطاب ، فهو  
بمناقص أساتيد الأدباء ، ويستجمل شيوخ العلية .

ويقول في مكان آخر داعياً إياه لخر معارضته ، متوقفاً  
عجزه عن اللحاق به :

« فأشدّها أخاك الشديدي ، وكلفه على العروضي والقافية  
معارضتها ، وحمله على البين والشدّة مقارنتها ، فسوف قد يقابه  
قبساً ، وضرب في أدبه جرساً ، ويبيّن حظه ، ويعرف  
أمره فضله .

فهؤلاء الخصم الواحد أغضوا مضجع ابن شهيد ، وكذبوا  
صفو حياته السياسية والاجتماعية . وافاقوا حياته الأدبية  
باعتراضاتهم ومناقضاتهم ، فشتوا جانياً من شعره ورسائله ،  
وحملوه على اصطلاح البدع وتصنيف رسالة التوايع والزوايع .

## أدب ابن شهيد

الشاعر

الشعر في بيت أبي عامر عريق النحار ، متلاحق الآثار ،  
قائمه عبد الملك شاعر ، وكذلك جده مروان ، وجد أبيه أحمد  
ابن عبد الملك ، ثم عمه وأخوه شاعران . وهو أجودهم شاعرية ،  
وأخصبهم فريضة ، وأصومهم نفساً ، وأوسعهم شهرة ، ولكن  
لم يجمع شعره في ديوان ليحفظ من الضياع ، أو يجمع ولم  
يصل إلينا ، وإنما بلغنا منه ما رواه ابن بسام في الذخيرة ،  
والنعماني في نسيب الدهر ، والفتح بن خاقان في مطمح الأنفس ،  
والمختري في نفع الطبيب ، وابن خلصكان في رقيات الأعيان .  
فكان لنا جملة صالحة من القصائد والمقطعات والأبيات على  
الختلاف أبوابها وأغراضها ، مع أن الموزعين اقتصروا على  
الاختصار ، فقلما أتينا فصيحة كاملة ، حتى أن ميسنة الطويلة  
التي دون ابن بسام منها نحو ثمانين بيتاً ، لم تخلص إلينا بتمامها ،  
وكان ابن الخطاط يعيبه بتطويل الشعر كما سربنا آنفاً .

بيد أن ما وصل إلينا من شعره كافٍ لأن يطلعنا على صفاته

العامية والخاصة ، ويميز لنا دراسته وإبداء الرأي فيه ، لأنه  
يشتمل على مختلف أغراضه ومساكنه في نواحي التفكير  
والنعيير . فقد طرق من الأبواب والأغراض ما طرقة الشعراء  
في عصره وقبل عصره ، فمدح ورتى وهجا ، واقتخر ونغزل  
وشكا ، ووصف المرأة ومجالس اللهو والشراب ، والطبيعة  
والصيد ، وطلب الجديد في النسخة على أديان القديم دون أن  
يكون له أسلوب شخصي يميزه من غيره ، إذا ذكرت أساليب  
الشعراء . ومن غريب أمره أنه يأخذ على أقرانه تقديمهم قصائد  
المدح بعرائس الشعر القديم ، ولا يرى عظمة في وعوفه على  
الصلوات وذكر الديار والحضي . وهو تزين القصور ، وريب  
الحضارة الأندلسية . هال :

« وما يلزم المدعي لصناعة الكلام . إذا اعتمد وصف حالة ،  
أن ينو في جميعها ، ويكون ما يطلبه من الابتاع والاختراع  
فيها غير خارج عنها وما هو بسيلها ، فذلك أبهى لكلامه ،  
وأفهم للمتكلم به . وأدلى على أن الكلام له ، لا كما شهدته  
يوماً عند ابن حمود ، وقد صدر عن ابن الشرب ، ومدحه عدة  
شعراء ، صدوراً أشعارهم لزيتب والرباب والتميس وقرتنى ،  
وأعجارتها للجود والكرم وبذل اللهي . ولم يلهم أحد منهم  
بدلك الغرض والمغزى إلا في بيتين أو ثلاثة ، فأشدته أنا يومئذ  
من جملة قصيدة أولها :

فريق العبدى من حدة عزيمتك يفرق ،  
وبالدهر مما خاف بطشك أولق<sup>١</sup> .

وهذا النقد جميل يدل على بصره بالشعر ومذاهبه ،  
ولكنه إذا طبق فصبده عنه ، فلا يطابق سواها مثل قوله في  
مدح المؤمن :

عائيتك دارهم ، فقم بعمانها  
نجير الدموع نجيد في هلالها<sup>٢</sup>  
فجنا الزكاتب يا فتيح وجدنا  
دمن دغرة العريب من أدمانها<sup>٣</sup>

فقد غلب الأدب القديم على اسم لائلته ، وأسلكه في نظام  
المعاضدين على عود الشعر التقليدي ، مسار على خطهم في  
الوقوف والبيكة وذكر الدمن والآرام ، واسمه من كلام  
المتقدمين القاذفة ومعاليه ، فحفظ اسمه ، وأوراهم انجسده ،  
والجلل الجوهرة . فكان فيها مشترك الفكر والخيال والتعبير :

---

١ الاولي : الجنون ، وما يشبهه

٢ الدان : المور

٣ الادمان : الرماء والسرير الطمد



أَمَّا الرِّيحُ بِحَوْلِ عَصَاةٍ  
فَحَدَّيْنِ أَخْلَافِ الْغَمَامِ

4

خَلِيلِي عَوْجًا ، بَارِكْ اللَّهُ فِيكُمَا ،  
بِدَارِنِهَا الْأُولَى نَحْيِي فِينَاهَا

ولم يقتصر في التناول على الشائع العام من كلامهم ، بل  
جاوزه إلى الشخصي الخاص الذي يمتدّ أخذه من السرفات  
الأدبية ، فاستباح أنعام البدو وكنوز العباسيين ؛ فإذا رصف  
الصبة على طريقة امرئ القيس ، ودقّر الوحش بجواده ، وأكل  
الشواء مثله ، لا يفهل عن تسبيح الأكل بعد الطعام :

نَسْتَحِبُّ بِالْخُودَانِ مِنْهُ أَكْفُنَا ،  
إِذَا مَا اقْتَضَى مِنْهُ غَيْرُ قَلِيلٍ<sup>١</sup>

والفا فعل ذلك اتباعاً للملك الخليل حيث يقول :

نَمْشُ بِأَعْرَاقِ الْحَيُولِ أَكْفُنَا ،  
إِذَا نَحْنُ فِينَا عَنْ سَوَاءٍ مُضْطَبِّ<sup>٢</sup>

١ الخودان : بنت نورة صفر

٢ المضبب : الاسم المقطع ، والمضوي على حجارة محمّة ، ولم يبلغ في تصفه .

ووصف خيل ابن جندب في الحرب ، فر يخرج من الاغارة  
على أبي الطيب المتني . قال :

وخيل فشى للوغى ببطونها ،  
إذا جهلت بلمرقتى الذهب تولق

قال ابن بسام : « وهذا البيت بما لم يحسن أبو عامر سرفته ،  
ولا بلغ به طبخته ، وهو من قول أبي الطيب :

إذا ولقت ، مشتها ببطونها ،  
كما تمشى في الصعيد الأراغم

وربما حاول اخفاء سرفته بتفصيل المعنى وتطويله ، فقد  
سمع الرمادي ، وهو شاعر أندلسي ، يقول :

ولم أزل أحسى من لبشم أعين ،  
غداة انموى ، عن لؤلؤ كان كامنا

فأعجبه لبشم العيون عن لؤلؤ الدمع ، فقال :

وما فشا بالدمع من سر وجدة  
أنى كاشحيناً من القلوب كواثم

أمره بامالك الدموع جفوناً ،  
لبشجى بما تطوي عدول ولاثم

فظللت دموع العين تجري كأنها ،  
خلالاً مآقينا ، لآلِ ثوابنا  
أبى دمعنا يجري بحافة شامت ،  
ففظله بين الحجاجر ناطقاً  
وراق أغوى متاعيون كريمة ،  
تبسّم ، حتى ما تروق الميام

وليس من غرضنا أن نتقرى سرفات ابن شهيد واحتذائه ،  
وانما أخرجنا أمثلة منها لندل بها على شيوع بنات أفكاره  
وضعف حصانها . ومن ذلك معارضاته للشعراء ، بين قصائده  
على بحور قصائدهم وفواقيها ، ويأخذ من معانيها وألفاظها ،  
فبشبه شوقي من هذا القليل ، أو شوقي يشبهه ، فقد عارض  
رائية ابن أبي ربيعة متوسلاً طريقه إلى صاحبته بقوله :

وأخرى اعتلقنا دونها ، ودونها  
فصور ، وحجاب ، ووالد ، وممشر  
يزينها ماء النعم ، وحققها  
من العيش قبسات الأراكم أخضر  
إذا رامها ذو حاجة ، صد وجهه  
طوى الباترات والوشح المكسر

تَكْفُتُهُ ، وَتَبِينُ فِدْ جَانِ بَحْرِهِ ،  
وَقَدْ جَعَلَتْ أَمْوَالَهُ تَنَكُّرًا ،

إِلَى بَيْتِ لَبْلَبٍ ، وَهِيَ وَرْدٌ بِذِي الْفُضَاءِ  
يُضِيءُ كَعَيْنِ الْمَسْتَهْمِ وَيَتَرَعَّرُ

وَعَارِضٌ بِثِيَةِ الْبَحْثَرِيِّ بِقَوْلِهِ : «عَدَدَهُ دَارُ زَيْنَبٍ وَالرَّيَابِ»  
وَقَدْ قَالَ أَبُو عِيَادَةَ :

مَا عَنِ الرُّكْبِ مِنْ وَفُوفِ الرُّكَّابِ  
فِي مَعَانِي الْعَبَسِيِّ ، وَرَسْمِ التَّنَاطُفِ

وَأَمَّا أَلَمْ يَكُنْ عَدَدُ الْخَارِضَاتِ وَمَا يَشْكَا كَثِيرًا فِي شَعْرِ أَبِي  
عَامِرٍ ، فَمَا يَفْنَى بِدَكِّكَ تَرْكُ بَقِيَّةٍ ، فَلَقَاءُ نَهْمًا لَا مَتَّبِعًا ، وَمَنْ  
أَجْلَسَهَا ارْتَكَبَتْ مَقَازِنَ خُصُومِهِ ، فَرَمَوْهُ بِقَوَارِصِ التَّنْقِدِ ،  
وَشَكَّوْا فِي شَعْرِهِ ، وَغَالَوْا لَحْدَهُ عَنْ غَيْرِهِ ، فِدَافِعٌ عَنْ نَفْسِهِ  
فِي رَسَائِقِ التَّوَابِعِ وَالزَّوَابِعِ ، إِذَا جَعَلَ شَيْطَانُ الْمُسْنِي يَقُولُ فِيهِ :  
«لَسَمْتُ أَنَّهُ يَتَنَازَلُ» ، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ : «لِلضَّرْبَةِ الدَّافِعَةِ ،  
وَالْإِلَاقَةِ الْفَرِيقَةِ غَيْرُ صَدْعَةٍ ، وَالشُّفْرَةِ غَيْرُ قَاطِعَةٍ .»

وَأَيُّهَا أَنَّهُ لَمْ يَتَوَكَّأْ عَلَى الْقَدَمَاءِ وَحَدِيثِهِمْ ، بَلْ تَسَانَدَ إِلَى  
الْمُحَدِّثِينَ أَيْضًا ، وَشَعْرُهُ مَرِيحٌ مِنْ جَاهِلِيِ الْمُسْلِمِي ، وَعَبَّاسِي  
أَنْدَلُسِي ، كَسَدُّ الشُّعْرَاءِ الْوَلَدِيِّينَ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ، وَابْنُ

غداة الطابع اخص في أسلوبه المشترك يعرف به كعبه من  
 ذوي الطوابع الشخصية ، لم يعده النفس الشعري ، والحن  
 المرهف ، وبواعث الوصف ، وحسن التركيب . فإذا قرأت  
 شعره ، وغابت عنك فيه قوة الابداع ، وهجرة الاختراع ،  
 تروك منه انعمت وكتبه الشعور ، دقيقة التصوير ، بحكمة  
 التعبير ؛ فيها من الحياة والحركة واللون والتعمق ما يجيز له  
 الوقوف بجانب الشعراء المحسنين ، على اعتدال درجة الاحسان ،  
 وانخفاضها عن درجة الابداع .

والشعور عنده لا يتعدى الاحساس بالشيء ، ميلا اليه أو  
 نفورا منه ؛ فاعو بالملاحظة المتدفقة ، ولا الروحية العميقة .  
 وتصوره قريب المأخذ ، بغير التلوين ، تكشفه المادة ، ولا  
 تجلو عنه الاجزاء والشخص ، كوصفه لورد في رده على الوزير  
 أبي روان . قال ابن بسام : « وقد صارع أبو عامر هذا محاسن  
 الطبقة العالية البغدادية الصارعة التي بنت فيها قوائمه ، ولذات  
 اختراعه وقدرته ، فصر يندول انمي احسن بصيرته محسناً  
 بحسن مسافه . »

ولغته محدرة الألفاظ ، متينة التركيب ، على غير صلاحية أو  
 خشونة ، وتغلب الصنعة على حيافته . فيكثر من الجناس  
 والارصاد والتصريع ، والتشبيه والاشارات والأمثال واستخدام

معاني أسماء النجوم ؛ غير أن لا تنبؤ عن السمع لأنه لا يسرف فيها ولا يتعقظ . ولم يكن يحيل ذلك التكلف في طبعه ، فجعل سيطران أبي نواس في التواضع والتواضع يقول له عندما سمع شعره : « هته أنت ، وإن كان طبعك محترعاً منك ! »

وقلما تلقى النعومة في نغمة أشعاره ليوغزله على الجلالة ، وشدة الأمر ، واعتيم الألفاظ الفخمة ؛ فأجال الفني عنده مرتفع التبرة في الغالب ، لا يتخفص جرسه إلا في بعض نغماته . وقد أشار إلى ذلك بطبعه النفاذ عندما أراد أن يسطيع النغم الرفيق على مثال أبيه ، بعدما أورد طائفة من مدائحه ومذاخره ؛ فقال ابن بسام : « وأنشد أبو عامر إثر هذا قطعة شعر لأبيه ، هي تبينة في القسم الرابع من هذا التصنيف ، قال فيها :

فَهْـنَ الأبريقُ مني ضِعْكَ ،  
ورأي رِعْشَ رجلي فبكى

ثم قال : فإن استهين الطاعن صارخاً ، وقال : هكذا الشعر ، وهكذا الطمع ، وهذا الماء رقة وعذوبة ، واخواء لطافة وسهولة ، لا ما كتبا فيه من الشائع والقاعق ! قلنا له :

أَذِنَ الدِّيكُ ، فَتَبَّ ، أَوْ تَوَبَّرَ ،  
وَانْفَضَّ الْقَلْبُ بِمَا الْعَصَبُ  
وَنَامَلُ آيَةً مُعْجِزَةً ،  
مَا قَرَأَ مِثْلَهَا فِي الْكِتَابِ  
رَكِعَ الْإِبْرَاقُ مِنْ طَاعَتِهِ .  
وَبَكَى ، فَابْتَدَى تَوْبًا الْأَكْوَابِ  
وَلَتَوَلَّى الْمِرْعَا يَنْفِي كَثْرَتِي .  
وَنَظَّيْتُ ، فَأَتَيْتُ طَارِي  
وَرَبِيبٍ قَامَ مَعَنَا سَاقِبًا ،  
كَأَلَا شَأْنًا أَوْضَعَ إِلَيْنَا الرُّوبِيَّ  
ظَلِيَّةً ، دُونَ الْعَبَايَا فَطُصِّتْ ،  
فَأَتَتْ غَيْدَاءَ فِي شَكْلِ صِي  
فَتَمَّ الْوَرْدُ عَلَى صَفْحَتَيْهَا ،  
وَحَمَاهُ صَدْفُهَا بِالْعَقْرِ

---

١ تب : أرجع . توب : أتم الصلاة ، وبه مراعاة التطير لقوله : أذن  
الديك . انضج : اغل مطراً .

فمننت نحوي ، وقد مننتكها ،

مبشبة "عصفور نحو التعليم" .

فمنه الأبيات جديرة بالشاعر الأندلسي . غير أنه لم يكن  
من أمثاله ليته إلى الأسلوب القديم ، حتى أنه لم يلتفت إلى فن  
الموشحات ، مع علامته الجالس هو وشرابه ، فأعرض عنها ،  
في حين كان معاصره أبو بكر عباد بن ماء الساء قد استلهم بها ،  
وأنقن صنعها ، وفوّه المرحل بها ، ولكنه جاري العباسيين في  
إحياء الطبيعة ، ونسبها امرأة حسناء يتلذذ بأوصافها :

سهر الخبا برباصها ،

فأضاء ، والنور نغم

حتى أغدت كهرائها

كالقيد بالشيخ الموائم

من ثيبات لم تيل

كشفت الحدود ولا المعاصم

وصعدت أسكار شك

خجلا ، فماتت بالثام

١ الخبا : المطر .

٢ لم تيل : لم تبال .



ورث ، كل خبيث حدود -  
 العين من حطرات عثم  
 وثيق نيمان شكت  
 صفحانه من ظهر لانه  
 وعصون اشجار حكت  
 رفض الماتيم للماتيم

ومحدث اليها وسخرها مدي أميره ، على طريقة الأندلسيين ،  
 بقوله يمدح المؤمن :

وعلم من لا كثر لسانا غيبه ،  
 فخرج الأفق دمع صلب  
 مثل بحر جاء من فوهه ،  
 جرمه من أولو لم ينقلب  
 فلما ، حتى حبيب أنه  
 يسبح الأرض نضال عبيد

١ العين : السحاب من ناحية القبلة

٢ جرمه : جسمه . من أولو لم ينقلب : أراد به الجرد

٣ الهيب : السحاب الذي أو تبه

سألتناه : وقد أعجبتنا  
حشوه العين برأى معجيز :

أنت ماذا قل : من علمت  
كفها النفحة كفاً ذرياً

سامني بالشرق أن أسقيكم  
رحمة منه ، بأقصى المغرب

عمالنا . أين ذاك لنا  
قال : هل يخفى خبـ الكوكب ؟

ملكنا ناصب من خائفكم  
عاري المتى والمنصب

فعلينا أنها نفحة من  
ورت الحود أباً بعد أب

ووصف حرة اندير والساقى على أسلوب أبي نواس وأصحابه  
المُتَجَانِ ، واصطنع الغزل القصصي المبتن كبتشار ، وجساره في

---

١ النفحة : العطية

٢ سامني : كلمني .

٣ ناصب : عادي . النصب : الحب والأمل .

غزله العيني على لسان الحمام والبغل . وكان شعره في سجنه  
وعلته أفيض أقواله عاطفة ، وأبلغ تأثيراً ، لاختلاف الشواعر  
النفسية فيه : من ألم وضعف ، ومهانة ، ونفث للموت ، وإياء  
وعزة ، ومودة للأخوان . وقد أوردنا أمثلة مختارة من كلامه ،  
وفي رسالة التواضع والزواجر طائفة حسنة منها ، تشمل على شتى  
فنونه وأغراضه ، يمكن التوجع اليها في مواضعها من هذا  
الكتاب .

#### الكتاب

ذكر ابن حنبل كان من آثار ابن شبيب كتاب كشف الدك  
وآثار الشك ، ورسالة التواضع والزواجر ، وكتاب حسانات  
عطار ، ورسائل كثيرة . ولكن لم يبلغ البناء منها إلا فصول  
من التواضع والزواجر أوردتها ابن بسام في ذخيره ، وجملة  
رسائل مختلفة الأغراض رويت في الذخيرة وبيتة الدهر للتحليبي .  
قال ابن بسام .

« وكان أبو عامر شيخ الحضرة العظمى وفناها ، ومبدأ الغاية  
القصوى ومنهاها ، وينبوع آياتها ، ومادة حياتها ، وحقيقة  
ذاتها ، وابن ساستها وأساتها ، ومعنى أسماها ومستياتها ، نادرة  
الفلك ، وأعجوبة الليل والنهار ، إن هزل فجع الحمام ، أو

تجدد في غير الأسد الضيف . نظير كـ اتسقى اندر على النجور ،  
ونثر كـ لحاظ السك بالكفور ، الى نوادر كـ أطراف القبا  
الأملود ، تشق القنوب قبل الجنود ، وجواب يجري يجري  
النفس ، ويسبق رجوع الحرف المخلص .

وقال فيه ابن حبان :

« كان أبو عامر يبلغ المعنى ولا يميل سفير الكلام ؛ وإذا  
تأملته واستننه ، وكنت يجرى في البلاغة رسته ، قلت : عبد  
الحديد في آوانه ، وأحفظ في زمانه . والعجب منه أنه كان  
يدعو قريجنه الى ما شاء من نثره ونظمه ، في يديته ورويته ،  
فيقوم الكلام كما يريد من غير افتخار للكتب ، ولا اعتناء  
بالطلب ، ولا رسوم في الأدب ؛ وأنه لم يوجد له ، رحمه الله ،  
فيما بلغني بعد موته ، كتاب ينسب إليه على صناعته ، ويشهد  
من طبعه إلا ما لا فذواله ، فزاد ذلك في عجائبه ، وإعجاز  
بدائع . وكان في نسبي اقول والندوة الحرة أفدر منه على  
سائر ذلك . وشعره حسن عند أهل النقد ، نصرته فيه نصرته  
المصوغين ، فلم يقصر عن غريبهم .

« وله رسائل كثيرة في فنون الفلكية وأنواع التبريض  
والأعرال : فصاره وحوال ، يثر فيها شأوه ، وألقاها في  
الناس خالدة بعدد . وكان في سرعة اليدية ، وحضور الجواب

وحدثه ، مع رفعة حواشي كلامه ، وسهولة ألفاظه ، وبراعة  
 أوصافه ، وتزاهة شائله وخلائقه ، آية من آيات الله خالقه .  
 وهذه الرسائل التي أئتم بها ابن حبان منها ما خاطب به  
 الأمراء والوزراء ، كرسائله إلى المؤتمن عبد العزيز بن عبد  
 الرحمن بن أبي عامر ، وإلى الموفق بجاهد أمير دانية ، وإلى  
 الوزير ابن عباس ؛ ومنها ما خاطب به الأديباء ، كرسائله إلى  
 أبي القاسم الأفلح ، وابن الخطاط ، وأبي بكر أسكباط ؛  
 ومنها فصول اجتماعية تاريخية ، وأبحاث أدبية ضمنها نظراته  
 وأحكامه في النقد الأدبي ، سنعود إليها في كلامنا على ابن شهيد  
 النافذ ؛ ومنها رسالة التواضع والزواجر ، وخصصها بدروس  
 تحليلية على حدة .

ومن حسنات رسائله أنها تضيء جانباً من حياته لم يأنه له  
 المؤرخون ، أو أعادوه من الاهتمام قليلاً ، فبدت من خلالها  
 علاقاته السياسية والأدبية ، وصدقاته وعداواته ، ووفائهم  
 لأرباب نعمته ، ومودته للأصحاب والآخران ، وحدثه على  
 الخصوم والحساد ، وسلاطة لسانه في السخر والتعريض وصريح  
 الهجاء . فرسلته الطويلة إلى المؤتمن تطلعنا على ما كان له ولأبيه  
 من الحظوة في الدولة العامرية ، وعلى بعض شؤونه في صباه .  
 ورسائله إلى الموفق ترجمة لما وقع بينه وبين الغرضي من العداة

والشعراء . ورسائله إلى أبي القاسم الأفيلي فيها عتبه عليه  
 لازورارده عنه ، وجريه في حلبة القرصي وابن قنح . ومن  
 فضوله وأحاديثه نستخرج جملة من أخباره مع الوزراء والأدباء  
 وآرائه في أبناء زمانه ممن انتحلوا السياسة ، أو طلبوا العلم ،  
 أو احترقوا بالتعليم . وله في صفة معلمي قرطبة ، وتصور  
 أخلاقهم ، وشرح أحواضهم في مجالس الأدب ، ما يذكرنا الجاحظ  
 وسخره اللادع بهذه الجماعة . فمن ذلك قوله :

« وفوم من المعلمين بقرطبتنا من أنى على أجزاء من النحو ،  
 وحفظ كلمات من اللغة ، يحشون على أكباد غليظة ، وفلوب  
 كفلوب البهران ، ويرجعون إلى فيطن حبيبة ، وأذهان  
 صلبة ، لا منفذ لها في شمع الرقة ، ولا مدب خا في  
 أنوار البيان . سقطت بهم كتب في البديع والنقد فهبوا منها  
 ما يفهمه القرد الباني من الرقص على الإيقاع ، والزمر على  
 الألحان ، فهم يصرفون غرائبها ، فيما يجري عندهم ، نصريفة من  
 لم يوزق آلة الفهم . ومن لم تكن له آلة الصناعة ، مما هي  
 مخصوصة بها ، ولا تقوم تلك الصناعة إلا بتلك الآلة ، فهو  
 كالحمار لا يمكنه أن يتعم صناعة ضرب العود والطنبور ، لتوند

---

، ولا تقوم : في الأصل : لا تقوم .

وَسَمِعَهُ<sup>١</sup> واستدارة معافره ؛ ولا له بسان<sup>٢</sup> يحس به على  
دَسْتَانٍ<sup>٣</sup> - ولو جاز أن يكون حمار يعني :

ما بال<sup>٤</sup> أنجم هذا الليل حائرة ،  
أضلت<sup>٥</sup> القصد ، أم لبست على قلبك ؟

وشبهه ، من أجل أن له حنكاً ولساناً ، وقصة ونف ،  
لما جاز أن يوقع بالمضرب على الأوتار ، وينتم بحس الأنامل ،  
ويرخي الوتر في مجرى السبابة واليمينير ، فيابل ينشده ،  
ويولول في ضربه على بسيطه .

فهذه حال العصابة من المعلمين : يدركون بالطبيعة ،  
ويقصرون بالآلة . وتقصيرهم بالآلة هو من طريق الملل الداخلة  
من فساد الآلة القابلة للروحانية ، والحأمة لآلات الفهم ،  
الباعثة لرفيق الدم في الشرابات الى القلب ، وزيادة غلظ  
أعصاب الدماغ ونقصانها عن المقدار الطبيعي . وما يعين على  
ذلك بالحدس وطريق الفراسة فاد<sup>٦</sup> الآلة الظاهرة ، كفرطحة

---

١ الرسخ : الموضع المستقر بين الحانفر وموصل الوظيف من اليد والرجل  
في الدابة .

٢ الدستان من المود : مكان اصلاح الاوتار وتدها ، يحسه دسانين ، في الاعمل  
دسنان وهو نصيف .

الرأس ونسفيطة<sup>١</sup> ، وننوء القنحندوة<sup>٢</sup> ، والتواء الشدق ،  
 وخزَر العين<sup>٣</sup> ، وغلظ الأنف ، وانزواء الأرنبة<sup>٤</sup> . فتنعبد  
 بالله ألاَّ يَشُوهُ خلقه فلوإننا ، ولا يُجِيي<sup>٥</sup> أجرام أكبادنا ،  
 ويضم<sup>٦</sup> أوتارنا وأعصابنا ، ولا يُعظم<sup>٧</sup> أنوفنا ، ولا يجمعنا<sup>٨</sup> مثله<sup>٩</sup>  
 للعالمين !

وقال فيهم أيضاً :

« وما نعيم من خلق هذه العصابة ، إذا لمحتنا أنصارهم  
 قابِلونا بالسلق ، وهم منطوون على حصد وحرق . فإذا جمعنا  
 المعافل ، وضمتنا المجائس ، تراهم اليأسا مُبصبصين<sup>١٠</sup> ، وعن  
 الأخذ في شيء من تلك المعاني زائعين . وانما يتبين نصير  
 المقصر ، وفضل السابق المبرور ، إذا اضطكت الركب ،  
 وازدحمت الخلق ، واستعجل النقال ، ولم توجد مُسحاة لفكرة ،

١ نرطمة الرأس : عرصة . نسبطه : محاكاة للفظ « ومروءة » كالقنفذ .

٢ القنحندوة : مؤخر اللذال .

٣ خزَر العين : انكسار بصرها وضيقها وضجرتها ، أو نظرها بأحد العينين ،  
 أو حولها .

٤ الأرنبة : طرف الأنف ، وانزواؤها : تجمعها وتقبضها .

٥ يجيئ الشيء : يجمعه شيئاً .

٦ يجمع : يجمعهم ، من يجمع الجرو فتح عينه ، أو يجمع متعلقين  
 كبئس .



ولا أمكنت نظرة لروية ، أو في مجالس الملوك عند أنها  
وراحتها ، فانه يقع فيها ويجري لديها ما لا ينفع له الاستعداد ،  
ولا ينفذ فيه غير الضيع والغريزة المتدفقة . فتوى الجواد السابق  
إذ ذاك 'متشوقاً' بأذنه ، باحثاً لكديد' الاحسان بيده ، طامع  
النظر ، صهليق' الصليل ، وأهل' العنقة الخرس ، لا يسمع  
لهم تجرس ، ولا ينيء عندهم غير حسو الكاس ، وثم' الآس ،  
وتنفس الصعداء ، قد اصفرت ألوانهم ، وفقدت شفاعهم ،  
كأنهم من رجال عذوة .

وكذلك بحث في الكتابة وشروطها ، وصفات أصحابها ،  
يقرب الجواد بينه وبين عبد الحبيب . وإذا رأيت يخرج الجاحظ  
من طبقة الكتاب ، فأنما أراد بهم كتاب الملوك ، ولم يرد  
الكتابة بالمعنى المطلق ، كما نوه بعض النقاد من أهل زماننا . قال :  
« ذكر يوماً عند أبي القاسم سهل بن هارون والجاحظ ،  
فضربا فيهما مثل العامة : بينهما ما بين الملائكة وضيان  
الجوس . » هذا من الإهزاء العظيم على سهل ، والأولى أن  
يسميا 'محسين' ، إلا أن سهلاً كاتب سلاطين ، والجاحظ مؤلف

١ متشوقاً : أي متطامناً إلى الخبر .

٢ الكديد : الأرض المنيطة .

٣ الصهليق : الشديد من الأصوات .

دواوين . وقد يؤدي النظر الى أنهما في طريقتين مختلفتين ،  
وكلاهما محسن في بابيه ، إلا أنه لم يُرَ أعين من الجاحظ لنفسه ،  
إن كان واحد البلاغة في عصره ، فما باله لم يلتبس بهما شرف  
المؤولة بشرف الصنعة ، وقد رأى ابن الزيات وإبراهيم بن عباس  
بلغا بها ما بلغا ، وهو يلتبس فوائدهما والجاه بهما ؟ فلا يخلو  
في هذا إما أن يكون مقتضراً عن الكتابة وجمع أدواتها ، أو  
يكون سافطاً للغة ، أو يكون إفراطاً جعوظاً عينيه قعد به  
عنها ، كما قصر في أنها فيها ثقل سمعي ، وبأني القاسم ورّم  
أنفه . إذ لا مدّ للملك من كاتب مقبول الصورة تقع عليها  
عينه ، وأذن ذكبة نسمع منه حسنة ، وأنكر نقي لا نُدّم  
أنفاسه عند مقارنته له . ولذلك استحسنوا من الكاتب أن يكون  
طبيب الرانحة ، سليم آلات الحواس ، نقي التوب ، ولا يكون  
ومبيخ الفرس ، منقلب الشفة ، مكحل الأظفار ، وضير  
العلوق . وربما أنكر منكير فوائدا في شرط جمع أدوات  
الكتابة ، فقال : « رأيت أداة نقصت الجاحظ ؟ » فنقول : أول  
أدوات الكاتب العقل ، ولا يكون كاتب غير عاقل . وقد نجد  
عالماً غير عاقل ، وجديلاً غير حصيف ، وفقياً غير حليم . وقد  
وجدنا من ينسب العقل إلى سهل أكثر من نسبته إلى الجاحظ .

لو شهد الجاحظ سهلاً يخادع للرشيعة مملكتاً ، ويدبّر له حرباً ،  
ويعاني له اطفاء جيرة وثمة . مستقنعاً في ذلك كله بعقله ،  
وجودة علمه ، لرأى أن تلك السيادة غير تطير المثال ، في  
صفة البغال ، وغير الكلام في الجرذان وبنات وردان<sup>١</sup> ، ولعلم  
أن بين العالم والكاتب فرقاً .

ويقلب القصص على إنشء أبي عامر ، فتجده في مختلف  
رسائله وفضوله محدثاً يسوق الخبر والتسادرة ، ويحسن السرر  
والأداء ، ويعني بالتجليات النفسية ، وتصور الأخلاق والأشكال ،  
كما في كلامه على القرصي والإفريقي ، وسهل بن هارون  
والجاحظ ، وعلى المعلمين ، وأوصافه ذبينة برعة ، سواء تناول بها  
المعاني الذهنية ، أو الأجسام الجبّة والجأمدة ، وكوصفه للنفس  
الروحانية في ذهن المعلمين ، مستنداً إلى علم القراءة في ذكر  
أشكال الذين فسدت روحانياتهم ؛ وكوصفه لدار القرصي ،  
وردهاته ، ومواعينه وعفاهيره ؛ أو وصفه للحنفاء وصاحبها  
المنهمم ؛ وهذه الرسالة متبنة في الذوايع والزوايع ، وهي تشبه  
المقامة في مساقها .

وأظهر خصائصه في الوصف أن يتتبع الموصوف بتحويل

---

١ بنات وردان ، واحدها بنت وردان : دويبة نحو الخنساء ذات ألوان مختلفة  
أكثر ما تكون في الحمامات والتكف .

ميزاته في الأعضاء ، والألوان ، والصوت والحركة والطباع ، حتى  
يجمعه 'مختلاً' بأبرز الشخصية ، لا شجراً غامضاً ، كج وصف الماء  
متأثراً ببديع الزمان ، والبرد والنار والخطب والخلواء . ويبدو  
في أوصافه الوضيع رفيعاً ، والقيح جسيلاً ، وأما هـا رفعة الفن  
وجاله أضافها على موصوفاته الحفيرة المدمية ، فاكثرت بها  
رُواء ، وعلت قدرأ ومقاماً ، كوصفه الثعلب والبرغوث ،  
وهما في التواضع والزواجع ، أو وصفه للبعوضة إذ يقول :

« البعوضة مليكة » ، لا جيش لها سواها ، تحرقها عين من  
يراه ، غشي الى الملك بنسبها ، وتضرب في محبوبه داره  
بطلبها . تؤذيه بإقباها ، وتعرفه بإرافة دمه ما ها . فتعجز  
كفه ، وتوغم أنفه ، وتضرج حده ، وتقرى لجه وجلده .  
وتجرحها تسليمها ، ورمح خرطومها ، نذال صعبك ان كنت ذا  
قوة وعزم ، وتسفك دمك ، وإن كنت ذا جلف وعسكر  
ضخم . تنقض الغزائم ، وهي منقوضة ، وتعجز القوي وهي  
بعوضة ، ليرينا انه عجائب قدرته ، وضعفنا عن أضعف خلقته . »

وإنشأه رائق الديباجة واضحا ، لا تكدر الصنعة صفاءه  
لقوة طبعه ، ونجافيه عن الإفراط فيها ، مع أنه يلتزم السجع  
أحياناً ، ويؤثر إنجاز على الحقيقة ، فتكثر عنده الاستعارات  
والتشابه والكنائيات . وجملته رشيقة العبارة ، محكمة

التركيب ، فيها جزالة وإيجاز ، على غير خشونة وإخلال ،  
يُدِّعُها بآيات القرآن ، وأقوال العرب وأمثامهم ، ويستعين عليها  
بمأثورات أخبارهم وأحاديثهم ، فتسكن إلى الرواسم الجاهزة ،  
والعناصر المتعارفة ، ولذلك قال الكاتب أبو بكر أشكياط  
حين وقع على فصول له : « فِقِرْتُ حسان إلا أنه عثر عليها . »  
يبدو أنه يحسن صبرها وتزويلها ، فلا تُلْقَى غريبة مُهَبِّئَةً ،  
ولا نافرة مُمْلَقَلَةٌ ، ولا مُجَرَّرَةٌ مُتَعَبَةٌ ، فهو من النُقَر الذين  
إذا كتبوا ارتاحت إليهم ملكة البلاغة ، وتشقت هم أكام  
البيان .

الناقد

مرة بنا في كلام ابن حبان أن أبا عامر م أدرك غير الوسط  
في ثقافته الأدبية ، لقلة صبره على طلب العلم ، وعدم عنايته  
بافتناء الكتب ، فهو من أولئك الفتيان الذين وحفهم بقوله :  
« ولكن البطالة على الفتيان غالبية ، والسامة عليهم مسئولية . »  
ونحبرنا في صدر التواضع والزواضع أنه كان في أيام كتاب  
الفرجاء ، يحسن إلى الأدباء ، فتشيع الدواوين ، وجلس إلى  
الأسانيد ، فحصل العلم بقليل من النظر ، ويسير من المطالعة .  
على أنه لم يذكر أحداً من هؤلاء الأسانيد ، ولا اعتد بشيخ

مشهور أخذ عنه ؛ فاستهدف بذلك الى تغيير الخُصوم ، والشك  
 في علمه ومعلّيه . وكأنه يريد كلامهم بلسان الجني صاحب  
 الاقبلي حين يقول فيه : « فني لم أعرف على مَنْ قرأ » . ونعم  
 مصير الكتب عنده ، بعد مطالعته لها ، من ذاك الحوار الذي  
 جرى بينه وبين الجني ، قال : « فتأري حثي كتاب الخليل ،  
 قلت : هو عندي في رنيل . قال : فتأطري على كتاب  
 سبويه . قلت : خربت اهرف عليه ، وعلى شرح ابن  
 درستويه . »

ويشأن أن أبا عامر ما أراد سوى المفارقة بقراءة هذه  
 الكتب ، واستغنائه عنها ، وإن يكن في كلامه ما يؤيد قول  
 ابن حيّان من أنه قليل الاعناء بفتنائها ، قليل الرغبة في العالب .  
 فقد كان صاحبنا يمشد على غرب ذاكرته ، وتوفد ذهنه ، وذكاه  
 قلبه ، فاكتفى بيسير المطالعة ، وقليل النظر ؛ واقتصر على  
 صدور خزائنه لكتبه ، فأنسى له فسط حائع من الأدب ، أن فاته  
 الرسوخ فيه ، على حد قول ابن حيّان : « لم يفقه الاطلاع على الشعر  
 القديم والحديث وعلى كتب التاريخ ، ولا أقصرت به المشاركة في  
 علوم اللغة وآداب القرآن والحديث ، ولا نسدت عنه حسن  
 المذاق ورهف الحس » ، فصيح له أن يتصدر للنقد ، وقد تهيأت  
 له عدنه المعروفة ، مدافعاً عن نفسه ، مقاوماً خصومه ونقاداً ،

مدلياً بأرائه في الشعر والنثر ، في الألفاظ والمعاني ، في الفن والجمال ، فعدا على المعلمين والنجاة ، وهم في نظره حساد الأدباء ، لا يحسنون الكتابة والشعر ، لضعف روحانيتهم ، وسوء فهمهم ، وغلاظة أكبادهم : « سقطت اليهم كتب في البديع والنقد ، فهموا منها ما يفهمه القرد الجاني من الرفص على الايقاع ، والزوم على الأختان ، فهم يضربون غرائبها ، فيما يجري عندهم ، تصريف من لم يؤرق آفة الفهم . » ومن دلالة على تقصيرهم : « أنهم لا يقدمون أن يجعلوا ما يحملون من المعرفة تصنيفاً ، ولا تغزو مادتهم أن ينشئوها تأليفاً . » فهم ينشئونها بين تلامذتهم : « ولا تروى لهم ندرته ، ولا تؤثر عنهم في البلاد شاردة . »

ومن سخره بالهجة أنه جعل في الزوابع والزوابع فابعة أحد المشيوخ إوزة ، والأوزة يضرب به المثل في الخلق والسخافة ، وجعلها تجادلته فتقول : « ما الذي تحسن ؟ » قلت : أرتجال شعر ، واقتضاب خطبة . قالت : ليس عن هذا أسألك . قلت : ولا بغير هذا أجابوك . قالت : حكم الجواب أن يقع على أصل السؤال ، وأنا إنما أردت احسان النحر والغريب اللذين هما أصل الكلام ، ومادة البيان . « ثم يسأها : « فهل تعرفين في الحلائق أحق من إوزة ؟ » قالت : لا . » قال : « فتطلعي

عقل التجريبية ، إذ لا سبيل لك أن عقل الطبيعة ؛ فإذا أحرزت  
منه نصيباً ، وبوت منه بحظ ، فحينئذ ناظري في الأدب . .

ولم تكن قسوته على النعمة والمعلمين دون نعمته سائر  
الأدباء في عصره ، فانه سخط عليهم ما لقي من أذى خصوصتهم  
وحدهم ، وكان كغيره من الكتاب والشعراء الذين يصعب  
عليهم أن ينسبوا الإحسان إلى أقرانهم وأتباعهم ، ولا سيما الجليل  
الناسي . على أنهم ؛ بملكهم الغرور ، فيسوءمون أنهم انفردوا  
بالإجادة والنبوغ ، ولم يبق بعدهم مجال لمبدع أو مجيد . وفي  
كتاب له إلى المؤمنين بصور هذه الجماعة التي لم يكن بريئاً منها ،  
أجمل تصوير ، معتدلاً بأدبه وبإبداعه ، متذمراً على دهره الذي  
أوجدته بين قوم ضاع أدبه فيهم فلم يفهموه ؛ لا كقوم عندما  
حضرهم من الفهم الحفظ ، ومن العلم الذكر ، وهذا حظ  
القصاص . وأعلى منازل الشوائع . فتري المشجرك منهم ، إذا  
فترى عليه الشعر ، يزوي أنفه ، ويكسر طرفه ؛ وإذا عرضت  
عليه الخطبة ، يُبيل شِقِّه ، ويلوي شِدْفه . فإن تناولها لم يُبق  
مِلحة إلا حشدها ، ولا أبقي عضة فجّة إلا جلبها . وأصل قلّة  
هذا الشأن وعدم البيان ، فردّ الأئمة ، ونبو الأمكنة ،  
وأنّ الفتنة نسخت الأشياء ، من العلوم والأهواء ؛ ترى الفهم  
فيها باثر السلعة ، خاسر الصفة ، يلمح بأعين الشّئان ،



وَيُسْتَقَلُّ بِكُلِّ مَكَانٍ . هَذَا وَابْنُ وَحْرِيْنَا . يَا طَلِبْنَا الْبَيَانَ ،  
فَأَدْرَكْنَا بِكُلِّ لِسَانٍ ، وَالتَّمَنَّا الْإِبْدَاعَ ، فَأَثْبِتْنَا كُلَّ مَعْجَبٍ ،  
وَأَثْبِتْنَا عَلَى كُلِّ مَطْرِبٍ ، فَمَا سَقَطْنَا عَلَى سُوقَةِ يَتَشِ الْبِنَا ، وَلَا  
دَفَعْنَا إِلَى مَلِكٍ يَصْبِرُ بِنَا ، وَلَيْتَ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ غُثْمٌ ، إِلَّا  
يَكُونُ غُرْمٌ ! وَوَدِدْنَا أَنْتَا بِرَازِخٍ لَا حَرْبَ وَلَا سَلَمَ ، وَلَا يَقْظَةَ  
وَلَا نَحْلَمَ ، كَفَى بِذَلِكَ إِنْجَاءً عَلَى الزَّمَنِ ! ،

وَمَنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي رِسَالَةِ التَّوَابِعِ وَالزَّوَابِعِ ، إِذْ يَقُولُ لَهُ  
صَاحِبُ الْجَاحِظِ : « إِنَّكَ خُطِيبٌ ، وَحَائِكَ لِلْكَلامِ عَجِيدٌ ، لَوْلَا  
أَنَّكَ مَغْرَى بِالسَّجْعِ ، فَكَلَامُكَ نَظْمٌ لَا نَثْرٌ . » فَبَجِيه : « لَيْسَ  
هَذَا ، أَعَزَّكَ اللَّهُ ، مَنِي جَهْلًا بِأَمْرِ السَّجْعِ ، وَمَا فِي الْمِثَالَةِ وَالْمُقَابَلَةِ  
مِنْ فَضْلٍ ، وَانْكِتِي عَدَمَتِ بَيْسَلَدِي فِرْسَانَ الْكَلَامِ ، وَذُهِبَتْ  
بِفِيَاوَةِ أَهْلِ الزَّمَانِ ، وَبِاخْتِرَانِ أَنْ أُحَرِّكَهُمْ بِالْأَزْدَوَاجِ . »  
فَيَقُولُ لَهُ الْجَنِيُّ : « فَكَيْفَ كَلَامُهُمْ بَيْنَهُمْ ! » فَيَقُولُ : « لَيْسَ  
لِمِيبُوبِهِ فِيهِ عَدْلٌ ، وَلَا لِلْفَرَاهِيدِي إِلَيْهِ طَرِيقٌ ، وَلَا لِلْبَيَانِ عَلَيْهِ  
سَبِيلَةٌ ، إِنْهَا هِيَ لَكِنَّةٌ أَعْجَبِيَّةٌ ، يُؤَدُّونَ بِهَا الْمَعَانِي تَأْدِيَةَ الْمُتَجَوِّسِ  
وَالنَّبِطِ . » فَيَصِيحُ تَابِعُ الْجَاحِظِ : « إِنَّهُ ! ذَهَبَ الْعَرَبُ  
وَكَلَامُهَا ! أَرْمَهُمْ ، يَا هَذَا ، بِسَجْعِ الْكُتَّانِ ، فَعَسَى أَنْ يَنْفَعَكَ  
عِنْدَهُمْ . » وَيُطِيرُ لَكَ ذِكْرًا فِيهِمْ ! ،

---

١ البرازخ ، جمع بروزخ : وهو الحاجز بين الشيئين .

وخصّ أب القاسم الأفلي بنقد موجع تعبّد فيه إظهار  
أوصافه على ألسنة الصبيان ليخرجه من حلقة الأدباء :

« وهو أنجل أهل الأرض لا محالة . ولم يقصّر بنا عنده إلا  
توقيرنا لشعامته<sup>١</sup> ، وهو يرى أن بعض صبياننا قد أفلقوه حين  
قالوا : « لبت مِشيتة مِشّة أديب ، ولا وجه وجه أديب ،  
ولا جِلته جلّة عالم ، ولا أنفه أنف كاتب ، ولا نغمته نغمة  
شاعر . »

وفي استناده الى الأوصاف يتكلم على تأثير النفس في  
الإنشاء ؛ فمن كانت نفسه مسئولية على جسمه ، كان مطبوعاً  
روحانياً يُطلع صور المعاني في أجمل هياكلها ؛ ومن كان جسمه  
مسولياً على نفسه من أصل تركيبه ، كان ما يُطلع من الصور  
ناقصاً عن الدرجة الأولى في التام والكمال .

ولتركيب الأعضاء ، كما يقضي عم الفراسة ، تأثير في صلاح  
الآلة الروحانية وفسادها ؛ ففساد الآلات الظاهرة في الجسم  
يعن على فساد الآلة القابلة الروحانية ، والحالمة لآلات الفهم ؛  
منها قرطحة الرأس وتسقيطه ، وتنوّ القسعدوة ، والتواء  
الشدق ، وخزّ العين ، وعِلَظ الأنف ، والتواء الأرنبة .

---

١ التامة : نية يضاء يكتفي بها عن التيب .

وغير خفيّ ما في هذه الأحكام من غرض ومجازفة لا يصح الركون اليهما ؛ إلاّ أنّها خطوة محدودة خطاها ابن شديد في النقد الأدبي ، مؤلفاً في طريقه بين انشاء الكاتب وحالات نفسه . رصور أعذاته . «إصاية البيان لا يقوم بها حفظ كثير الغريب ، واستيفاء مسائل النحو ، بل بالطبع ، مع وزنه من هذين ومقدار طبع الانسان انما يكون على مقدار تركيب نفسه مع جسمه .» فمن كان طبعه روحانياً استولت نفسه على بدنه ، وجاء : «بصور رائقة من الكلام تقلّ القلوب ، وتشغف النفوس ، فاذا فتشت لحسنها أصلاً لم تجده ، ولجمال تركيبها أسألم تعرفه ، وهذا هو الغريب أن يتوكل الحسن من غير حسن كقول امرئ القيس :

ألا عجمٌ صباحاً أيها الظال الباي

وفوله :

ننوّرتُها من أدريعات ، وأهلها  
بيئتُربة ، أدقّ دارها نظراً عالٍ

فان هذه الديباجة اذا تطلّبت لها أصلاً من غريب معنى لم تجده .

فأبو عامر يلمس هنا نظرية الشعر الصافي ، بما فيه من توقيع

وتركب وجمال غير محدود، ويعزوه إلى صفاء النفس واستيلاءها على الجنان، مع الاحتفاظ بعزائتي معرفة الغريب، واستيفاء مسائل النحر، على أن هذا لا يعني أنه يريد تطهير الشعر الصافي من انغصافه والعاطفة والصورة كالأطب يرمون وأصحابه دعابة هذا المذهب الحديث، فقد كان، على اجلاله لروعة الديباجة، يجدها بعض الأحيان خداعة للناقد، فيوصيه أن يحترس منها في حكمه على الشاعر، ولا ينساق بظواهرها، فليس الشعر باللفظ وحده، وإنما يستحق الصناعة من ينفتحهم بحور البيان، ويتمدد كراتم المعاني والكلام، وينطق بالفضل، ويركب متون الجيدة، ويطلب الأشياء النادرة والساورة، وينظم من الحكمة ما يبقى بعد موته، منصرفاً نصرفاً الملمع في الطعام، متلوئناً في الأغراض والصور، تلوئناً أبي يرافش<sup>١</sup>.

ويرى أن للعروف أنساباً وفرايات تبدو في الكلمات؛ فإذا جاور النسب<sup>٢</sup> النسب، ومازج القريب<sup>٣</sup> القريب، طابت الألفة، وحسنت الصعوبة. وإذا ركب<sup>٤</sup> صور الكلام، حسنت المناظر، وطابت المخاير. وللعدوية إذا طليت، والفصاحة إذا التشتت<sup>٥</sup>، قوائين من الكلام، من طلب بها

١ أبو يرافش: طائر مقعر بري كاللنقد، أعلى ريشه أغمر، وأوسطه أحمر، وأسفله أسود، فإذا انتفش تغير لونه ألواناً شتى.

أدرك ، ومن نكتب عنها قسراً . وكما تختار ملبح اللفظ  
ورشيق الكلام ، فكذلك يجب أن تختار ملبح النحو . وفصح  
الغريب ، وترويب من فيحيه .

وأهل صناعة الكلام ثلاث طبقات متباينون في الغزلة ،  
متفاضلون في شرف المرفوعة ، على مقدار احسانهم وتصرفهم .  
فمنهم الذي ينظم الأوصاف ويختار المعاني ، ويجري جرسه  
التأليف ، إلا أنه يجري في لأبيات القديلة والمأخذ القريبة ،  
فاذا كثرت عليه والزدحم ، ذهب وانفلّ وتلاشى واضمحل .  
ومنهم الكارخ في بحر الغزوة ، يمر مرّة السنين في اندفاعه ، لا  
يشكو النشل . ولا يتكلّ على طول العمل ، فذلك الألسن  
يوم حروب الكلام ، لا تحصى خبرته ، ولا نصاب غيرته .  
ومنهم من ينجا في عن الكلام . ويروغ عن المقال ، فاذا غشي  
به أخذ بأطراف المحاسن ، وشارك في أنحاء من العنعة ، وجلّ  
ما عنده تلفيق وجبة ، وبذلك يصاحب الأبناء ، ويجاري أبناء  
الزمان . وعن خارج عن هذه الطبقات الثلاث لم يستحق اسم  
البيان ، ولا يدخل في أهل صناعة الكلام .

ويبحث في الأساليب واختلاف باختلاف العصور والأهم  
فقال : « وكما أن لكل مقام مقالاً ، فكذلك لكل عصر بيان ،  
ولكل دهر كلام ، ولكل طائفة من الأهم المتعاقبة نوع من

الخطاية ، وضرب من البلاغة لا يوافقها غيره ، ولا تهش  
لسواه . وكما أن للدنيا دولاً ، فكذلك للكلام ثقلاً وتغاير  
في العادة . ولذلك أنكر على معاصريه تصديرهم قصائد المدح  
بذكر عرائس الشعر جرياً على الأسلوب القديم ، وأوصى أهل  
الصناعة ، إذا اعتدوا وصف حالة ، أن يشفوا جميعها ، ولا  
يخرجوا عنها ، فذلك أيسر لكلامهم ، وأدل على أن الكلام  
فهم ومن تأليفهم . وعاب على عبد الحميد تأثره بلغة الأعراب ،  
وروح البداوة ، فخطب صاحبه الجني في رسالة التواضع  
والزواجر بقوله : « اني لأرى من دم اليربوع بكفبك ، وألمح  
كشئ الضب على ماضيتك ! »

ولم يغفل عن المهرجات الأدبية ، ومن حقه ألا ينساها ، وهو  
من المنهمكين بها ، فأجزعها للشعراء ، على شرط وضعه ، وقانون  
رسمه ، قال في رسالة الجن : « إذا اعتمدت معنى قد سبقك إليه  
غيرك ، فأحسن تركيبه ، وأرق حاشيته ، فاضرب عنه  
جملة ، وإن لم يكن بد فقي غير العروض التي تقدم إليها ذلك  
الحسن ، لتنشط طبيعتك ، وتقوى ممثلك . » وأدرك على  
عمر بن أبي ربيعة قوله بيت امرئ القيس :

سموت إليها بعدما نام أهلها ،  
سموت حجاب لثاء حالاً على حال

فقال : « ألا ترى عمر بن أبي ربيعة ، وهو من أطيع الناس ،  
حين رام الدنو منه والالام به ، كيف اقتضح في قوله :

ونفَضْتُ عَنِّي التَّوَمَ ، أَقْبَلْتُ مَشْيَةً  
الْحُبَابِ ، وَرَكَنِي ، خَشْيَةَ الْقَوْمِ ، أَزْوَرُ

ولو ركب غير عَرَوْضه لخلص . »

ويستشهد على صحة زعمه بقول اسماعيل بن يار النخعي :

أَقْبَلْتُ ، وَالْوَطْءُ خَفِيفٌ ، كَمَا  
يَنْسَابُ مِنْ مَكْنَبِهِ الْأَرْقَمِ

وأنه عندما حاول النظر إليه ، خالفه في العَرَوْضِ ، فابتعد  
عنه ، ولم يفتضح مثل ابن أبي ربيعة ، قال :

أَدْبُ إِلَيْهِ دَيْبُ الْكَرَى ،  
وَأَمْسُو إِلَيْهِ مَسْمُو النَّفْسِ

ولسنا على رأي أبي عامر في هذه القضية ، فالسرقات الشعرية  
لا ينجيها اختلاف العَرَوْضِ ، ولا يشفع شيء منعتها ، إلا إذا  
ولدت منها صوراً أو معاني جديدة بحق له أن يدعيها كما قال  
أبو نواس :

دع عنك لومي ، فان اللوم اغراء ،  
وداوتي بالتي كانت هي الداء

وهو مأخوذ من قول الأعشى :

وكأسٍ شربت على لذة ،  
وأخرى نداوت منها بها

فزااد عليه المثل المولد في صدر البيت ، وجعل مدح الداء  
الداء بالداء مطلقا لا مقيدة ، فأنسب المعنى البه ، واشتهر بينه  
على أفواه المشددين ، وجعل بيت أبي بصير . ونرى أن عمر  
أقرب في صورته الشعرية الى معاصره اسماعيل بن يسار منه  
الى امرئ القيس ، وإن شابه الشاعر الكندي بالعروض ،  
ولصم الوصول الى الحجة ، كما أن أبا عامر يجاور في صورته  
الشاعر الجاهلي أكثر من يجاوره اسماعيل بن يسار .  
ولا يخفى نقده من سخر لطيف ، أو نهكهم لادع ، شأنه في  
بيت أبي نواس :

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد  
هوائيه ، أمل الفضل يجمع بيننا

قال : « فهذا من الكلام الغت ، واللفظ الرث ، الذي



لو دامه حوار الكُتّاب<sup>١</sup> لأدركه . .

ونظم في رسالة التواضع والتواضع أحياناً في الغزل على لسان  
يقول ، وأخرى مثلها على لسان حوار ، فلما تعرضت عليه  
للمفاضلة بين الشاعرين ، وسمع قول الحوار :

وما نلتُ منها فائلاً ، غير أنني ،  
إذا هي واثت ، وثتُ جث ثوث<sup>٢</sup>

قال : « واثت » ، ان الثوث راثثة كربية ، وقد كان أنف  
الناقة أجدر أن يحكم في الشعر . ، وأنف الناقة هو تابع أبي  
القاسم الأفلبي .

فأبو عامر من خيرة النقاد في العصر القديم ، وله نظرات  
جريئة يُحمد عليها ، وإلّا لم تسم من الغزل والتجريح ، وفيها ما  
يوافق المذاهب الحديثة في زماننا كبعضه في تأييد الألفاظ ،  
والجمال الذي لا يوصف ؛ وسيمر بنا شيء غير قليل من نقده  
وسفره في رسالة التواضع والتواضع .

---

<sup>١</sup> الكساح : داء للابل ، أو هو الكساحة أي نعل القوي في البدين والرجلين ،  
وأكثر ما يستعمل في الرجلين .

رسالة

## التوابع والزوابع

لسمتها

لم يُعثر إلى الآن على مخطوطة لرسالة التوابع والزوابع ، وإنما بلغ الينا منها ما أثبتته أبو الحسن علي بن إسحاق الشنبري الأندلسي في القسم الأول من كتابه «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» ، فرأينا أن نقسه ، بحسب أغراضه ، إلى مدخل وأربعة فصول ، وجعلنا عنوان الفصل الأول : توابع الشعراء ، والثاني : توابع الكتاب ، والثالث : نقاد الجن ، والرابع : حيوان الجن . وهي عناوين تقبل الزيادة بعد العثور على نسخة كاملة لهذه الرسالة الحسنة .

والقسم الأول من كتاب الذخيرة طبع في مجلدين بالقاهرة ، أولها سنة ١٩٣٩ ، ونزلت نشره كلية الآداب في جامعة فؤاد الأول ، وفيه فصول التوابع والزوابع ، فاعتمدنا عليه في إخراجها كتاباً على حدة .

ومجربنا الدكتور طه حسين في مقدمة الكتاب أن الجامعة

كلفت المشرق لاوي بروفنسال مع طائفة من شباب قسم اللغة العربية في كلية الآداب أن ييشوا نص كتاب الذخيرة للطبع ، معارضين ما اجتمع لهم من النسخ ، معصحين ما لا بد من تصحيحه . ثم ألفت لجنة من أساتذة الكلية : طه حسين ، أحمد أمين ، مصطفى عبد الرازق ، عبد الحبيب العبادي ، عبد الوهاب عزام ، لاوي بروفنسال ، للنظر في ما أعدت اللجنة الأولى من النص تقرأ منفردة وبمجموعة ، حتى إذا أقرره ، أذنت بطبعه . وعلى هذا النحو أخرج القسم الأول من الذخيرة ، مصححاً ومحرراً كماً ومطبوعاً طبعاً جيلاً .

على أننا ، عندما حملنا النفس على نشر رسالة النوابع والزوابع ، وجدنا أن اللجنة لم تكن بشرح الألفاظ الغريبة والاصطلاحات الأندلسية ، بل أوجأت ذلك الى أن تنتهي من نشر بقية الأقسام . فتولينا شرح العريب من اللفظ ، وفتح المغلق من المعنى ، وتعريف أسماء الأعلام ، وإيضاح التلبيحات التاريخية ، تسهيلاً على عامة القراء ، وتحقيقاً عن خاصتهم . ودفعنا على خطئ غير قليل في الشكل ، بحسن بنا أن نود معظمه على الطابع ، فأحلجناه وفوتنا متآده ، دفعاً للالتباس والتشويه .

ولم يقف عملنا عند هذا الحد في اخراج هذه الرسالة ، فان

الجهد الذي بذلته اللجنة في معارضة نسخ الذخيرة ، ونصحيح  
النص ، لم يبلغ الى ما أرادته من رد الكتاب الى الصواب ، كما  
يقول الدكتور طه حسين في المقدمة . وهذا ما تبينناه في أثناء  
دراستنا لآثار ابن شهيد ، إذ عرضت لنا ألفاظ مغلوط فيها أو  
محرّفة ، عجبنا كيف جاوزتها اللجنة دون أن ندقق في معانيها ،  
أو تراجعها في مظانها ، ورأينا أن نستدرك ما فاتها . فها  
صحتناه بتتبع المعنى ، وتقريب صور الألفاظ بعضها الى بعض ،  
فول أبي عامر في وصف الصبي :

تَمَسَّحَ بِالْحَوْدَانِ مِنْهُ أَكْثَنًا ،  
إِذَا مَا أَفْتَحْنَا مِنْهُ غَيْرَ قَلِيلٍ .

والحودان لا معنى له ، وإنما أراد الحودان ، وهو نبت  
أشبه أصفر ، وقد وصفه قبل هذا البيت ، أبكار النور ،  
وشبهها برداء غروس ، وهما يذكر تمسح الأيدي بهما من لحم  
الطرائد . ومثل ذلك قوله : « فضرب وهير الأدهم بالسوط ،  
فسار بنا في قسّته . » ولا وجه للفتن يؤدّي اليه الكلام ، فضلاً  
عن إشكال استعماله بمعنى الفتوت ، وصوابه القسّ ، أي تسنن  
الطريق ونهجه .

ومما صحتناه بالرجوع الى مكتب الأدب ودواوين الشعراء ،  
قول طرفة :

## لسعدى بحيزان الشريف طول

والشريف لا ذكر له بين أسماء المواضع ، وهو في ديوان  
طرفه الشريف بالراء النملة والتصغير ؛ ذكر صاحب القاموس  
أنه أعلى جبل ببلاد العرب ، وأنه قد صعد ؛ وذكره ياقوت  
في معجم البلدان ، وقال إنه يُطلق أيضاً على ماء لبني شمر  
بنجد أو واد بنجد ، وعلى حصن من حصون زبيد باليمن .  
ومنه قول أبي نواس :

مَنْ دَمَنْ تَدَادَ طَيْبَ نَسِيمٍ  
عَلَى طَيْبٍ مَا أَفْوَتْ ، وَحَمِنَ رَسُومِ

روجه الكلام : وعلى طول ما أفوت ، وهكذا رواية  
الديوان .

وقال أبو عامر بن شهيد :

نَصْفِيحٌ شَيْمٌ ، أَمْ يَوْقُ بَدَا ،  
أَمْ سَنَا الْمُحْبُوبُ أَوْ رَى أَرْثَدَا ؟

وصوابه ، كما في مطلع الأنس ، أصبح شيم . وكذلك  
قوله في القصيدة نفسها :

قلت : 'عَبْ' لي ، يا حبيبي ، قبله ،  
تَشْعِرُ مِنْ عَمَلِكَ نَبِيحَ الصَّدَى

ولا معنى لعَمَلِكَ هنا ، وإنما هي عَمَلُكَ ، كما في مطمح الأنفس .

وجاء في رسالة الخواص : « فَأَمَرْتُ الخُلُوْاني بِإِتِّبَاعِ أَوَّلِهَا  
مِنْهَا . » ورواية ينسب الدهر : « فَأَمَرْتُ الصَّلَامَ . » وهي  
الصواب .

ومرت بنا ألفاظ يستقيم بها المعنى على الاختلاف روايتها ، مثل  
قوله : « أَعَذَّبُ مِنْ النَّبَةِ الْأَحْيَةِ . » فَأَتَوْنَا رَوَايَةَ يَنْسِبُ الدَّهْرُ ،  
وهي : « أَعَذَّبُ مِنْ رَيْقِ الْأَحْيَةِ . » وألفاظ أخذناها على وجه  
التقريب ، ولم ينسحب لها صدورنا ، كما في قوله : « وَنَحَرَكْتَ لَهْمَ  
حَرَكَةِ مَشُولٍ . » وهو ، كما يظهر ، من اصطلاح أهل المغرب ،  
وليس له ذكر في المعجمات إلا معجم دوزي ، فإنه أثبت  
لفظة مَشُولٍ ، وقال إن معناها قتيان ، وإن واحدها مَشُولٌ ،  
كما تقدم ، على خلاف القياس . فلهل في مشول تحريفاً ، والمراد  
مشولين . لأن المعنى يرنح إليها بعض الشيء . أو لعلها مشولٌ ،  
إشارة إلى الرقية التي خدع الغني بها اللصوص الذين جاؤوا بيته  
ليللاً ، وقصتهم في باب برزوبه من كليلته ودمته .

وكذلك لفظة شواير ، في قوله يصف الخلواء : « مُجَابِحَةٌ  
الزَّنايِيرِ ، أُجْرِيتْ عَلَى شَوَايِيرٍ . » فإن كُتِبَ اللفظة لم تذكرها ،

وهي حضرة مولدة ، وانما ذكرها دوزي في معجمه ، وأورد لها معنى لا يطابقها في هذا الموضوع ، فشرحناها بالاستناد الى بعض تعريفها ، ثم اتى ما نعلمه عنها من اصطلاح العامة عندها ، فقلنا : هي قِطْع لها شكل الزاوية ، كما يُرى في تقطيع الخلواء . فالجهود المحدودة التي بذلتها لجنة كلية الآداب في مصر لتصحيح نص الذخيرة ، لم تصرف عنا مشقة البحث والتنقيب ، والشرح والتفريغ ، لنشر رسالة التوايع والزوايع مصححة منقحة ، مدللة العقاب ، قريبة التناول .

#### تاريخها

ليس في أخبار ابن شهيد ذكر للرسالة التي وضع فيها رسالة التوايع والزوايع ، غير أن المستشرق بروكلمان يزعم أنها صُنفت قبل رسالة الفغران بعشرين سنة . ومعلوم أن أبا العلاء ألف رسالته الأخيرة في أثناء عزله سنة ٤٢٤ هـ ( ١٠٣٢ م ) فيكون أبو عامر قد أنشأ التوايع والزوايع سنة ٤٠٤ هـ ( ١٠١٣ م ) على رأي العالم الألماني .

فأما أن تكون رسالة ابن شهيد كُتبت قبل رسالة المعري فهذا لا إشكال فيه ، لأن أبا عامر توفي سنة ٤٢٦ هـ أي بعد ظهور رسالة الفغران بنحو سنتين ، وكان قد اعتل قبلها بضع

سنوات ، وغلب عليه الفالج في مستهل ذي القعدة من سنة ٤٢٥  
 مدة سبعة أشهر الى أن مات في آخر جمادى الأولى من السنة  
 التالية . ومع أنه لم يعطل لسانه ، فينتزع عن قول الشعر ،  
 إلا أن ما كان يشابه من الأوجاع العظيمة ، وضغط الأنفاس ،  
 وعدم الصبر ، خلى بأن يمنعه عن القيام بعمل أدبي طويل النفس  
 كرسالة التوابع والزوابع . ولكن الإشكال في تاريخ السنة  
 التي أنشئت فيها ، والمستشرق بروكاهن لم يدلنا على أي شيء .  
 اعتمد في قوله إنها وضعت قبل رسالة العفران بعشرين سنة .  
 فرأينا أن نتقضى هذا البحث في قصودنا التي بين أيدينا ، لعلنا  
 نصل الى نتيجة مرضية ولو قليلا .

فأول ما يبدو لنا في مدخلها نبيهم أبي عامر في خطابه لأبي  
 بكر بن حزم ، لأنه « أوفى الحكمة صبياً ، وهزّ يجذع نخلة  
 الكلام . فأسأطع عليه روضاً جنيّاً . » فنعلم أن صاحبها كان  
 فني عندما توفر على تصنيف رسائله . ونجد هذه الإشارة الى  
 شبابه في قول قبيع الشنبي عندما سمع شعره : « ان امتدّ به  
 طلق العُمر ، فلا بدّ أن ينقث بدور ، وما أراه الا سيحتضر ،  
 بين فريجة كالجمر ، وهمة تضع أخمصه على مفارق البدر . » ثم  
 في حديثه مع بقلة أبي عيسى : « فقلت : ما أبقت الأيام منك ؟  
 قلت : كما ترون . قالت : شبه عمرو عن الطوق ! »



فهذه الاشارات الى صباه أو الى شبابه أو الى مجاوزته سن  
الحدادة ، لا تأذن لنا بأن نحمل رسالة التوايع والزوايع ولبدة  
أواخر حياته ، لأنها من دلائل فتورته ؛ فعلينا أن نسأل فصول  
الكتاب عن السنة التي ولدت فيها ، فقد تكون أهدى لنا من  
كلام المؤرخين .

ومن حسن الحظ أن أبا عامر ضمن رسائله هذه نشفاً من  
أخباره وشؤونه . وأورد فيها طائفة من أشعاره ، وذكر  
أشخاصاً ، منهم قدموا نحبه قبل تأليفها ، ومنهم كانوا أحياء .  
على أنه لم يورد خبراً يتصل بكهولته ، ولا شعراً قاله في مرضه  
أو بعد فتور شبابه . فمن أخباره ما يتعلق بحدادته وطلبه  
العلم : « فانتبعت الدواوين ، وجلست الى الأسانيد ، فنبض  
لي عرق الفهم ، ودرّ لي شريان العلم بواد روحانية . » ومنها  
ما يتناول خصومه الذين اتهموا شعره وخففوا عليه عند  
المنعين ؛ وكانت خلافته من سنة ٤٠٣ هـ الى سنة ٤٠٧ هـ .

بيد أن الرسالة كتبت بعد هذا العهد ، كما يدل الأشعار  
المدونة فيها ، على اختلاف أغراضها . فتعبته التي قامها ، وهو  
في سجن العلويين ، يصح أن تكون في خلافة علي بن حمود  
( ٤٠٧ - ٤٠٨ ) ، وهذا ما ترجحه ، لما تحرف به من الشدة  
والنكيل والمعادرة ، واعتقل الذين كانوا في خدمة المستعين .

أو في خلافة أخيه القاسم التي امتدت الى أن جاء يحيى بن علي  
 ينازعه عنه ابتلك سنة ٤١٢ هـ . فاستولى على قرطبة ، وتلقب  
 بالمعتلي ؛ وانص به أبو عامر ، غير أن القاسم عاد الى قرطبة  
 وملكها سنة ٤١٣ هـ وهرب يحيى الى مالقة ، فربما سجن ابن  
 شهيد في تلك السنة لحظوته عنده ، وكثرة مدائحهم فيه . وإذا  
 لم يصح ذلك ، وصح سجنه في زمن علي ، فبعض مدحه لبجبي  
 مروني في التواضع والزواجر مما يدل على أنها وضعت بعد سنة  
 ٤١٢ . وفيها أيضاً رثوة لأبي عبيدة حسان بن مالك ؛ وهذا  
 استوزره المتظاهر عبيد الرحمن الخامس سنة ٤١٤ هـ ، كما  
 يجبرنا الفتح بن حسان في «مطلع الأنفس» ولكنه لم يذكر  
 سنة وفاته ، وكذلك فصبته التي يمدح بها صديقه أبا محمد بن  
 حزم ، ويطري تذييلاته الشافعية :

فصل من التأويل فيها مبدأ ،  
 أخو شافعيات ، كريم العناصر

وابن حزم كان يميل الى المذهب الشافعي في عنوانه ،  
 فتعصب له وفاض عنه ، حتى وسم به ونسب اليه . ولما سقطت  
 الدولة العامرية سنة ٥٣٩٩ ( ١٠٩١ م ) هجر فرقه منّت لبشم  
 من أعمال تبلة ( Niebla ) وشخص الى المرية ( Almería )  
 فراراً من الحرب الأهلية ، وعمره يومئذ نحو خمس عشرة سنة .

ثم استقامت حاله في خلافة المستعين ، بغالاته في التشيع لبني  
أمية ، حتى اذا قُتل المستعين ، اعتقل وحُبس بضعة أشهر .  
وذُهب بعدها الى بلنسية ، فاقبل بالمرتضى عبد الرحمن الرابع  
الحليفة الأموي ، الى أن قُتل سنة ٤٠٩ هـ ( ١٠١٨ م ) فقبل  
الى بلدة . وفي سنة ٤١٤ هـ استوزره المستظهر عبد الرحمن  
الحامس مدة خلافته القصيرة . فمدح ابن شهيد له بشافعياته  
يشعبي أن يكون خلال تلك السنوات ، لأن ابن حزم عدل عن  
المذهب الشافعي بعد زيادة العنيف عنه ، فزاد في شاطبة سنة  
٤١٨ هـ ( ١٠٢٧ م ) بصنف كتاب طوق الحسامة ، وكتاب  
الفصل ، في ائمة والأهواء والنيجل ، ويتبع مذهب الظاهرية ،  
أخذاً برأي داود بن علي وأتباعه ، منصرفاً عن غيره من  
المذاهب .

والمدد الذي اعتمده المنصور بروجكمن بيت العلط ، لأن  
القصاصد التي أنشأها بها ، وذكرنا أنها وردت في رسالة التوابع  
والتوابع ، لا نسمح لنا بأن نجعل ولادتها سنة ٤٠٤ هـ ؛ فهي  
انما أبصرت النور بعد سنة ٤١٤ هـ ، ولم تتقدم رسالة الغفران  
بعشرين سنة ، بل ، على ما بدا لنا ، بتسبع سنوات أو أقل ،  
فقد كتبها أبو عامر في قوة شبابه بعدما نيف على الثلاثين .

عرفنا أن أبا عامر كان كثير الحُصوم والحُساد ، ولقي  
منهم عناءً وأذىً وضيقاً لم يحبر له ، فانبهرى بواقعهم وبناسلهم ،  
وينقص أديهم ، ويبسط آراءه في المنظوم والنثور ، والفن  
والجمال . فرمات التوابع والزوابع لا تعدو هذا الغرض الذي  
يومي إليه ، وهو المظن على أنداده ومنافيه من الوزراء  
والأدباء ، وأهل السياسة والقلم ، ثم المنافعة عن أدبه بالرد على  
غزوات ثقافته ، ثم اظهار محاسنه وقضائله في المتقدمين  
والمُتأخرين .

فقد عرض لنفاييه عند المستعين ، مندداً بضعفهم وعجزهم  
عن حلقه ، وألح بالاهراء على أبي القاسم الإلهي ، فقبس عليه  
بعلمه ومعرفته ، ودعا الى مباراته بالوصف شعراً ونثراً .  
وسخر بأدباء بلده ، ونسب القيامة الى أهل زمانه ، وعيرهم  
من صحة اللغة ، وحسن البيان . وجمّل الاهوزة الحقاء تابعة  
لشيخ من النحاة ، وقال لبغلة أبي عيسى : ، من اخوانك من  
بلغ الامارة ، وانتهى الى الوزارة . ،

وما نجشم الرحلة الأدبية الى وادي عبقر الا ليلقى توابع  
الشعراء والكتّاب ، وينال منهم اجرة النظم والخطابة ؛

فأجازه امرؤ القيس ، وطرفة ، وقيس بن الخطيم ، وأبو ثام ،  
 والبحثري ، وأبو نواس ، وأبو الطيب ، وعبد الحميد ،  
 والجاحظ ، وبديع الزمان ، وسوام . وأسمعهم من أشعاره  
 ورسائله ، وفاخرهم بإعراق بيته في الشعر ، ونقض أقوامهم في  
 أدبه ، وإنما هي أقوال تُقاده ، وعروضهم في فصائدهم  
 وأوصافهم ، فقال أبو نواس : « هذا شيء لم يلهه نحن . »  
 وقال أبو الطيب : « إنه أمتد به طلق العُسر . » سوف ينفت  
 بدور . « وقال عبد الحميد والجاحظ : « اذهب فانك شاعر  
 وخطيب . » وضرب صاحب بديع الزمان الأوتى برجله ،  
 عندما سمع منه وصف النساء ، فانفجرت له ، فغاب فيها عن  
 العيان ، لما لحقه من الحزي والانكسر .

فكيفما سرنا في رسالة التواضع والزواجع نجد أبا عامر شديد  
 الانحياز على خصائمه ، شديد المبالاة بأدبه ونبوغته ، يناقش  
 الشرق والغرب ، والقديم والمحدث ، ويدفع حلات النقاد  
 والمتعنتين ، ولا يرضى أن يُجار إلا شعراً وخصباً على السواء .

أقسامها

فسمنا رسالة التواضع والزواجع إلى مدخل وأربعة فصول ،  
 ونشرع الآن في تعريف هذه الأقسام تسليلاً لجمهور القراء .

يتحدث أبو عمرو في مدخل رسالته إلى أبي بكر بن حزم ،  
 فيذكر له كيف نعلم ونبحث له عرق الفهم ، بتليل من المطالعة ،  
 ثم ينتقل إلى جبر حبيب له مات ، فأخذ في رثائه ، فأرتج عليه ،  
 وإذا بجني اسمه زهير بن شمير يتصور له ، ويلقي إليه بتتمة الشعر ،  
 رغبة في احتفاظه ، كما نلاحظ في التوابع حالها ، فتأكد بينهما  
 الصلبة ، فأصبح ، كما سادت بوجهه مذاهب الكلام ، يدعو  
 ذبوه بإبيات ألفها عنه ، فيستل له ، ويوحى إليه .

#### الفصل الأول : توابع النمر

يسأل أبو عمرو صاحبه أن يزوره أرض التوابع والزوابع ،  
 فيطير به على مقل جواده ، حتى ينزل راوي الأرواح ، فيزور  
 صاحب امرئ القيس ، وصاحب طرفة من الجاهلين ، ويرغب  
 في النحول إلى أمثليين مبدئاً بتابع أبي تمام ، فيلقى في طريقه  
 شيطان قيس بن الحنظلي من شعراء الجاهلية . ثم يصير إلى توابع  
 الجاهليين وشعر الحيرة ، وينتهي به المطاف عند «خاتمة القوم»  
 صاحب أبي الطيب المتنبي . وفي ريثاقه هذه يساجل الشعراء  
 ويمارحهم ويدأكرهم . ويأخذ الإجازة منهم .

## الفصل الثالث - تروايح الكتاب

ويرغب أبو عامر في لقاء الكتاب ، ويدعوم الخطباء ، ولولا شوقه إلى الشعراء ، لكانوا عنده أولى بالتقديم ، فيسير اليهم مع زهير ، وقد اجتمعوا في بعض الزوج للمذاكرة ، وفيهم تابع الجاحظ وتبع عبد الحميد . فباخذان عليه شفقه بالسجع ، فبدافع عن نفسه ، فوجد من صاحب عبد الحميد عنفاً ، فيقابل به بالظن على بدابة أسلوبه ، فينسم له ويبسطه . ثم يقرأ عليهما رسالة الخنوء ، فيضحكان منها ، ويستحسنانها . ويشكو اليهما أمر حساده ، عند المنعجب ، وفيهم أبو القاسم الأفلح ، فيتصدى له تابعه بالقد والتجريح ، فيؤذ عليه ، وينفسه بأوصافه . وإذا بصاحب بديع الزمان يدخل بينهما ، فيعرضه أبو عامر في وصف الماء ، حتى يحججه . ثم يجيزه صاحب الجاحظ وعبد الحميد شاعراً وخطيباً .

## الفصل الثالث - فلك الجن

يحضر أبو عامر وتابعه مجلس أدب من مجلس الجن ، فيدور الكلام على بيت لدايفة فداول الشعراء معناه من بعده ، ولم يلحقوه ، وينشد بعض الجن أبياتاً في هذا المعنى ، يتسامى بها

على النابغة ، وانما هي من نظم أبي عامر . ثم يبحث الجني في  
الطريقة التي تحسن بها سرفه الشعر دون أن يفتضح صاحبها ؛  
ويأل أبا عامر أن يسمعه كلاماً يرعى تيلاع الفصاحة ككلام  
أبي الطيّب ، فيشده أمثلة من قصائده ، ويبدل بأشعار أجداده  
وأبيه وعنه وأخيه .

#### الفصل الرابع - حيوات الجن

يسير أبو عامر ورفيقه في أرض التوابع والزوابع ، فيشرفان  
على نادٍ لحير الجن وبغهم ، وقد وقع الخلاف بينهما في شعرين  
لحمدار وبقل من عشاقها ، فتدعوه للحكم فيها ، ويعرف من  
بينهم بغلة أبي عيسى ، فينحدث اليها ، ويتذكران دار الآنس ،  
ثم يعترضه إوزة في بركة ماء ، هي تابعة لبعض الشيوخ ، تريد  
مناظراته في الشعر والعريب ، فيردعها ، ويذكرها بسخفها  
وحققها ، وينتهي عندهما ما بلغ اليها من رسالة التوابع  
والزوابع .

هي رسالة الغفران

أقصى بنا البحث في تزيخ رسالة التوابع والزوابع إلى  
الاستدلال على أنها تقدمت رسالة الغفران بضع سنوات ؛ فغير



مستنكر أن يكون أبو العلاء قد اطلع عليها ، فنبهت فيه  
 فكرة الرحلة السابوية ، ثم جاءت رسالة ابن الفارح تدعوه الى  
 تصنيفها . ولا يدفع هذا الرأي بعد الثقة بين قرطبة والمغرب ،  
 وقلة انتشار الأدب الأندلسي في الشرق ؛ فان ابن شهيد لم  
 يكن من المغاربة عند المشاركة ، على تعصبهم لأدبهم ،  
 واستغفاهم بأدب المغاربة . فقد روى أبو منصور النعالي في  
 يتيمة الدهر طائفة صالحة من كلامه . والنعالي ولد سنة ٥٣٥ هـ  
 ( ٩٦٦ م ) أي قبل ولادة أبي عامر بثنتين وثلاثين سنة ؛ ونوفي  
 سنة ٥٤٢٩ هـ ( ١٠٣٧ م ) أي بعد ثلاث سنوات من وفاة أبي  
 عامر ؛ فهو معاصر له ولأبي العلاء . وصنف كتابه يتيمة الدهر ،  
 في صيفته الأولى ، سنة ٥٣٨٤ هـ ( ٩٤٤ م ) والعمر في اقباله ،  
 والشباب بانه ، كما يقول في مقدمته . ثم أعاد النظر فيه ، فلم  
 ترض نفسه عنه ، فاستأنف العمل ، وما زال يبنى وينقص ،  
 ويزيد وينقص ، ويحعو وينبت ، حتى أخرج نسخته الأخيرة من  
 بين النسخ الكثيرة ، ولم يتم له هذا الأمر إلا بعد ما أدرك  
 عصر السن والحكمة ، فتسنى له أن يدون من آثار ابن شهيد  
 بعض مدائحهم في بحسب المغتلي سنة ٥٤١٣ هـ . وشيئا من رثائه لأبي  
 عبيدة بن مالك وزير المستظهر سنة ٥٤١٤ هـ ، وأوصافه للجلواء ،  
 والبوغوث والشغب ، وهي واردة في رسالة التوابع والزوابع .  
 وإذا كان أبو عامر قد أنشأها قبل تصنيف رسالته هذه ، فإن

وصفه للماء ، ورواه التتالي ، هو من تطلب التتابع والزوابع  
كما ترجع ، وقعه خصوصاً لينافس به صاحب بديع الزمان ؛  
فتكون هذه الرسالة قد عابرت الى المشرق ، في حياة مؤلفها ،  
مع غيرها من آثاره ، وأخذ منها أبو منصور الى ينيسته . فمن  
المعقول أن يقف عليها أبو العلاء المعري فيثأثر بها ، وهو ، على  
ما نعرفه ، مغرم بالقراءة ، كفيف بالدرس والاطلاع .

واكن لا تزعم أنه انسحب على أذباها في رسالة الغفران ،  
فإن الشبه الذي نجده بين الرسالتين لا يحرم أبا العلاء حق  
التأليف ، وكلانها نسبو في طريقتي معبدها ، وتروى الى هدف  
مخصوص بها . فاذا قصد الكتابان عالم الأرواح في قصصهما ،  
فطريق أبي عامر قادته الى وادي الجن ، وطريق المعري قادته  
الى الآخرة . وإذا توافقتا في الطواف على الشعراء ، وعقد  
محالس الأدب والمنساقرة والنقد ، فإن أبا عامر نوحى هدم  
خصوصه وجساده ، وبهاء فضله وبسوغه ، وأما أبو العلاء فقد  
شاء أن يعبت بعقيدة الغفران ، ويتهكم أهل عصره في تصورهم  
الجثث حافلة بالملذات المحسوسة ، والنار مشبعة بالوان العذاب  
والتنكيل ، وإن لم يفته الادلال بعلمه وسعة اطلاعه .

ووجه المعري رسالته الى رجل يُعرف بابن القارح ، كما  
وجه ابن شهيد رسالته الى رجل يدعى أبا بكر بن حزم ؛ إلا-

أن الكاتب الشامي جعل صاحبه بطلاً لقضه ، تدور عليه  
حوادثها ؛ ولم يذكر للكاتب الأدلبي صاحبه إلا في يده  
رسالته ، ثم سكت عنه ، وأقام من شخصه بطلاً للقضه ينعمه  
حوادثها بنفسه ، مستحجباً تابعه زهير بن غير دون أن يولييه  
عملاً يستحق الذكر ، غير التعريف بالأشخاص والأماكن .

وبني موضوعه على ما عرفه وشاهد من بحال الأدب  
والمناظرة في زمانه وقيل زمانه ؛ وعلى ما بلغ اليه من عقيدة  
العرب الأقدمين ، وهي أن لكل شاعر رئيساً من الجن يحبه ،  
وينبئه ، ويوحى اليه . غير أنه لم يوفق في تصوير عالم الجن ،  
وغرائب أرضه وخلقه ، وما استبر عنهم من القدرة على  
الطولة والأزليان بالحوارق التي يعجز عنها الأناسي . فما نرى  
من أحوالهم العجيبة إلا ما حات ضئيلة لا معنى لها أدب الخرافات  
والأساطير ، كما في كلامه على جواد زهير بن زهير ، وكيف  
طار بها إلى أرض الشوايع . أو في حديثه عن تابع أبي قام :  
« فانطلق ماء العين عن وجهه في كفيقة القمر ، ثم اشتق الهواة  
صاعداً إليها من فعرها ، حتى استوى منها . » أو قوله في زبدة  
الحقّاب صاحب بديع الزمان : « فلما انتهت في الصيفة ،  
ضرب زبدة الحقّاب الأرض برجله ، فانفجرت له عن مثل  
برّهوت ، وتدهدى إليها ، واجتمعت عليه ، وغابت عينه . »  
ومثل ذلك أخبار حيوانات الجن في اجتماعها وأحاديتها . فعالمهم

ابن شهيد إنسي ، وإن أضافه إلى حجة عبقر ، وتوابع الشعراء  
والكتاب جدية بأن تكون مثلاً لأصحابها ، لا أن تُعَدَّ في  
الجِثَّان ، فليس في وادي الأرواح شيء يختلف عما في  
واديها من المخلوقات الحيَّة ، وغير الحيَّة ، سوى ما أشرنا  
إليه ، وسوى أن الحيوان عاقل فاطق كما في كلبه ودمته ،  
وشاعر عاشق متغزل كما في عبث بشار .

وأذا قلنا إن هذه الأرواح من عالم المثل ، فما نريد به  
الإفراط على أفلاطون وأتباعه من فلاسفة العرب ، وإنما نقصد  
أن أبا عامر أليس التوابع أنواب أصحابها ، فجاءت على غرار  
المثل الأفلاطونية في بعض حدودها ، وأبانت عن شخصيات  
الشعراء والكتاب في الصفات والأخلاق والآداب . فصاحب  
أمرئ القيس فارس على فرس شقراء تذهب ، في واد ذي دوح  
تتكسر أشجاره ، وتزعم أطياره ، كدائرة جلجل ؛ ونابغ قيس  
ابن الخطيب فارس كأنه الأسد ، غضوب يخشى شربه ، ويشتقى  
نهديده ، وكذلك كان الشاعر الجاهلي في بطشه وانتقامه . ونجد  
وقيء أبي تمام يعني بالمدح والثناء كصاحبه الضاني ، ويوصي أبا عامر  
ألا يكذب فربحته ، إذا دعته النفس إلى القول ؛ وأن يُنتفع  
شعره ، بعد جِثَّام ثلاثة أيام من نظمه ، فيذكرنا بوصية أبي تمام  
للبحراني . ونسمع قراع النوافيس بذات الأكيواع من ديرة حنة ؛  
وتبدو الرهايين مشددة بالزناوير ، يبيض اللحن والحواجب ، قد

قبضت على العكاكيز ، ثم شرف على بيت قد اصطفت دنانه ،  
وفي فرجنه شيخ طويل الوجه والسبلة ، قد افترس أضغاث  
زهر ، واتكأ على زق خمر ، وغلبت عليه نشوة الراح فما  
يستفيق إلا على صوت ابن شهيد ينشده خمرية ، فبتريده ، ثم  
يسأله إنشاد قطعة من بحونه . وما ذاك الشيخ سوى حسن  
الدنان شيطان أبي نواس . وتوى صاحب المتنبى فارساً على فرس  
بيضاء ، ينظر من مقلة ثواء ، قد ملئت نهباً وعُجْباً ، ولا  
يرضى الشعر إلا متيناً شديد الأثر ، شأن أبي الطيب . وبطل  
عليها شيخ أصلع ، جاحظ العين اليمى ، عليه فلدنوة طويلة ، نذكرنا  
بدلويلة أبي عثمان في حضرة القاضي أحمد بن أبي دؤاد ، وإلى  
جنبه شيخ آخر ، هو صاحب عبد الحميد ، وكلاهما يكره  
السجع والتكلف . فاذا فات أبو عامر بن شهيد براعة التصوير  
لعالم الجن ، فما فاته إحسان تثيل الأدباء في أشخاص نوابعهم ،  
وهذا شيء بحمد عليه .

وتبين من خلال طوافه ومساجلاته ، إجلاله لبعض الشعراء  
والكتاب ، وجرأته على بعضهم الآخر ، بينما تراه يلقي تقييماً  
ابن نوفل صاحب امرى القيس ، فيلكاً عن الإنشاد في حضرته ،  
ويهم بالحبيصة ، ثم ينظر إلى حسن الدنان ، فتدركه مهابته ،  
ويأخذ في تعظيمه لمكانه من العلم والشعر ، تجده يتعرض لأبي  
الطبع تابع البحتري ، فيسأله في القريض ، فيسود وجهه ،

ويكرر راجعاً الى نورثيد دون أن يسلم ، وينافس زبدة  
الحق صاحب بديع الزمان في وصف الماء ، فيشق الأرض  
برجله ، فتبتلع ، من سدة الجبل . وهو في الغالب يستطيل على  
معاصره أكثر منه على المتقدمين ، ولأن الجاهلية في نفسه  
حرمة ووقار .

وأما أبو الهول فإنه بنى موضوع رسالة الفجران على ما ذكر  
من وصف الجنة والبار وموقف الحساب ، في القرآن والحديث ،  
ونصائيف المنصوفة مثل كتاب التلويح للمعاشي ، وما جاء من  
القصص والشروح والتفصيلات على خبر المراج . فكان في  
نصوير عالم الآخرة أبرع من أبي عامر في نصوير عالم الجن ، وإن  
يكن الجبال ، عندهذا وذاك ، يساق الى الانشاع أكثر منه  
الى الابداع ، فظهرت الجنة بأنهارها وأشجارها ، وطلامها  
وشراها ، وجمال حورها ، من الصالحات الناجيات ، وفيهن  
من كانت دمية سوداء ، فأصبحت في الجنان حوراء عيناء ،  
شفافة بيضاء ، أو من انشأت في الحلاله أبنكاراً عُرباً أتراباً ،  
نشق عنهن الأتعار ، فيخرجن منها كواعب يوفسن ، فهتز  
أرجاء الجنة . والصالحون متكئون على مقارن من السندس ،  
أو بحلمهم الحور والوردان على سرور من روجد أو عسجد ،  
وم مستلقون على ظهورهم ، متعمون بالراحة الكبرى . فإذا  
رأوا عنقوداً من العنب أو غيرة ، انقضب عن الشجرة بمشقة

الله ، وحملت القدوة الى افواههم ، إذ لا هم لها إلا نلبية شهور  
الأيام الناجين .

وموقف الحشر شديد أهول والظلم ، كثير الزحام ، لا  
يدخل الجنة فيه إلا من عُفِرَ له ، وختم عمله بالتوبة في الديوان  
الاعظم ، وأعطى جواز المرور ، فينهب من الخوض نقبات لا  
ظلماً بعدها ، ثم يعبر الصراط الى جنات النعيم .

ويرى الناظر من المفضلين الى النار إبليس يعطرب في  
الأغلال والسلاسل ، ومقامع الحديد تأخذه من أيدي الزبانية .  
فاذا التمس منك ، وقد جوت يادن الله ، حاجة ، لا تستطيعها  
له ، لأن الآية جئت في أهل النار : « ونادى أصحاب النار  
أصحاب الجنة ، أن أقبضوا علينا من الماء ، أو مما رزقكم الله .  
قالوا : إن الله حرمها على الكافرين ! » وهذا صخر أخو الخساء  
كاجليل الشامخ ، تضعرم النار في رأسه : كأنه غام في رأسه  
نار . وذلك بشار قد أعطي عينين لينظر الى ما نزل به من  
النكال ، فاذا أعرضهما حتى لا ينظر ، فتعينا الزبانية بكلايب  
من نار . وهناك عثرة بتلدد في السعير ، والأخطى يتخور  
ويزفر زفرة تعجب لها الزبانية . فرساة الغفران لا تشغل على  
أبلغ من ذلك في وصف النار والعذاب ، وإن هي أدق تصويراً  
للجنة وموقف الحساب .

وأقام أبو العلاء في الفردوس المآدب الأنيفة ، وبجالمين اللهب  
والشراب ، والرقص والغناء ، على ما هو مألوف في الحياة  
الدنيا ، مع ما استفاد من أوصاف الكتب الدينية ، أو زينه  
بخياله وفنه ، كذكر طاووس الجنة ، وانبعاثه حياً بعد ذبحه  
وأكله ، أو حديثه عن شجرة الجوز ، وانشاق كل جوزة منها  
عن أربع جوارير يرفصن على الآيات المنسوبة إلى الخليل .  
وعقد حلقات الأدب والمذاكرة شأن أبي عامر في التواضع  
والزواجع ، فطوَّف حاجته ابن الفارح على الشعراء وعلماء اللغة ،  
ينظر في شؤونهم وأحوالهم ، ويسألهم : بجزء غفر لهم ،  
ويستفسرهم أموراً تختص بهم ، أو يرفع بينهم المناقشة  
والمناظرة ، على مثال ما تقع بين الأدباء في الدار العاجلة ، مع  
أن الجنة رحمت ما في صدورهم من الخقد والشعاع . فالأعشى  
صار عشاء حزيناً ، والنحساء ظهره قواماً ؛ وقد شفع له  
الرسول ، حرمة يمنَّ بها إليه في مدحه ، فغفر له ، وأدخل  
الجنة على أن لا يشرب فيها خمراً . وزهير شاب كالزهرة  
الحنينة ، كأنه ما سمَّ تكاليف الحياة ، ولا عمر تسعين حجة ؛  
غفر له لإيمانه بربه ، قبل الإسلام ، ووصيه لبيه بأن يطيعوا  
القائم الذي يدعوهم إلى عبادة الله . وعبيد بن الأبرص غفر له  
ببيت من الشعر يقول فيه : « وسائلُ الله لا يجيب » . فكثير  
رواته وحفاظه ، وما زال يُنشد ويُحفظ ، حتى أسقط العقوبة



عن صاحبه ، وشملته الرحمة ببركته . وعدي بن زيد مات  
نصرانياً فقفر له ، ولم يدرك الاسلام لتقوم الحجة عليه . وهو  
صاحب قنص وغو في الجنة ، كما كان في الدار الثانية . وبأله  
ابن القارح عن إعراب بيت له استشهد به سيويه ، فيجيبه :  
« دعني من هذه الأباطيل ! » وكذلك كان جواب بشار من  
أسفل الجعبي ، عندما سأله عن تسكين ياء السبند في فافيته ،  
فقال : « دعني من أباطيلك ، فاني مشغول عنك ! » ويجمع  
الناطقة الجعدي والأعشى في مجلس غناء ، فتحدث بينهما لملاحاة  
أدبية ، يشقان فيها ، وينتازعان فضل الشاعرية والحسب ،  
فيستوففها ابن القارح ، ويقول لهما : « لا عريضة في الجنان . »

وبشند أبو العلاء في النقد والغمز على المحدثين أكثر منه على  
الأقدمين ، فإذا غاب الأئمة في قافية عمرو بن كلثوم ، لم يزد  
على أن يقول بلسان ابن القارح : « لو ددت أنك لم تساند في  
قولك . » ويأبى أن ينسب إلى امرئ القيس آياتاً من القميط  
ركبكة ، ظاهرة النحل ، فجعله ينكرها فيقول : « والله ، ما  
سمعت هذا قط . » مع أنه لم يترفق في نقد بشار ، على إعجابه  
بشعره ، ولا أولى أبا تمام شيئاً من عطفه ، حين ترك عنزة  
يقول في سلامه : « أما الأصل فعربي ، وأما الفرع فنطوق به  
عربي ، وليس هذا المذهب على ما تعرف قبائل العرب . »

وكان لأبي علي الغفاري نصيب من نقده وسخره . فآلب  
عليه جماعة من الأدباء في الجنة ، نلومه وتعتته لتأويلاته  
المستهجنة في اللغة والنحو ، فينقذه ابن القارح منهم ،  
ويبعدهم عنه .

وأنزل سخطه على الرزازين ، فجعل بيوتهم دون سائر  
البيوت السابغة ارتفاعاً ، كما تنخفض أيات الرجز عن أيات  
القصيدة ، وعمد إلى صاحبهم روية بن العجاج ، فأكثر الإهزاء  
عليه ، وعاب قوافيه النفرة ، وحلابة النفاضة ، وضيق الخراصة  
ومعانيه .

وللجن في رسالة الغفران موضع باسم جنة الغفاريت . ليس  
عليها النور التمتعاني كجنت الأناسي . وإنما هي أرحل وغامض البيل ،  
وأهلها بدرهم المشيب ، مع أن سائر أهل الجنة شباب ، لأن  
الجن أعطوا الخلود في الدار النافضة ، فكانوا يتصورون ، على  
مسيبتهم ، حبة أو عصفوراً أو حمامة ، فحرموا الشباب ،  
وقبض النور الذي في الجنة ، وصور بنو آدم فيها أحسن  
تصوير . وهذا يأتي أبو العلاء على ذكر أشياء من خصائص الجن  
كتحولات أبي مدرش ، ورجم الغفاريت بالشيب المعروفة ، مما  
لم يُعَيَّن به أبو عامر في رسالته ، إلا أنه لم يرفع شأن الذوابع  
مثله ، بل عدهم أطيفلاً من الجن ، ينفتون إلى الانس القليل

من الشعر والأوزان : « وهل يعرف البشر من التنظيم إلا كما  
تعرف البقر من عم أفيئة ، ومساحة الأرض ؟ ! »

والحيوان عند المعري عاقل ناطق ، كما هو عند ابن شهيد ،  
غير أنه يستطيع النحول إذا شاء . ون حبة الفردوس همت  
بأن تنتفض من إعاليها فتصير مثل أحسن غوافي الجنة ، ليتوشف  
الشيخ ابن الفارح وضاحها ، وهذا لم تمنعه بغلة أبي عيسى في  
النوامع والزوابع ، مع ما بها من الشوق إلى أبي عامر .  
وكلاهما ذكر الأبور في رسائله ، فأما إوزة ابن شهيد ، وإنما  
أدبية نحوه تبحث في الأصول والفروع ، ولكنها بلهاء حمقاء ،  
كما هو معروف عن رسالت جنسها . وأما إوزة المعري ، فقد  
نفذت عنها في الجنة بله الأبور ، ونوعها أن تنحول كالعباء  
حذاء ، توفد في وشي الفردوس ، وتحسن الغذاء والضرب على  
الأوتار . وقد أبدع أبو عامر في وصف حركات إوزته وتقلبها  
في المساء ، كما أبدع أبو العلاء في سيرة المظنفة ، حين أراد  
جماعة الشعراء أن يقدموا الإبورات المعبيات ، فقال لبيد بن  
ربيعة : « إن أخذ أبو ليلى فينة ، وأخذ غيره متلبا ، أليس  
ينتشر خبرهما في الجنة ، ولا يؤمن أنه يسمى فاعلو ذلك  
أزواج الأبور ! »

والسخر في رسالة العفران من أخص ميقاتها الأدبية ، فإن  
ضرب المعرفة على تشاؤمه المظنم ، ينبأ إليه في تصانيفه ، تسيداً

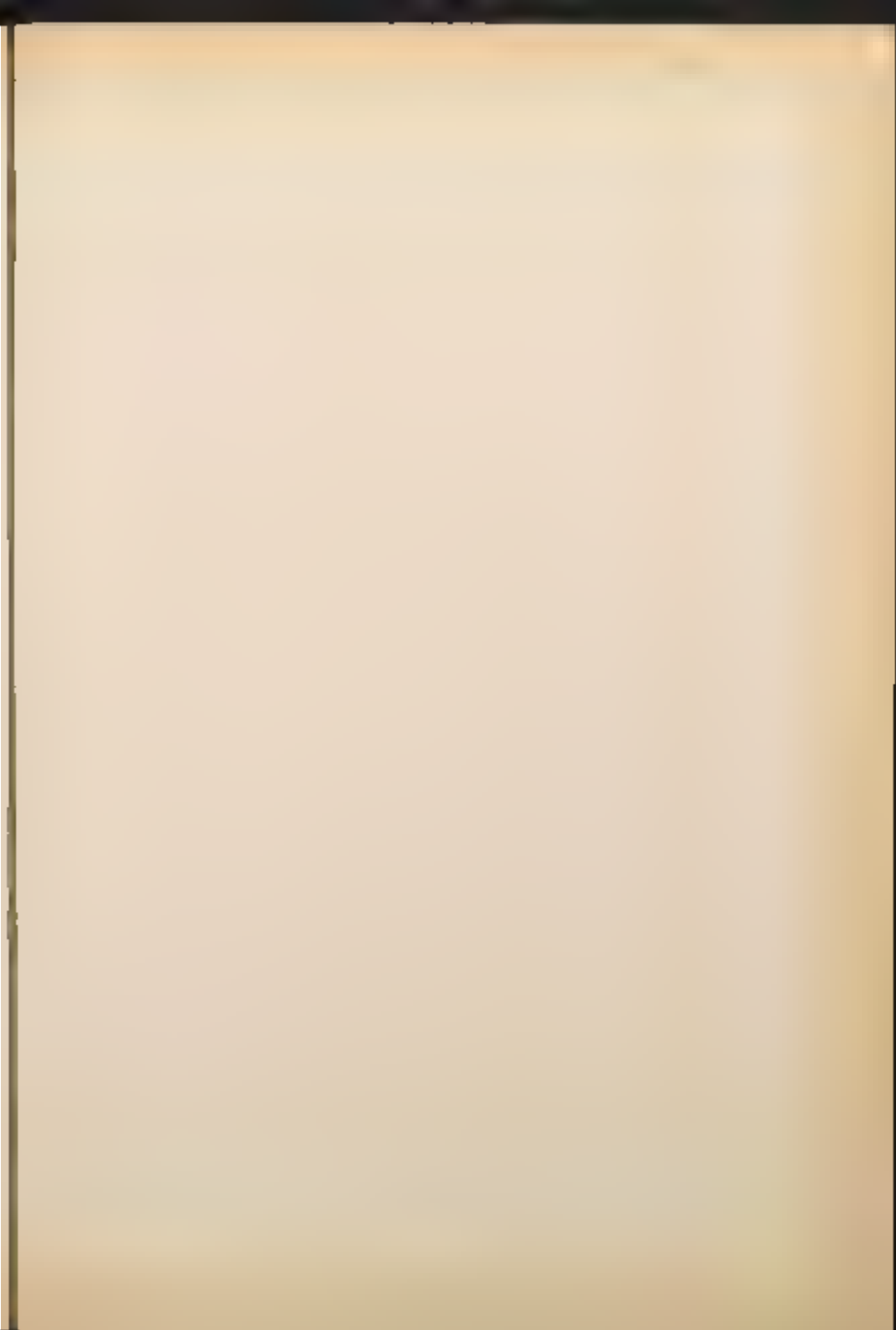
لآرائه الفلسفية ، وإرضاء لشكه واضطرابه في الغيبيات والعقائد الدينية ؛ وببيل به في الرسالة إلى الدعاة والعيث ، فهو ناعم الملمس لا خشونة فيه ، عميق الغور ، يغشيه سنا من الإيمان والاستدلال بالآيات والأحاديث . فإذا صنع ابن القارح مآذبة في الجنان ، قال : وتلك لذة يهبها الله ، عز سلطانة ، بدليل قوله : « وفيها ما تشبهه الأنفس ، وتلذ الأعين ، وأنتم فيها خالدون ، وتلك الجنة التي أورتسوها بما كنتم تعملون ، لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون . » وإذا انطلقت غار الجنة عن حوريات نهرى لحنها ، فإن : هذا كما جاء في الحديث : « أعددت لعبادي المؤمنين ما لا عين رأت ، بذا ما اطلعت عليه . »

فمدار سخره على ما يتصور الناس من الأشياء المادية في الآخرة ، ثم على عقيدة الغفران ، وسهولة الحصول عليه عندهم ، فربما غفر الله للخامر بيت من الشعر يحفظ ويروى ، كما غفر الأعشى وزهير وعبيد والخطيب .

ولا تخلو رسالة التواضع والتواضع عن السخر ؛ فإن ابن شهيد ، في تعرضه للشعراء والأدباء ، أخرج الكلام عليهم 'مخرّج' الهزل والتهمك ؛ إلا أن سخريته تنقسم بالحدة والخشونة والإفذاء والوضوح ، كما في قوله : « وقلت للمنشدة : ما

هرويث ؟ قالت : هرويث ، بلغة الحميم . فقلت : والله ، إن  
للرأوث رائحة كريهة ، وقد كان أنت النافعة أجدر أن يحكم في  
الشعر . « وفلما تلطفت واستدق فيها ، مثل قوله للأبوزة  
النحوية : « محمول عليك ، أم خفيف ، لا يلزم الأوز » حفظ  
أدب القرآن . »

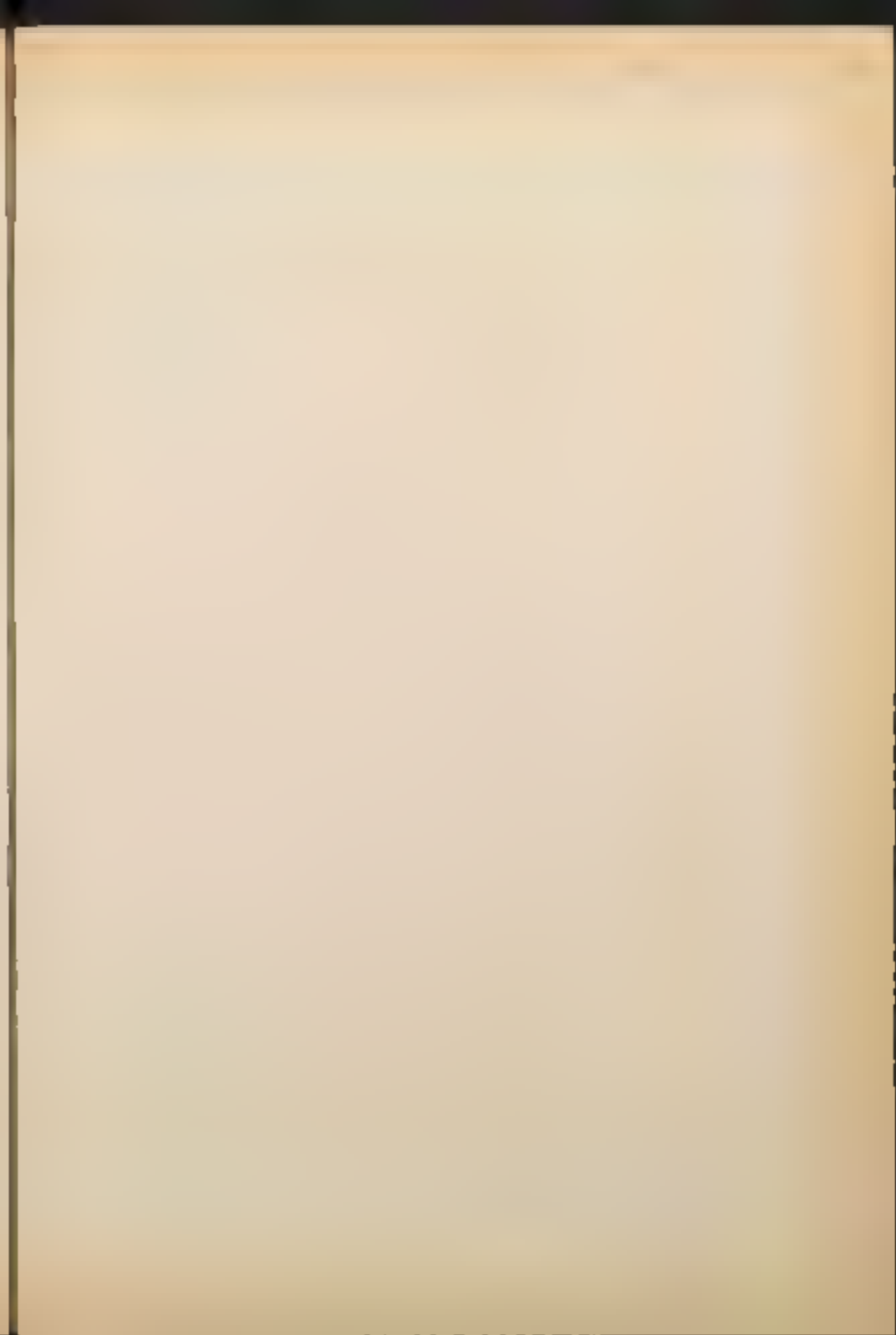
وأما لغة التوابع فأنها رقيقة طيبة ، موشاة أنيقة ، غنية  
بالأوصاف والصور والألوان ، بخلاف رسالة الففران ، فإن  
لغتها تكاد تقتصر إلى الوشي والتصوير ، إلا ما اقتبس صاحبها  
من القرآن ، أو أخذ عن سابقه . وهذا أمر طبعي في كاتب  
خبر طيفي . النور في عينه عن الصورة واللون ، فيل من  
الادراك والتميز . فأنبو عامر بسو على المعري بروثق الديباجة ،  
ودقة الوصف ، ولكنه ينحدر عنه بعمق الفكرة ، ولطافة  
السخر ، وغوة الجاذبية ، وسحر الاستهواء ؛ وله فضل التقدم  
على كل حال .



الكتاب الثاني

رسالة

التوابع والزوابع





## المرغل

زهير بن نمير

لله أبابكر<sup>١</sup> ظن<sup>٢</sup> زمينه فضيت<sup>٣</sup> ، وحذر<sup>٤</sup> أمله فما  
أشويت<sup>٥</sup> ! أبدت<sup>٦</sup> بها وجه الجليته ، وكشفت<sup>٧</sup> عن غرة<sup>٨</sup>  
الحقيقة ، حين لمعت<sup>٩</sup> صاحبك الذي تكبته ورأيت<sup>١٠</sup> قد  
أخذ بأطراف السماء ، فألف بين قمرها ، وضم فرقدتها ،  
فكلما رأى نغراً سده<sup>١١</sup> بهاها<sup>١٢</sup> ، أو لمح خرقاً رمته<sup>١٣</sup> برأهاها<sup>١٤</sup> ،

١ أبو بكر : هو أبو بكر بن حزم ، كما ذكر ابن سبويه واسمته شجرة في  
الاندلس ومنها الفقهاء والوزراء والأدباء . جاء في وفيات الأعيان : وكان بين  
ابن شهيد وابن حزم الظاهري مكاتبات ومداينات . والمراد به القليبة أبو  
محمد بن حزم . وذكر الفتح بن خافان في مطلع الانفس ان ابن حزم كنبه  
أبو القيرة ، وكان هو وابن شهيد حبيبي معاه لا يمتصلان في رواج ولا  
مقيل . وابن حزم هذا من الوزراء الكتف .

٢ ضميت : أي رميت ففتلت الصيد في مكانه . ما أشويت : ما أخطأت القتل .  
يقال أشواه : أصاب شواه : أي أطراه ، لا مقته .

٣ السبي : كوكب حقي من بنات نعلن الصغرى ، مجاور لمقطب ، وكان العرب  
يمسكون به بأصابع حقائقته .

٤ رمة : اسمها الزباني : واحد الزبانيين ، وهذا كوكبان نيران في قرني برج  
العقرب معترضان بين الشمال والجنوب ، بينهما قيد ومع بينهما العقرب في  
التيمة السابعة عشرة .

الى غير ذلك . فقلت : كيف أوتي الحكم حياً ، وعز  
يخضع نخلة الكلام فاساغة عليه وطباً حياً ؟ أما إن  
به شيطاناً يديه ، وشيطاناً يديه ! وأقيم أن له تابعة<sup>٢</sup>  
تسببه ، وزابعة<sup>٣</sup> تؤيده ، ليس هذا في مذرة الانس ،  
ولا هذا النفس هذه النفس . فأمنا وقد قلنا ، أيا بكر ،  
فأصبح أسيمك العجب العجيب :

كنت أراهم كتب أفيحاء ، أحسن الى الأدباء ، وأصبوا  
الى تأليف الكلام ، فانشبت الدوائر ، وجلست الى  
الأسانيد ، فنبض في عرق الفهم ، ودر في شربان العلم ،  
براد روحانية ، وقلبي الاتباع من النظر يزيدني ، ويسير  
المفادع من الكتب يزيدني ، إذ حادف شئ العلم طلبة .  
ولم أكن كالمليح نقديس<sup>٤</sup> مه ذرا ، ولا كالحجار بحيل  
فسفرا . فطعنت ثغرة<sup>٥</sup> اليدين دراكاً ، وأعلقت رجلاً  
طير . أمرا كذا ، فالت في العجائب ، وانجالت علي الرغائب<sup>٥</sup> .

١ الشيطان : اسم الشيطان ، وفيه من الجن .

٢ التابعة : حية تحب الانسان وتدمه حيث ذهب .

٣ الزابعة ، والمعروف الزوبعة ، كما في القاموس وغيره من المعجمات ؛ وليس نحن

أول اسم شيطان ، يجمع على زوابع .

٤ التل : أنصب ، وعليه الخول تابع وكثر فلم يدر بأيه يبد .

٥ الرغائب ، جمع الرغبة : الأمر الموعود فيه ، والمغاة الكثير .

وكان لي أوائل صبيوتي مومي اشتد به كلفتي ، ثم لحقتني  
 بعد ملل في أثناء ذلك المسيل . فالتفت أن مات من  
 كنت أعواد مدة ذلك الملل ، فجزعت وأخذت في رثائه  
 يوماً في الخائر ، وقد أبهت عي أبواه ، وانفردت فقلت :

نولس الجيام بضبيير الحذور ،  
 وهوا الودي بالقرال الفرير

الى أن انتهت الى الاعتذار من الملل الذي كان ، فقلت :

و كنت مبدئتك لا عن قبلي ،  
 ولا عن هاجر جرى في كسيري

فارتج علي القول وأفجنت ، فإذا أن بفارس بباب  
 المجلس على فرس أدعهم كما بقل وجهه . قد انكأ على  
 روجه ، وصاح بي : أعجزاً يا بني الألس ؟ فأت : لا وأبيك ،  
 للكلام أحيان ، وهذا شأن الإنسان قال لي : قل بعده :

كشيل ملال الفتى للنعيم ،  
 إذا دام به ، وحال الشور

١ الخائر : البستان .

٢ بقل وجهه : خرج شعره .

فَأَمَّتْ بِجَارَتِهِ ، وَفَلَّتْ لَهُ : بَأْيَ أَنْتَ ! مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ :  
 أَنَا زَعِيرٌ بْنُ زَعِيرٍ مِنْ أَشْجَعِ الْجِنِّ<sup>١</sup> . فَقُلْتُ : وَمَا الَّذِي  
 جَدَاكَ إِلَى التَّصَوُّرِ فِي ؟ قَدْ : هَوَى فَيْكَ ، وَرَغْبَةً فِي  
 اصْطِفَائِكَ . قُلْتُ : أَهَلَا بِكَ أَيُّهَا الْوَقَّاحُ ، صَادَفْتَ  
 قَلْبًا إِلَيْكَ مَقْلُوبًا<sup>٢</sup> ، وَهَوَى نَحْوَكَ مَجْذُوبًا . وَتَحَادَّثْنَا حِينًا  
 تَمَّ قَالَ : مَنِ شِئْتُ اسْتَحْضِرِي فَانْبِذْ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ :

وَإِي زَعِيرَ احْبُ ، يَا عَزَّ ، إِنَّهُ  
 إِذَا ذَكَرْتَهُ الذَّاكِرَاتُ أَقْلَعَا<sup>٣</sup>

إِذَا جَرَّتِ الْأَفْوَاهُ يَوْمًا بِذِكْرِهَا  
 يَخْبِلُ فِي أَنْسِي أَقْبَلُ فَاها

فَاعْشَى دَهْرَ الذَّاكِرِينَ ، وَإِنْ نَأَتْ  
 أَجَارِعُ مِنْ دَارِي ، هَوَى فُتَوَاهَا

- 
- ١ اشجع الجن : أي ينسب إلى بن اشجع في الجن ، وابن شهيد ينسب إلى بني  
 اشجع في الآس ، عينه وبين شيطانه قرابة ، وبنو اشجع قبيلة عربية .  
 ٢ اليك : أي شوقاً إليك . مقولاً . مصاباً . من قلبه : أصاب قلبه ، وبأثره  
 مقولاً بمعنى محولاً ، فيكون المعنى محولاً إليك . يقال : قلبه ، أي حوله  
 عن وجهه .  
 ٣ والي : لحقه الخرم ، وهو حذف أول التوسد المجموع من أول البيت ، أي  
 حذف فاء مولين في الطويل ، فبقي عولن ، فقال إلى فعان .  
 ٤ أجارع : جمع أجرع ، وهو الكتيب له جانب رمل ، وجانب حجارة ، أو  
 هو أرض ذات حذوثة يمشيها رمل

وأوتيت الأدم جداراً خاطئاً ثم غاب عني . وكنت ،  
 أبا بكر ، من أريج علي ، أو انقطع لي مسلك ، أو  
 خالني أسلوب أنشد الأبيات فنبش لي صاحبي ، فأسير إلى  
 ما أرتب ، وأذكرك بقريجي ما أطلب . وقد كنت صحياناً ،  
 وجرت فقص أولاً أن يطول الكتاب لذكرت أكثرها ،  
 لكشي ذاكير بعضها .

## الفصل الأول

### توابع الشعراء

#### شيطان امرئ القيس

تذاكرت يوماً مع زهير بن أبي نعيم أخباراً الخطباء  
والشعراء ، وما كان يأنسبهم من التوابع والزوابع ، وقلت :  
عن حيلة في لقاء من انتفى منهم لا قال : حتى أستاذن  
شيطاناً . وطار عني ثم انصرف كمنهج البصر ، وقد أذن  
له ، فقال : اهل على منبر اجتواد . فصرنا عليه ، وسار بنا  
كالطائر يجتنب الجو والجو ، ويقطع الدو والدو ، حتى  
التسحت أرضاً لا كأرض ، وشارفت أجواء لا كجوانا ،  
متفرع الشجر ، عطر الرقعة ، فقال لي : حللت أرض

الجن أيا عامر ، فمَنْ تريد أن تبدا ؟ قلت : الخطباء  
أولى بالتقديم ، لكنني إلى الشعراء أشوق . قال : فمن تريد  
منهم ؟ قلت : صاحب امرئ القيس . فأمال العبد إلى  
واحد من الأودية ذي دوح تشكيرا أشجاره ، وفترشم  
أطياره ، فصاح : يا غنية بن نوفل ، يسقط المئوي  
فصومئ ، ويوم داره جاجل ، إن ما عرخت علينا  
وجهك ، وأنشدتنا من شعرك ، وسبعت من الإنسي ،  
وعرفتنا كيف إجادتك له ! فظهر لنا فارس على فرس  
شعره كأنها غريب ، فقال : أحيك أم ؟ يا زهير ، وجنا  
صاحبك ! أهذا فاعله ؟ قلت : هو هذا ، وأي نجمرة يا  
غنية ! فقال لي : أنشد ؟ قلت : السد أولى بالإشاد .  
فطامح طرفة ، واهتز عطفه ، وفلن عذبة الشقراء ،  
وضربها بالسوط ، فسلت نحضر طولاً عث ، وكثر فاستقبلنا  
بالصعدة<sup>١</sup> مازعا ، ثم زكزعا وجعل ينشد :

سألك شوق بعدما كان أقصر<sup>٢</sup>

١ يسقط : الباء لقم .

٢ الصعدة : القناة المستوية .

٣ ساء لك : مطاع قصيدة مشهورة لامرئ القيس : غاضا وهو داهب إلى بلاد الروم .

حتى أكتلب ثم قال في : أنشد : فبست بالحبيبة ،  
ثم امتدت فبوى نفسي وأشدت :

تجنته معان من سليمى وأدورا

حتى انتهت فيها الى قوى :

ومن قبلة لا يدرك الظرفا وأساء  
تزلها بها ربيع الضيا فتعذر

مكثتني والنيل فد جاش بحرارة ،  
وفد جعلت أمواجيه فتكسر

ومن تحت حضي أبطن ذو سفاق ،  
وفي الكف من غشاو الخط أسير

فب صاحبائي من لدن كنت بأفعا ،  
مقبلين من جد الفنى حين يعثر

فدا جدوتنا في الغمد نسى به المنى ،  
فدا غصن في الكف ينجى فيلير

---

١ الحبيبة : الأنهرام والفرس .

٢ الغاني : المازل . المأور : جمع دار .

٣ السفاق : جمع سفيقة وسفوفة ، وهي فريد السيف أو طرائقه .



فلما انتهيت تأملتني غيبة ثم قال : اذهب فقد أجزتك .  
وغاب عنا .

## شیطان طرفة

فقال لي زهير : من تريد بعد ؟ قلت : صاحب طرفة .  
فجزعنا وادي غيبة ، وركضت حتى انتهيت الى غبضة  
شجرها شجران : سام يقوح باراً ، وشجر يعبق عدياً ،  
وغاوا . فرأيتنا معينا نسل ، ويدور ماؤها فلكياً  
ولا يحول . فصاح به زهير : يا غنوا من العجلان ، احمل  
بك زهير وصاحبه ، فبحولة ، وما قطعنت معها من ليلة ،  
إلا ما عرضت وجهك لنا فبدا إلينا رأيت جميل الوجه ،  
قد فوسح الشيب ، واشتمل عليه كساء خمر ، ويبد  
حطتي ، فقال : مرحباً بكما ، واستشدني فقلت : الرعي  
أولى بالانشاد ، فأنشد :

١ جزعنا : قطعنا

٢ السام : الخيزران . البهار : بنت طيب الراححة بنت أيبه الربع ، ورده أصفر

الورق ، أحمر الوسط ، أحمر من ورق النابونج ، ويقال له العرار .

٣ الشجر أو الشجر كما في القاموس وغيره من المعجمات : اسم شجر .

٤ المتيدي : أي الشجر المتيدي ذو الراححة الزكية .

٥ معبنة : ظاهرة جارية على وجه الأرض .

لَسَعْدَى بِحِزِّ انِّ الشَّرِيفِ نَطْلُولُ

حتى أَكْمَلَهَا ، فَأَتَشَدُّهُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

أَمِنْ رَمَمِ دَارِ الْعَتِيقِ مُجِيلِ

حتى انْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِي :

وَمَا هَبَّطْنَا الْغَيْثَ نَدْعُرُ وَحْشَةَ

عَلَى كُلِّ خَوَارِ الْعَيْنَانِ أَمِيلِ

وَوَدَّتُ بَنَاتِ الْأَعْوَجِيَّاتِ بِالضَّحَى

أَبَابِيلَ ، مِنْ أَعْطَافٍ غَيْرِ وَبِيلِ

---

١ لَسَعْدَى : فِي دِيْوَانِ مَلِكَةِ : لَهْد ، الْحَزَانِ : الْإِمْكَنَةُ الْخَلِيقَةُ الْمُنَابَةِ ، مَقْرَدَهَا

الْحَزِينِ . الشَّرِيفُ : أَعْنَى جَبَلِ بِلَادِ الْمَرْبِ ، قَالَ صَاحِبُ الْفَهْرَسْتِ : وَقَدْ صَمَدُهُ ،

وَمَا ، لَبَنِي غَيْرِ بَنَدِ ، نَسَبَ إِلَيْهِ الْعُقَبَانِ ، أَوْ وَادٍ بَنَدِ ، وَحَصْنٌ مِنْ حَصُونِ

زَيْدٍ بِالْبَيْتِ ، ذَكَرَ ذَلِكَ كَلَامُ بَاغُوتِ ، وَفِي الْأَجَلِ التَّدْفِيقِ ، وَالتَّصْحِيحِ عَنْ

دِيْوَانِ مَلِكَةِ . وَتَمَّامُ الْبَيْتِ : تَلَوَّحَ وَادِي عَيْدِهِنْ عَجَلِ .

٢ الْغَيْثُ : أَيِ الْبَنَاتِ الْمُبِيلِ عَنْ الْغَيْثِ ، وَهُوَ عَجَازُ مَرْسِ . خَوَارِ الْعَيْنَانِ : أَيِ

فَرْسَ لَيْثِ الْعَطَفِ . الْأَمِيلِ : الْبَطْطُ الْمُنْتَرِلُ ، وَنَسَبُ الْأَمَالَةِ فِي خَدِّ

الْفَرَسِ ، وَهُوَ دَلِيلُ الْكُرْمِ .

٣ الْأَعْوَجِيَّاتِ : أَيِ الْخَيُْولِ الْكُرْمِ ، مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْأَعْوَجِ ، فَرَسٌ لَبَنِي هَلَالِ

مَشْهُورٌ . أَبَابِيلَ : مَتَفَرِّقَةٌ فَرَقًا ، جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ . الْأَعْطَافُ : جَمْعٌ عَطَافٍ

بِالْكَسْرِ ، وَهُوَ قَارِعَةُ الطَّرِيقِ . الْوَبِيلُ : الْمَوْعَى الْوُخْمِ .

مُتَوَمَّةٌ نَمَتْدُهَا مِنْ خِيَارِهَا ،  
 لِيَطْرُقَ قَتِيصِي ، أَوْ لِيَطْرُقَ رَعِيلُ<sup>١</sup>  
 إِذَا مَا تَعَشَى الصَّخْبُ فَوْقَ مُتُونِهَا  
 ضَعِيئًا ، أَجَابَتْ تَحْتَهُمْ بِصَوِيلِ  
 نَدْوَسُ بِهَا بُكَارَ نَوْرِ كَانَتْ  
 رِدَاءُ عَرُوسٍ أَوْ ذِيَّتُ بَحْلِيلِ  
 زَمَيْنًا بِهَا عَرُوسَ الصُّوَارِ فَأَقَمَصَتْ<sup>٢</sup>  
 أَعْنَ<sup>٣</sup> فَتَشَاءُ بِغَيْرِ قَبِيلِ<sup>٤</sup>  
 وَبَادَرَتْ أَصْعَابِي التَّشْوِيلَ ، فَأَقْلَمْتُ<sup>٥</sup>  
 كَرَادِيْسُ مِنْ غَضِّ الشَّوَاءِ تَشِيلِ<sup>٦</sup>  
 نَمَسَحُ بِالْخُودَانِ مِنْهُ أَكْفَيْنَا ،  
 إِذَا مَا اقْتَضَيْنَا مِنْهُ غَيْرَ قَبِيلِ<sup>٧</sup>

- 
- ١ السومة : الحبول المأمة بعلامات الغزو . نمتدھا : أي نمتھا ، من اعد .  
 ٢ العرض بالمر : الخشب . الصوار : القطيع من البقر الوحشي ، والمواد هنا  
 قطع من الغنایا . أقمعت : نفلت . الأعن : الظلي يخرج صوته من خياشيمه .  
 بغير قبيل : أي بغیر تار لنا وقود .  
 ٣ التشيل : اللحم الذي تنزله يديك من الصدر بلا مفرقة . أو الضو الذي تأخذه  
 يديك ، فتناول ما عليه من اللحم بفيك .  
 ٤ الخودان : بنت نوره اصفر ، في الاصل الجودان ، ولا معنى له ، وقد مر  
 وصنه لا يكار النور ، وشبهها برداء عروس ، وهنا يذكر شمع الايدي بها  
 من اللحم

فقلنا لافيها : أديها لافها  
 تسولاً ، ومن عينيكَ صرفَ تسولاً  
 فقامَ بكأسيه طبيعاً لأمرنا ،  
 قيلُ به الإذلالُ كلُّ تميل  
 ومنشع راحته ، فما زالت مائلاً  
 برأس كرمٍ منهم وتليل  
 إلى أن شاعوا راكدين ، يا احسنوا ،  
 خالعين من بطن وقصص العقول  
 تشاوي على الزهراء ، صرعى كأنهم  
 أساطين قصير ، أو جلدوع تخيل

مصاح عنق : هو أنت ! اذهب فإنك مجاز . وغاب  
 عنا . ثم ملنا عنه .

## شيطان قيس بن الخطيم

فقال لي زهير : أي من تشوق نفسك بعد من الجاهليين ؟

١ النحول : الحمر ، أو الباردة منها .

٢ التليل : الغنى

٣ الزهراء : أي الأرض الزهراء ، أو أودها مدينة الزهراء بالقرب من قرطبة .

قلت : كفا في مَن رأيتُ ، احْصِرْهُ وَجْهَ قَصِيدَةٍ إِلَى صاحِبِ  
أبي عَمَام . فَرَكَضْنَا ذَاتَ الْيَمِينِ حِيناً ، وَبَشْتَدُ فِي إِثْرَةِ  
فَارَسٍ كَانَتْهُ الْأُسْدُ ، عَلَى فَرَسٍ كَانَتْهَا الْعُقَابُ ، وَهُوَ فِي  
عَدْوِهِ ذَلِكَ يُنْشِدُ :

طَعَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْمَةَ تَائِيَةٍ ،  
هَذَا نَفْدَةٌ ، لَوْلَا التَّمَاعُ ، أَضَاءَ هَذَا

فَاسْتَرَيْتُ مِنْهُ ، فَقَالَ لِي رَعِي : لَا عَيْنُكَ ، هَذَا أَبُو  
الْحَطْمَانِ صَاحِبُ هَيْسِ بْنِ الْحَطِيمِ ، فَاسْتَشَى لَيْسِي مِنْ إِنْشَادِهِ  
الْبَيْتَ ، وَازْدَادَتْ خَوْفَ جُرْأَانِهِ ، وَأَتَيْنَا لِمَنْعَرَجٍ عَلَيْهِ ،  
فَصِرَفَ إِلَيْهِ رَعِي وَجْهَ الْأَدَبِ ، وَقَالَ : حَيْثُ لَمْ أَلِدْ أَبَا الْحَطْمَانِ !  
فَقَالَ : أَهَكَذَا يُخَادِعُ عَنِ ابْنِي الْحَطْمَانِ ، وَلَا يُجَاهِدُ عَلَيْهِ ؟  
قَالَ : عَلِمْنَاكَ صَاحِبُ هَيْسٍ ، وَخَفِينَا أَنَّ لَطَمَانَكَ ، فَقَالَ  
لِي : أَتَشِدُّنَا بِأَنْشَجِي ، وَأَقْبِحُنَا أَنْتَ إِنَّهُ لَيُجِدُ لِيَكُونَنَّ  
يَوْمَ كَثْرَةٍ ، فَاتَّصَلَنَاهُ قَوْلِي مِنْ قَصِيدَةٍ :

البيت من قصيدة تقيس بن الخطيم الأوسي . ابن عبد القيس : هو قاتل والده  
قيس بن الخطيم . قال : أَخَذَ بِالْقُرْ . القَطْرُ : مَا يَنْقُصُ مِنَ الطَّعْمَةِ ، التَّمَاعُ :  
الدم المتفريق المنشر . اخذها : فاعها يعود إلى نفسه . يقول : لَوْلَا الدَّمُ  
المنشر في هذه الطَّعْمَةِ ، أَظْهَرَ عَنَّا النُّورَ ، لِأَنَّهَا نَفَذَتْ مِنْ جَانِبِ الْآخَرِ ،  
يَخْطُرُ عَلَيْهِ : أَيِ شَيْءٍ بِهِ .

مَنْزِلُهُمْ تَبْكِي إِلَيْكَ عَفْوَها

ومنها :

خَلْبِي عَوْجًا ، بَارِكْ اللَّهُ فِيكُمْ ،  
بِذَا رَتَبَا الْأَوَّلَى نَحْيِي فِتْنَاهَا !

عَلَّ أَوْ أَسْرَابًا كَثُرَ رَائِبُهَا الدَّمَى ،  
وَلَا دَنْبَ مَنِّي قَدْ رَمَى ، نَحْمُ ، شَاءَهَا !

وَلَا كَضَلَالٍ كَانَ أَهْدَى أَصْبَوِي ،  
لِبَائِي نِيَّوِي الْغِيَامُ خَبَاءَهَا !

وَمَا هَاجَ هَذَا السُّوقُ إِلَّا حَمَلُكُمْ ،  
بَكَيْتُمْ عَالِمًا سَمِعْتُ بُكَاءَهَا !

نَحْبَاتُ لِنَمِي كَيْفَ مَلَكَا الْهَوَى ،  
وَكَيْفَ اسْتَعَزَّ الْغَنِيَاتُ بِإِيَّاهَا !

وَلَوْ أَنِّي أُنَحْتُ عَلَيَّ أَكَاوِمُ ،  
تَوَضَّعْتُ بِالْمَرْصِ الْكَرِيمِ جَزَاءَهَا !

وَلَكِنْ جَزَاءُ ذَاكَ الثُّغُورِ زَمِينِي ،  
فَأَكْرَمْتُ نَفْسِي أَنْ تُرِيقَ دِمَاءَهَا !

---

١ - اسرابها الدمى : رواية بنية الدهر : اسرابها الألى .

إليك أبا مروان النقيت راياً  
 بحاجة نفس ما حریت خزاةها  
 عززتک فی تحری ضعی فکانتی  
 عززت ، وفدجت الجبال بحراهما  
 نقضت غری عزم الزمان ، وإن عناه  
 بعزمه نفس لا أریسدا بقاءها

فلما انتهت فبسم وقال : لنعم ما خلصت ! إذ قلب  
 فقد أجزأتك .

## صاحب أبي تمام

ثم انصرفنا ، وركضنا حتى انتهينا إلى شجرة غيثاء  
 بنفجرنا من أصلها غيب كقطة حوراء ، فصاح زهير : يا  
 غيثاء بن غيثاء ، حل بك زهير وصاحب ، فبصر  
 والقصر الطامع ، وبالقوة المكوكية الطامع ، إلا ما

١ أبو مروان : أي الوزير أبو مروان ابن الخزري ، وكان بينه وبين ابن  
 شهيد مناجلات شعرية . راياً : زائدة مرافعة . حریت : سلبت ، لم يبول .  
 خزاةها : على مد القصور : حدة جانبها

٢ حراء : جبل بكة .

٣ الغيثاء : الشجرة الخضراء .

٤ الطامع بفتح الباء وبكسرهما : الخاتم يطبع به ، يشير إل قول ابن غلام :  
 يا عمرو ، قل للعر الطامع : اتبع الخرق على الزافع  
 يا طول فكري بك من حامل لرقعة مفكوكية الطامع

أَرَيْتُنَا وَجْهَكَ ! فَانْفَلَقَ ماءُ الْعَيْنِ عَنْ وَجْهِ قَتِي كَفَلَقَرِ  
 الْقَمَرِ ، ثُمَّ اسْتَوَى الْغَوَاةَ حَاعِدًا إِلَيْنَا مِنْ قَعْرِهَا حَتَّى اسْتَوَى  
 مَعَنَا . فَقَالَ : حَيْلُكَ أَفْهَ يَا زُهَيْرُ ، وَحَيْثَا صَاحِبُكَ ! فَقُلْتُ :  
 وَمَا الَّذِي أَسْكَنْكَ قَعْرَ هَذِهِ الْعَيْنِ يَا عَثَابُ ؟ قَالَ : حَيَاتِي  
 مِنَ الشَّعْثَيْنِ بِاسْمِ الشَّعْثَيْنِ وَأَنَا لَا أَحْسِنُهُ . فَصِيحْتُ :  
 وَيْلِي مِنْهُ ، كَلَامُ نَحْدَتٍ<sup>١</sup> وَرَبِّ الْكَلِمَةِ ! وَاسْتَشَدَّتْ فِي فَمِي  
 أَنْبَدُهُ إِجْلَالًا لَهُ ، ثُمَّ أَشَدَّتْهُ :

أَبْكَيْتُ ، إِذَا قَطَعْتَ الْفَرِيقَ ، فِرَاهِبًا<sup>٢</sup>

حَتَّى انْهَبْتُ فِيهَا إِلَى هَوِي :

بَنِي امْرَأَةٍ لَعِبَ الرَّحْمَنُ بِهَوْنِي ،  
 وَسَقَيْتُ مِنْ كَأْسِ الْحُلُوبِ دَعَايَا

وَكَبُوتٍ طَرَفَايَ عَلَى ، فَاسْتَضَحَكْتُ<sup>٣</sup>  
 نَحْمًا الْأَنْهَارِ ، فَمَا تَوَيْمُ تَبَايَا<sup>٤</sup>

وَإِذَا ارْتَمَسَتْ نَحْوِي امْنَى رُلَاهِيَا ،  
 وَفَقَا الرُّومَانُ مَا هُنَاكَ فَمَا قَاهَا

١ نَحْدَتٌ : أَيُّ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمَعْدُونِ ، وَالْمُرَادُ بِهِمُ الْبَاسِيُونَ الَّذِينَ يَمِيلُونَ إِلَى

تَرْبِيقِ الْكَلَامِ وَتَقْوِيهِ

٢ الْفَرِيقُ : الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ .

٣ طَرَفَا : فَرَسًا كَرِيمًا ، مَتَّصِبًا عَلَى الْحَالِ . مَا تَوَيْمُ : أَيُّ مَا تَمَرَّكَ .



وإذا أبو يحيى تأخر نفسه ،  
فمن أومل في الزمان لحاقها

فلما انتهيت قال : أفتدني من رثاك . فأنشدته :

أعيننا أمراً ترحلت عنه ،  
ولا تعجبا من الجفون جراد ،  
إذا القلب أحرقه بثه ،  
فإن المداميع نثر الفؤاد ،  
يؤثر الفنى تمهلاً خالياً ،  
وسعد المنيب في كل راد ،  
ويصرف للكون ما في يديه ،  
وما الكون إلا تدوير القاد

- 
- ١ نفسه : عنده . ورواية بريمة الدهر : تأخر سمي . طاف : الضمير يعود الى  
المخبر في البيت السابق .  
٢ ترحت : فقد ماؤها . جراد : جمع جعد بفتح ميم . بمعنى جامد .  
سمي بالمصدر .  
٣ في كل راد : إشارة الى المثال السائر : بكل راد بنو سعد . قيل ان الأسيوطي  
ابن غريب الحدي تحول عن قوم . وانتقل في الغياض . فلما لم يجد جوارم  
رجع الى قومه ، وقال المثل .  
٤ يعرفه : يفقهه ، ويعلمه ينصرف ، أو هو بمعنى يتفقه .

لقد نغمر الدهر بالسابقين ،  
ولم يُعجز الموت ركض الجنود

لعمرك ما ردت ريب الردى  
أريبة ، ولا جاهل باجتهاد

سهم انساب نصيب الفتى ،  
ولو ضربوا دونه بالتداد

أصبحت على نظيم ، جرحها ،  
وأصبحت في دارهم ، قوم عاد

وأفمنن كلباً على عزة ،  
فما اعتز بالشافات الجداد

الى آخر البيت فيها اى قولى :

ولكنني خلتني معشري ،  
وردت يفاعاً وبيل المراد

١ أفمنن : قتل . كلب : هو كلب بن وبرة ابو ثعلبة ثمانية مشهورة . الشافات :  
صفة للعيول اذا قامت على ثلاث قوائم ، وحرف جافر الرابعة .

٢ ردت ، من راد : قلب الكلب . يفاع : الثقل . وبيل : وخيم المرعى .  
المراد : الموضع الذي يطب فيه الكلب .

وهل ضربت السيف من غير كفة؟

وهل ثبت الرأس في غير هاد؟

فقال : زدني من روثك ونجريتك ؛ فأشدته :

أفي كل عام مضرخ<sup>١</sup> لعظيم؟

أصاب المنايا حادتي وقديمي

هوى قسرا فليس بن عبلان آتفا ،

وأوحش من كلب فكلن زعيم<sup>٢</sup> ؟

مكيف إقائي الحاديت اذا سحلت ،

وفد قل<sup>٣</sup> سيفي منهم وعزيمي ؟

وكيف اهتدائي في الحشوب اذا دجت ،

وفد فقدت عباي<sup>٤</sup> صورة الجوم<sup>٥</sup> ؟

مضى السلف الواضح إلا بقية ،

كفر<sup>٦</sup> مسود القميص<sup>٧</sup> نعيم<sup>٨</sup> ؟

١ الهادي : المنق

٢ فليس بن عبلان : سوابه فليس عبلان ، وهو أبو غيبة مغربية مشهورة ، وعبلان اسم عرسه ، مضاف إليه : واسم فليس الناس بن مقر ، واخوه انباس المعروف باسم حنوف ، والمراد بالقهر بن فليس وحنوف .

٣ الفرة : لية استلال القمر ، ومن الحلال حنطة . مسود القميص : أي البيل . البهم : الأسود . هذه القصيدة نقل في رثاء أبي عبيدة حبان بن مالك بن أبي تبيدة ، وزير عبد الرحمن بن هشام أيام الفتنة .

ومنها :

وَمَيِّتٌ بِـ الْأَخْفَى عَنِّي غَرِيبٌ ،  
نَتِيجَةُ خَفَاقِ الشُّلُوعِ كَظْفِيرِ  
لَأَبْدِي أَيْ أَهْلِ الْحَيَا مِنْ يَوَاطِينِي ،  
وَأَذِي بَعْدِي فِي ظَوَاهِرِ لُؤْمِي  
أَنْ الشَّيْبُ لَمْ تَنْعَلِي بِهِ كَفَّةً ضَارِبَ ،  
حَرُومٍ إِذَا صَدَقَتْ كَفَّةً حَرُومِ  
تَمَيَّتُ بِأَحْيَارِ الرِّجَالِ ، فَخَاشِي  
رَجُلٍ ، وَمِ التَّجِدَةِ بِجِدِّ عَظِيمِ  
وَصَبَعَنِي الْأَمْلَاكُ بَدَأَ وَعُودَةً ،  
فَضِيعَتُ بِيَدَارِ مِنْهُمُ وَحَرِيمِ

فقال : إِنْ كُنْتَ وَلَا بُدَّ فَاتِّلَا ، فَإِذَا دَعَاكَ نَفْسُكَ إِلَى  
الْقَوْلِ فَلَا تَكُنْ فَرِحْتَكَ ، فَإِذَا أَكْثَمْتَ فَجَعَلْ ثَلَاثَةً لَا  
أَقْلُ ، وَتَفْجَعْ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَتَذَكَّرْ قَوْلَهُ :

١ اليوم : مختلف الأيام

٢ فجعل ثلثة : أي فراحه ثلاثة أيام .

٣ قوله : أي قول سويد بن كراع العكلي ، وهو شاعر أموي هجاء بعض  
قومه ، عاشمدا عليه سعيد بن عثمان بن عفان ، فطلبه ليضربه ويحبسه ،  
فهرب منه ولم يكن متوارباً حتى عفا عنه .

وَجِئْتَنِي خَوْفًا ابْنُ كَعْبَانَ رَدَّهَا ،

فَمَقَّقْتُهَا حَوْلًا كَثِيرًا وَمَرَامًا

وَقَدْ كَانَتْ فِي نَفْسِي غَلِيظًا زَبَادَةً ،

فَلَمْ أَرَ إِلَّا أَنَّ أَطِيعَ وَأَسْعَا

وما أنت إلا نحسين على إسماعيل كرميك . فقبلت على  
رأسيه ، وغاص في العين .

## صاحب البحري

نحو قال لي 'رهير' : من تريد بعده ؟ قلت : صاحب أبي  
نوحاس ؛ قال : هو بدوي كحشة منذ أخير ، قد غلبت عليه الحمر ،  
وذير كحشة في ذلك الجبل . وعرضه علي . فإدا بيننا وبينه  
فراسخ . فركضنا ساعة وجزء في ركضنا بقصر عظيم

---

١ ردها : الضمير لقصيدة الهجاء . حول كرميت : سنة تامة . الربيع : الموضع  
يقسمون فيه أيام الربيع ، والمراد هنا مدة الاقامة فيه . ورواية الاغاب : ورجعها  
صيفاً جديداً ومرحاً .

٢ دير حنة : دير بظاهر الكوفة ، كان يزوره أبو نوحاس ، ويأوي الى الخانات  
القرية منه ، وقد ذكره غير مرة في حروائه . وهو هنا في ارض الجن بأوي  
اليه شيطان شاعر الحمرة .

قد أمة ناوردة<sup>١</sup> يتطارده فيه فرسان ، فقلت : ما من هذا القصر يا  
زهير ؟ قال : الطوق بن مالك ، وأبو الطيب صاحب  
البحثري في ذلك الناوردة ، فبل لك في أن تراه ؟ قلت :  
ألف أجل ، إنه من أسبدي ، وقد كنت أنسبه . فصاح :  
يا أبا الطيب ! فخرج إلينا فتى على فرس أشعل<sup>٢</sup> ، وبه قناة ،  
فقال له زهير : إنك مؤمن<sup>٣</sup> ؟ فقال : لا ، صاحبك أشبع<sup>٤</sup>  
مارئ<sup>٥</sup> من ذلك ، لولا أنه يقطعه . قالت : أبا الطيب ! على وسيلك ،  
إن الرجال لا تكون بالقفران<sup>٦</sup> . أنشدت من شعرك . فأنشد :

ما على الركب من أوفى الركب

حتى أكتفها . ثم قال : عاتر إن كنت قلت شيئا .  
فأنشدته :

هديم دار زينب والرباب

١ ناوردة : فارسي الأصل ، يراد به ديدان أو ملعب فحل واليهوات ، وربما

اشتق على ضرب من المعاربة على الجول وقهر الخصم ، ذكره دوزي في معجمه .

٢ الأشعل : من الخيل : ما كان في ذنبه والخاصية والقدال يابس .

٣ مؤمنا : أي دائم لك .

٤ مارئ : أنف .

٥ القفران : جمع القفر ، وهو مكيال .

٦ هذا مطلع قصيدة تسخري ، وغامه : في معاني الصبي وروم الصافي .

حتى انتهيت فيها الى قنوج :

وارتكضت حتى مضى الليل يسرى ،

وألقى الصبح قاطيع الأسباب :

فكان الشجوم في الليل جيش

دخلوا للكمون في أجوف غاب

وكان الصباح فأنص طير

فبعثت كفه برجل غراب

ومثو نمرؤا وقد عكف اللئ

ل وأدعى مفدودن الأنساب :

وكان الشجوم ثما هذهم

أشرقت للعبيون من آداب

يشقرون تجوز كل فلاة ،

أجح ليل ، تجوزاه من ركابي

---

١ الأسباب : الجبال ، والمراد جبال التلاني .

٢ القنوج : جمع قنوج - وارجى : رواية يثمة الدهر : وافي ، الم.دودن :  
الناعم المتني .

٣ الجوز : الوسط . الجوزاء : برج في وسط السماء ، وكان في الأصل ركابته ،  
والتصحيح عن يثمة الدهر .

عَنْ ذِكْرِي مُنْذِرِهِمْ ، فَتَأْمُرُوا  
 مِنْ حَدِيثِي فِي عَرْضِ أَمْرِ عَجَابٍ  
 هَيْئَةً فِي السَّمَاءِ تَحِبُّ ذِيلاً ،  
 مِنْ ذِيُولِ الْعُلَى ، وَجَدَ كَابِ  
 وَأَوْ إِنَّ الدُّنْيَا كَثِيرَةٌ تَجْرُ ،  
 لَمْ تَكُنْ طَعْنَةً لِقَرَحِ الْكِلاِبِ  
 حَيْفَةً أَتَنَنْتَ فُطَارَ إِلَيْهَا ،  
 مِنْ بَنِي دَهْرِهَا ، فِرَانُ الدُّبَابِ  
 وَمِنْهَا\* :

مَنْ تَهَيَّئَ فِي سِرِّهَا ، نَمْرٌ مِنْ أَثَرِ  
 جَمْعٌ فِي السَّرِّ مِنْ لُبَابِ اللَّجَابِ  
 خُفَّتِهَا الْأَنَامُ ، إِنَّ عَنْ كَطَبِ  
 وَأَعَارِبِ فِي مَثُونِ عِرَابِ

- 
- ١ العرض : الجانب .  
 ٢ النجر : الأصل . الفوس : الاقتباس ، وكل قتل . ورواية اليثمة : ليرس ،  
 جمع ليرس .  
 ٣ في الأصل : ومنها بفتح .  
 ٤ السر : الأصل وبعض النسخ وأفضله .  
 ٥ العراب : الخيون العوية الكروية : السالة من الهبة .



حتى أكملتها ، فكانت غشى وجهه أبي الطيبر فبطعة  
من الليل ، وكره راجعاً الى ناوردة دون أن يسلم . فصاح  
به زهير : أأجرتني ؟ قال : أجرتني ، لا يوركك فيك من ذائره ،  
ولا في صاحبك أبي عامر !

## صاحب أبي نواس

فضرب زهير الأدم بالسطوط ، فسار بنا في قشبه ،  
وسرنا حتى انتهينا الى أهل جبل دير حشة ، فشق سمعي  
فترع الشواقيس ، فصاحت : من سار لي أبي نواس ، ورب  
الكعبة العلية ! وسرنا تحت الجباب أدياراً وكنانين وحدائق ،  
حتى انتهينا الى دير عظيم زعيق روائحه ، ونصونا<sup>١</sup> نوافضه .  
فوقف زهير بيانه وصاح : سلام على أهل دير حشة ! فقلت  
لزهير : أوهل صبرنا بدأت الأكبراج<sup>٢</sup> ؟ قال : نعم .  
وأقيمت نحونا الوهدين ، أمشدة<sup>٣</sup> بالذاني ، قد قنصت على

١ الفت : ساق الطريق ، أي نهجه ، في الأصل : قته ، وهو تصغير .

٢ نصوك : تعبق .

٣ ذات الأكبراج : هو دير حشة . الأكبراج : تصغير الكراج ، مفردا كروح  
بالكسر ، وهي لفظة سريانية ، معناها الكوخ الصغير يكون حول الدير ،  
ويسكنه المراهب الذي لا علاقة له ، وانلفظة وردت في شعر أبي نواس .

العساكيز ، بعض الحواجيب واللحى ، اذا نظروا الى المرء  
استحيوا ، مكثون للتشليم ، عليهم هدي المسيح . فقالوا :  
أهلاً بك يا زهير من زائر ، وبصاحبك أبي عامر ! ما بُغيتك ؟  
قال : أحسن الدنان . قالوا : إنه لفي شرب الحمرة ، منذ  
أيام عشرة ، وما نراكما منبغين به . فقال : وعلى ذلك .  
ونزلنا وجاؤوا بنا الى بيت قد اصطفت دنانه ، وعكفت  
غزلاً ، وفي فرجته شمع طويل الوجع والسئلة ، قد  
افتوش أضفت زهر ، وانكأ على زرق خمر ، ويده  
طرجهارة ، وحوالبه حبة كاظبة تعطو الى غرارة .  
فصاح به زهير : حبك لئلا أبا الاحسان ! هجوباً بجواب  
لا يعقل العلية الحمر عليه . فقال بي زهير : افرغ أدان  
نشوته بإحدى خمرتك ، فإن رنة قلبه لبعض ذلك .  
فصاحت أسيدة من كلمة في طويته :

ولرب حان قد أدوت بديرة  
خمر الضبا أمزجت بصمور خلور

- ١ وعلى ذلك : أي وعلى ذلك تربة . أو ما أشبه .
- ٢ الربة : ما على النار من شعر .
- ٣ الطرجهارة : شبه كأس يشرب فيه .
- ٤ اظب : جمع ظبي .
- ٥ تعطو : ترفع رؤوسها الى الشجر لتناول منها . المراءة : واحدة العرار وهو  
نبت ناعم أصله طيب الريح .
- ٦ حان : في الأمل : حان .

فِي فِتْنَةٍ جَعَلُوا الزَّفَاقَ تَكَاكُمُ ،  
 مُتَصَاغِرِينَ تَحْشَمًا كَبِيرَهُ<sup>١</sup>  
 وَالَّذِي عَلِيٌّ بِطَرْفِهِ وَيَكْفُهُ ،  
 فَأَمَّا مَنْ رَأَى لِعَبِّ كَبِيرِهِ<sup>٢</sup>  
 وَتَرْتَمَّ الشَّافُوسُ عِنْدَ كِلَانِهِمْ ،  
 فَتَنَحَّتْ مِنْ عَجْبِي لِرُجْعِهِ عَدِيرِهِ<sup>٣</sup>  
 يُبْذِي إِلَيْنَا الرِّاحَ كُلَّ مُعْصِفَةٍ ،  
 كَأُخْبَتِ خُفْرَةُ النِّجَاحِ خَفِيرَهُ<sup>٤</sup>

فصاح من حبال ذنونه : أَسْجَنِي ! ففت : أنا ذاك !  
 فاستدعى ماء قراحاً ، فشربه منه وغسل وجهه ، فأفاق  
 واعتذر إني من حاله . فأدركني مهابته ، وأخذت في إجلاله  
 لمكانته من العالم والشعر . فقال لي : أنشد ، أو حتى أنشدك ؟  
 فقلت : إن ذلك لأشدُّ لنا نبي ، على أنه ما بعدك بالمحسن  
 إحساناً ، فأنشد :

- 
- ١ التكا : أراد به التكا أي موضع اتكاكم وهو غير وارد . كبير : كبير  
 الدبر ، أي عظيمه ورثته .  
 ٢ كبيره : أي القروح الكبير .  
 ٣ كل معصفر : أي كل ذي مصفر ، أي ثوب مصبوغ بالمصفر ، وهو نبت  
 يصغ به صبغ أصفر ، خفره : أي جعله يحمر حياء . الخدير : الحامي والمعاظ .

يا دبر حنة من ذات الأكرام ،  
من يصح عنك فيني لمت بالصاحي

يعدده كأي متخوف مفاقره  
من الدعان ، تخليد بحق أسامير

لا يدلفون في مساء وآنية ،  
إلا اغترافاً من الغدران والواجر

كذبت وأمر أكرام من جندي طرباً ، ثم أنشد :  
طرحت من الشرخ أمراً ففقتنا

وأنشد أيضاً :

لين دمن نرداف طيب نسيم ،  
على طول ما أفلوت ، وحسن رسوم

- 
- ١ هذه الأيات لآتي نواس في وصف رمان دبر حنة .  
٢ يناديه : ياغابه ، المتخوف : البعيد العهد بالذهاب ، الدهان : الطيب ، الحق :  
التوب البالي ، الإمساخ : جمع مسخ بالكسر ، وهو توب من شعر  
بابه الرمان .  
٣ أمراً : في ديوانه آتي نواس : ذكرها ، ولهم تبت : ما قد خدمت جميع  
الموت بعفتنا .  
٤ طول : في الأصل طيب ، والتصحيح عن الديوان : افوت : افترت ، حسن  
رسوم : مكانها في الديوان موضع طيب نسيم ، وهذه مكانها موضع حسن رسوم .

تجافى اليلى تمنين تحشى كأنما  
ليسن من الإقواله شوب نعيم

واسمر فيها حتى أكملها . ثم قال في : أنشد . فقلت :  
وهل أبقيت للإشاد موضعاً قال : لا بُدَّ لك ، وأوعيت في  
ولا تُنجيد . فأنشدته :

أصبح رشيها أم يوقى بسدا ،  
أم لت المحبوب أوردى أرندا

عب من مرقده منكسراً .  
مسيلاً للكنم ، مروح الردا

يطلع الشعنة من عيني ونا ،  
صند في كل يوم أم سدا

فأنت . هب لي يا حبيبي فبذلة ،  
تشتف من تحمات فبريح الصدى

- 
- ١ الإقوال : حوا الدار ، وموله من الإقوال : رواية القبول : على الإقوال .  
٢ أوعيت : أي مر في المكان المكنى لا تعد : لا تسر في البعد ، أي المكان  
المرتفع .  
٣ أصبح : في الأصل : أصبح ، والتصحح عن : طبع الأنفس لفتح بن مائات .  
شيم : من شام ، أي أظفر  
٤ من عمك : في الأصل : من عمتك ، والتصحح عن : طبع الأنفس ، الصدى :  
العطش .

فَأَشْنَى يَهْتَرُ مِنْ تَنْكِيهِ ،  
قَائِلًا : لَا ! نَحْمُ أَعْطَانِي الْبَدَا

كَذَّمَا كَلَّمَنِي قَبْلُكَ ،  
فَهَوَّ إِنَّمَا قَالَ قَوْلًا رَدَّدَا

كَأَنَّ أَنْ يَرْجِعَ ، مِنْ لَشْبِي لَهُ  
وَارْتِشَانِي التَّغَرُّ مِنْهُ ، أَدْرَدَا

قَالَتْ فِي يَتَغَلَّبُ : خَدَّ فِي طَائِرًا ،  
فَتَرَانِي الدَّهْرَ أَجْرِي بِالْكَدَى

وَإِذَا اسْتَنْجَزْتَ يَوْمًا وَعَيْدَهُ ،  
قَالَ فِي يُحْلِلُ : كَدَّكَرْنِي غَدَا

شَرِمْتَ أَصْغَفَهُ خَيْرَ الْحَبَاءِ ،  
وَسَقَاكَ الْحَنْقُ حَتَّى تَغْرِبَ بَدَا

وَإِذَا بَشَّ بِهِ ، فِي رَوْضَةٍ ،  
أَغْنَيْدُكُمْ يَمْرُؤُ نَبَاتًا أَغْنَيْدَا

١ الادود : من ذعت استنه .

٢ الكدى : جمع الكدية . وهي الارض الصلبة القلقة . والجري بالكدى  
يراد به الضفر والجناح .

٣ يعمرو : يفضد . في «ضمم الالف» : يعمرو ، اي يفضد ويضيع .  
الاعيد : من مالت عتفه ، ولانث اعطاه . ومن النبات الناعم الحشني .

قامَ في المثلَّاءِ يَجيءُ أنثى،  
 يَنفُضُ اللُّثَّةَ مِن دَمْعِ التَّدَى  
 رَسَمًا، بَلْ غَادَةُ تَمَكُّورَةٌ  
 عَشِمَتْ صُجْعًا بِلِيلِ أَسْوَدَا  
 أَحَجَّتْ مِن عَصِي فِي تَهْدَاهِ  
 ثُمَّ عَضَّتْ حُرَّ وَجْهِ عَمْدَا  
 فَهَ الْمُجْرُوحُ مِن عَضِيهَاءِ  
 لَا تَغْشَى أَفْءَ مِنْهَا أَبْدَا

وَلَمَّا انْتَهَيْتُ قَالَ : اللَّهُ أَنْتَ ! وَإِنْ كَانَ طَعْمُكَ مَحْرُوعًا  
 مِنْكَ . ثُمَّ قَالَ لِي : أَنْشُدْنِي مِنْ رِثَاكَ لَيْلًا . فَأَنْشُدْنِي مِنْ  
 قَوِي فِي بَلْبَةِ صَفِيَّة

أَلَيْسَ الْمُعْتَدُّ فِي أَهْلِ الشَّيْءِ  
 لَا نَدَابٍ . إِنْشُرْ فَيَقْبِدُ وَلَهَا  
 حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى قَوِي :

وَإِذَا الْأَسَدُ أَحَجَّتْ أَغْيَانِيهَاءِ  
 لَمْ يَقْطُرْ الْحَيْسَ صَرَعَاتِ الْمَاءِ

١ المأكورة : المذمومة الخلق والاندودة : الساتين .

٢ أحجت : أي فالت : أع . حكاية موت .

٣ الحيس : عرين الأسد . كالعين .

وعزيريه يا ابن أفتو العلاء ،  
أن يراع البدر من فقد الشها

فلما انتهت قال بي : أنشدني من رثائك أشد من هذا  
وأفصح . فأنشدته من رثائي في ابن ذكوان . ثم قال :  
أنشدني جعفر بن شاذان من تلحينه فأنشدته :

عزيريه ينعزل الفتوان بعيداً

حتى انتهت فيه الخ فوي :

فإن ضل دكري بالمجون البشري  
تقري بمشغول الكلام مبدعاً

١ هو القاضي ابن ذكوان وله ان شيد بقصيدة اولها :  
فلمسا الذي نادى بمعا عونه ، اضل الذي نعى من الرذ ، كذبا  
٢ جعفر بن شاذان : نسبة الى جعفر ، وهو رجل من بني جابر بن بكر كان يقبض  
النبيل بأرض اليمن ، مع غيره الخراج ، فشق في سبه حتى فخر به ، فأمر  
بجسه فحسب . فظهر في سبه قصيدة جميلة يرثي بها نفسه ، ويمن الى بلاده ،  
ودت عطف الخراج بقوله :

أحاذر مودة الخراج خلفاً ، وما الخراج ظلام لحسان  
فاح شمره الخراج ، فأخبره بين يديه ، وقال : أما سمع ابنك ، ان انك  
باليف ، ان أنيك ناع ، فقال : اعطني سباعاً ، وألقي ناعاً . أعطاه سباعاً ،  
وأفاه الى اسد بجوع ، فزأر الأسد ، وارتجاه جعفر باليف فطلق هامته .  
فأعجب به الخراج ، وكرمه وحنه من اصحابه .  
٣ تمام البيت عن وضع الانفس : يحوش ، وشكو حزنه ، وجيد .



وَهَلْ كُنْتُ فِي الْعَشَقِ أَوَّلُ عَاشِقٍ ،  
هَوَتْ بِحُجَّةِ أَهْلِي وَخَدَوْدِي ؟

فَمَنْ مُبْلِغُ الْغَيْثَانِ أَسْبَى بَعْدَهُمْ  
لَعَقِي بِسَدَارِ الضَّالِّينِ طَرِيدٍ ؟

وَلَسْتُ بِذِي فَيْدٍ يَرِقُّ ، وَإِنَّمَا  
عَلَى الْإِلْهَاطِ مِنْ لَحْظِ الْإِمَامِ قَبْرٌ ؟

فبكى غا حويلًا ، ثم قال : أُنشِدْنِي قِصَّةً مِنْ مَجُونِكَ ،  
فَقَدْ بَعُدَ عَهْدِي بِثَلَاثٍ ، فَأُنشِدْنِي ؟

وَفَظَرْتُمْ نَحْتِ ظَهْرِ الْقُبَّاعِ ،  
دَعَاها أَيْ أَلَمَ وَالْخَطْبُ يَرُدُّ دَاعِ  
نَعْنَتْ بِبَيْتِهِ نَبِيْنِي مُنْزِلًا ،  
أَوْ تَحْتَهُ الْمُبَشِّرُ وَالْإِنْشَاءُ

١ أول عاشق : في مطلع الأنفاس : أول عجز .

٢ طريد : في القطيع : وحيد .

٣ يرق : في المطمع : يرت .

٤ قال الغني بن حاتم في المطمع ما ملحه : فمد الوزير أبو عامر بن شيد ،  
بيات الصومعة من الطامع في لمة من اللواتك ، فمرت جارية من أعيان أهل  
مرومية ، معها من جواريا من يسترها ويوارحها ، وهي ترقاء موصلة للاحاة  
رهبها منتقبة دافعة من رهبها ، وأولها يلقب قرا - فمعا وفعت عنها على أنه  
عامر ، ولت سريعة خيفة أنه يسببها ، أو يشهرها باسمها ، فلما نظرها  
قال هذه الاميات ، فعضها بها وشهرها

فجاءت تهادي كليل الرزوم ،  
 تراعي عذرا باعلى نفع  
 انتم تبحرنا في فتيهنا  
 فجلت بيوا كسيرة السباع  
 وريعتا جلدوا على فتيهنا  
 قدوتنا : يا همدوم لا تراعي !  
 فوالت وتليست من غيبنا  
 على الارض خطا كخط الشجاع

قال : سمع هذا الياس ما يوافق به ويرادف ، ثم افاق ،  
 ثم قال : هذا وانه شيء لم اليه مني . ثم استدعى فداوت  
 منه فقبل ابن عيسى ، وقال : انك يا ابنك مجاور . فانصرف  
 عنه والحدود من الجبل .

## صاحب ابى الطيب

فقال لي ارمير : ومن ثريد بعدك قلت له : خاذمة

- 
- ١ الرزوم : الملقب على وده ، والله اني انتم باعلى نفع : اي نفع الطيب  
 يرضى النفع .  
 ٢ الشجاع : ذكر الحية .

القوم صاحب أبي الطيب : فقال : اشتد له حياربك ،  
 وعظرت له نسيبك ، وانشر عليه نجومك . وأمال عناء  
 الأديم إلى طريف ، وجعل يركض بنا . ودهير يتأمل  
 آثار فارس ليحناها هناك . فقلت له : ، فتبسمك هذه الآثار ؟  
 قال : هي آثار فارس حادثة بين الفليس صاحب أبي الطيب ،  
 وهو صاحب قش ، في ظل يتقرأه حتى دمعنا إلى فارس  
 على فارس تيهض كأنه غضب على كتيب ، ويده فمناغ  
 قد أسندنا إلى عتيق ، وعلى رأسه عمامة حمراء ، قد أرغى لها  
 عذبة صفراء ، فحشاها زهير ، فحسن الرود نظراً من مقلد  
 شوساء ، قد ماتت بيها وحجاباً ، فمرفق زهير قصدي ،  
 وألقى إليه رغبتي . فقال : يفتني أنه يتناول ، قالت :  
 لاضرورة الداهية . وإلا فالتريجة غير صادقة ، والشفرة  
 غير فاطمة . قال : فأنشدني : وأسيرك أن أسندك ،  
 وأسندك قصيدي التي أولم :

- 
- ١ الحيارم : جمع الحيروم ، وهو : استدار بالظهر والعلن ، يقال : شد الحار  
 حيارمه أي أسند له ظهره .  
 ٢ دمعنا : أي دفعا دمعنا ، استمعنا في هذا الفعل على حذف المفعول  
 ٣ العذبة : عذوق العذبة يسيل من حنظلها .  
 ٤ مقلد شوساء : أي عمن فاختره يوحدها شكراً ، أو تيقناً .  
 ٥ يتناول : أي يأخذ عن غيره ، أو يأخذ لأشياء القربة ذات  
 ٦ تريجة صادقة : أي فاطمة أو مشرفة نيرة .

أَبْرَقَ بَدَا أَمْ لَمَعَ أَتَيْضَ فَاصِلٌ<sup>١</sup>  
حَتَّى اتَّهَيْتُ فِيهَا إِلَى قَسْوَى :

تَرَدَّدَ فِيهَا الْبَرَقُ حَتَّى تَحْيَيْتُهُ<sup>٢</sup>  
بِشِيرٍ أَيْ تَجَمُّرِ الرُّبَى بِالْأَنَامِلِ

أَرَيْتُ تَسَجَّجْتُ أَيْدِي الْعِصَامِ لِلْبَيْتِ<sup>٣</sup>  
غِلَاقٌ خَضِرَاءُ فَرَقَ بِيغْفِرَ غِلَاقِلِ

سَمَرْتُ بِهَا أَرَعَى الشُّعُومَ وَأَنْجَمًا<sup>٤</sup>  
طَوَالِجَ لِرَافِعِينَ غَيْرَ أَوَائِلِ<sup>٥</sup>

وَقَدْ فَعَّرْتُ دَاهِيًا كُلُّ دَهْرَةٍ<sup>٦</sup>  
أَيْ كُلُّ نَضْرَةٍ لِلْعَامَةِ حَاقِلِ

وَمَرَّتْ جَبُونُغُ الْمَرْبِ وَهَوَاءُ تَانِهَا<sup>٧</sup>  
عَاكِرُ كَوْنِجٍ مَادَهِيَاتِ الْمَدَاحِلِ<sup>٨</sup>

وَحُلَّتْ خَضِرَاءُ فِي غُرِّ شَهْبِيهَا<sup>٩</sup>  
كَتَلِجَةٍ تَجْمِرُ كَتَلِجَتِ الْبِقَالِ

١. فامِل : فاضح ، وثام اليَد عن اليَمِين : ورجع عداء لم يرجع اعتر ساهل .

٢. وَأَحْيَا : أَيْ أَنَجَّم دَهْرَ الرُّبَى مِنْ أَحْمَرٍ وَأَبْيَضَ .

٣. رَهَوَا : أَيْ مَتَابَعَةً .

٤. الْخَضِرَاءُ : السَّمَاءُ . أَيْطَالُ : جَمْعُ بَعُولَةٍ وَهِيَ الدَّهَاتُ الْأَبْيَضُ ، أَوْ الْقَطْعَةُ مِنْهُ .

تَخَالُ بِهَا زُهْرَ الْكُفَا كَبِيرٍ مُرَجِيًا ،  
 عَلَى تَنْطَ وَادٍ لِلْمَجْرَةِ مَائِلِ  
 وَتَلْمَحُ مِنْ حُيُوزَائِهَا فِي غُرُوبِهَا  
 تَسَافُطَ عَرْشِهِ وَاهِنِ الدَّقَمِ مَائِلِ  
 وَتَحْسِبُ حَقْرًا وَاقِعًا دُبُرَانِهَا ،  
 بِيَعُشُ النُّثْرَانِ فَوْقَ حَصْرِ الْخَوَائِلِ  
 وَبَدْرُ الْمُدْجِي فِيهَا غَدِيرًا ، وَحَوْلُهُ  
 نُجُومٌ كَمَطْلَعَاتِ الْحَمَامِ الشَّوَائِلِ  
 كَأَنَّ الْمُدْجِي هُمِي ، وَدَامِي لِيُجُومَهُ ،  
 تَحْدُرُ إِشْقَاهَا الْمَذْهَبُ الْأَرَاذِلِ<sup>١</sup>  
 عَوَتْ أَجْلَمُ الْعَنْتَبَامِ بَلَا أَعْلَمُهُ ،  
 وَغَيْبُنَ بِي يَحْضُ بِوِ كُلِّ عَاقِلِ  
 وَأَجْبَحْتُ فِي خَائِفِ إِدَامَةِ الْحُجَلِ  
 لِيَأْتِيَنَّ أَنَّ الْجَهْلُ يَحْدِي الْفَصَالِ<sup>٢</sup>

١ الدبران : منزل القمر ، منتقل على حمة كوكاكب في برج الثور ، الخواصل :  
 جمع خواصة ، وهي من الخائل بقرعة المنة للأحداث ، وبها مراعاة الظهير  
 لعش الكريا .

٢ إشفاقاً : خوفاً وشفقة .

٣ الخاف بالانكسار : يعني الخوف بالضعف بك . ولكنها تحذف ياء الدوم .

وما طاب في عذي الشريف آخر،  
إذا عومل يشهد بضمير الأواش  
أرى حمراً فوق الصواهيل نجمة،  
فإنكبي بعيني دُلَّ قَبْلَكَ الصواهيل<sup>١</sup>  
وربنت كسب إذا قيل: رَوَّروا،  
بَكَتْ مِنْ تَأْسِيهِمْ صُدُورُ الرِّسَالِ<sup>٢</sup>  
ونفيل فقه غير الله فليبه،  
يُظَلِّقُ بَأْنَ الدِّينِ يَحْفَظُ الْمَسَائِلِ  
وحامل زهير راية فوق مضاه،  
به كافي في الحي ذات مغاليل<sup>٣</sup>  
أحبوا بشي عوفي، وعلودرت دونهم  
أروا أذهاني في رياض الأبطال  
وما هي إلا عيشة أشجعية،  
والفلس أبت لي من طلاب الرذائل

١ حمراً : جمع حمار ، والمراد فرسان كثر .

٢ رَوَّروا : يقال رَوَّروا الحديث : نقلوه وأزالوا زوره أي عوجاجته ، والنهي  
قومه وحسنه

٣ الكافي : الجارية شاعدها ، والمراد أن حامل الرمح يشبه جارية تحمل منزلًا .

وَقَدْ لَوِ الْبَرْجِيسُ جِثًا جَدَّةً .  
إِذَا تَلَقَّاهُ بِنَحْوِ الْفَارِيسِ .

وَلَمَّا ظَلَمَ بَحْرُ الْبَيِّنِ بِفِكْرِي .  
وَأَغْرَقَ قَتْرَتُ الشَّمْسِ بَعْضَ جَدَاوِي .

وَحَسُنَتْ لِي خَيْرُ الْوَرَى كُلِّ حَرْفٍ .  
مِنْ الْمَدْحِ وَالْمُحَمِّلِ رَوْعِي الْحَمَائِلِ .

وَكُنْتُ الْفَضْلُ الْقَوْلُ أَرْبَعُ سَكِينًا .  
وَبُنْ سَاءَ نَحْوِي مَدَى كُلِّ قَائِلِ .

فَلَمَّا انْتَهَسَا قَالَ : أَتَشْفِي أَشَدَّ مِنْ عَرَالٍ فَاسْتَدْنَاهُ فَصَدَّقَنِي :

عَانِيكَ دَاوَاهُ فَقُلْتُ بِسَعْدَانِي .

فَلَمَّا انْتَهَسَا قَالَ لَوْ هِيَ : إِنْ أَشَدَّ نَدَى تَلَقَّى الْعُمُرُ ،  
فَلَا بُدَّ أَنْ يَنْفَتَ بِدَرَرٍ . وَهَذَا أَرَادَ بِإِلَاحِ سَيَحْظُرُ ، بِإِيْنِ  
فَرَجْحَةٍ كَالْجَلَسِ . وَهَذَا نَحْوُ الْخُطْبَةِ عَلَى مَضْرُوقِ السُّدْرِ .

- 
- ١ البرجيس : المتدري ، وهو كوكب سعد . جد : حظه . الفائق : الزائد به .  
المريخ . وهو كوكب الخدة والحرب .  
٢ روعي الخصال : أراكم به التكسب بالمدح .  
٣ معاني : مخرط . وقام السب : عند المدح بمدح مملأها .  
٤ الضائق : الغابة ، والجليل المقترب . وكلاهما مدح بمعنى .

فقلت : هلا وضعت على حلقم النسر ! فاستضحك إليّ  
وقال : اذهب فقد أجزئك هذه الشكبة . فقبلت على  
رأسه وانصرفت .



---

١ - النسر : الحظائر المرووف ، وتكون كفات ، أحدهما النسر الواقع والآخر النسر  
الضائر ، فكلمة فيه تورية ، وفيه مجاز أيضاً ، فنبوله ملحة النسر ، أي نسر  
الزمراء - ويريد به صاحب القلي .



## الفصل الثاني

### نوابع الكتاب

صاحبها الجاحظ وعبد الحميد

فقال في زهير : لمن تريد مدحاً ؟ فقلت : بل في الخ  
الخطباء ، فقد سميت وخطبوا من الشعراء . هو كصدا حيناً  
طاعنين في مضاع الشمس ، ولقيت فارساً أمراً في زهير ، والجوزع  
عنا ، فقال في زهير : أجبت لك خطباً الخين يفرج  
ذهسان ، وبيننا وبينهم فرسخان ، فقد كُفيت الفناء إليهم  
على انقيادهم . قلت : لم ذلك ؟ قال : للفرق بين كلامين  
اختلف فيه فيثبان الخين .

وانتبهت الى المراج فإذا بصاد عظيم ، قد جمع كل زهير ،

---

١ الجوزع عنا : أي انتطع عنا

فصاح زهير : السلام على قُربانِ الكلام . فردّوا وأشاروا  
 بالشّرّول . فأفرّجوا حتى صيرة مركّز هالكة بحلبهم ، والكل  
 منهم ناظر إلى شيخ أحلى ، جاحظ العين اليسرى ، على رأسه  
 فلتسوة بيضاء طويلة . فقلت سراً زهير : مَنْ ذلك ؟  
 قال : عتبة بن أوفه صاحب الجاحظ ، وكشيته أبو عبيثة .  
 قلت : بأبي هو ! ليس رغبني سيّاده وغير صاحب عبد الحميد .  
 فقال لي : إنه ذلك الشيخ الذي إلى جنبه ، وعرفه صفوي  
 إليه ، وقولي فيه . فستدني وأخذ في الكلام معي ، فصت  
 أهل المجلس ، فقال : إنك حبيب ، وحائك الكلام الجيد ،  
 لولا أمك لمقرئ بالشجع ، فكلامك نظم لا نثر .

فقلت في نفسي : فرحت ، بشي ، قد وعته ، وجاءك بما ثابته ؟  
 ثم قلت له : ليس هذا ، أغرك الله ، مشي جهلاً بأمر الشجع ،  
 وما في المعاملة والتدبير ؟ من فضل ، ولكنني عديم بيّدي

١ صفوي إليه : يعني إليه .

٢ المعانة : هي أن تكون القاطع القواص والمراثن في الكلام المشور منقذ في  
 الورن لا في التفتة نحو : وآيةها الكتاب اسمين ، وهذا بعد الصراحة  
 المستقيم . أو قول الجاحظ : من مدحه بالخير واشرب ، ويحمد والذم ، حتى ذكر  
 في القرآن مرة بالحمد ، ومرة بالذم .

٣ المقابلة : هي أن يؤتى بتعدد من التوافقات ، ثم يؤتى بما يقابله من الأسداد  
 على الترتيب . مثل قول الشاعر :

أنسكي وأوقد مداوة والقرى تارن : تار وعي ، وظار زمان

فَرَسَانِ الْكَلَامِ ، وَذَهَبَتْ بِغِبَاوَةِ أَهْلِ الزَّمَانِ ، وَبِالْحَرَا  
 أَنْ أَحْرَكْتَهُم بِالْأَزْدَرِاجِ . وَلَوْ فَرَسَتْ لَلْكَلامِ فِيهِمْ طَوْلًا ،  
 وَتَحَرَّكَتْ لَهُمْ حَرَكَةُ مَشْوَلٍ<sup>١</sup> ، لَكَانَ أَرْفَعَ لِي عِنْدَهُمْ ،  
 وَأَوْلَجُ فِي نَفْسِهِمْ .

فَقَالَ : أَعَذَا عَلَى تِلْكَ الْمَنَاطِرِ ، وَكَبِيرِ تِلْكَ الْمُحَابِرِ ، وَكَمَالِ  
 تِلْكَ الطَّبَالِيسِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، إِنَّمَا لِحَاءُ الشَّجَرِ ، وَلَيْسَ شَمٌّ<sup>٢</sup>  
 تَحَرُّ وَلَا تَعْبِقُ . قَالَ لِي : صَدَقْتَ ، إِنِّي أَرَاكَ قَدْ مَاتَلْتَ<sup>٣</sup>  
 مَعِي . قُلْتُ : كَمَا سَمِعْتُ . قَالَ : فَكَيْفَ كَلَامُهُمْ بَيْنَهُمْ ؟ قُلْتُ :  
 لَيْسَ لِسِيوِيٍّ فِيهِ عَمَلٌ ، وَلَا لِقِرَاهِيْدِيٍّ إِلَيْهِ طَرِيقٌ ، وَلَا  
 لِلْبَيَانِ عَلَيْهِ سِمَةٌ . إِنَّمَا هِيَ الْكَلِمَةُ الْعَجَبِيَّةُ<sup>٤</sup> يُؤْذُونَ بِهَا  
 الْمَعَانِي قَادِمَةَ الْمَجْهُولِ وَالشَّيْطَانِ . فَصَاحَ : إِنَّ لِقِيَّ ، ذَهَبَتْ  
 الْعَرَبُ وَكَلَامُهَا أَرْمَهُمْ بِأَهَذَا بِسَجْعِ الْكُنْهَانِ ، فَغَضِبَ أَنْ  
 يَنْفَعَكَ عِنْدَهُمْ ، وَيُخَيِّرَكَ ذِكْرًا فِيهِمْ . وَمَا أَرَاكَ ، مَعَ

١ بِالْحَرَا : يُقَالُ : بِالْحَرَا إِنْ يَكُونُ ذَلِكَ ، أَيْ بِالْخَبِيرِ .

٢ الطَّوَلَانِي : نَبَاتٌ .

٣ مَشْوَلٌ : لُغَةٌ مَتَوَلِّينَ كَمَتَوَلِّينَ ، أَيْ عَيْنٌ ، وَاحِدُهُ مَشْوَلٌ كَمَقْعَدٍ ، كَمَا فِي  
 مَجْمَعِ دَوْرِيٍّ ، وَهُوَ اصطلاحٌ مَعْرُوفٌ ، وَأَوَّلُهُ شَوْلٌ ، أَشَارَةُ إِلَى الرِّبَا أَيْ خَدَعِ  
 الْغَنِيِّ بِهَا الصُّوْفِيُّ فِي كَلِمَةِ وَدَعْنَةُ .

٤ اللَّحَاءُ : الْقَشَرُ .

٥ مَاتَلْتُ : أَتَيْتُ بِالْمِثَالَةِ .

٦ الْقِرَاهِيْدِي : أَيْ الْخَلِيلُ .

ذلك ، إلاّ تقبل الوطاف عليهم ، كسيرة المنجي إليهم .  
 فقال الشيخ الذي الى جانب ، وقد علمت أنّه صاحب  
 عبد الحميد ، ونفس مرقية الى ما يكون منه : لا يغرك  
 منه ، أبا عبيدة ، ما تكلف لك من المماثلة ، إنّ الشجع  
 لطبعه ، وإنّ ما أسعفتك كلفة . ولو امتد به طلق  
 الكلام ، وجرت أفراسه في ميدان البيان ، ائسّى كودنه  
 وكلّ يؤثسه . وما أراه إلاّ من اللكس الذي  
 ذكر ، وإلاّ فما للفصاحة لا تهدير ، ولا للأعرابية لا  
 شومض ؟

فقلت في نفسي : طبع عبد الحميد ومسايقه ، ورب  
 الكمية ! فقلت له : لقد عجلت ، أبا هيرة ، - وقد كان زهير  
 عرفني بكثيبي - إنّ فومك للشجع ، وإنّ ماء شهيك  
 لئسم ، أجهزاً رمية أم إساءة ، وفمقة طلبت أم نياناً ؟  
 وأريك ، إنّ البيان الضعيف ، وإنك منه أعي عبادة تكسبه  
 عن أشداء معانيك ، فكشف استب العنبر عن ذنبيها .  
 الزمان دفّ لا قار ، والكلام عراقي لا شامي<sup>٣</sup> . إني لأرى

١ - متى : اني الفرس في الزمان بعد السابق - الكودن : الفرس الهجين .

٢ - اللع : شجر مليب تصنع منه النبي .

٣ - عراقي لا شامي : تعريض بيد الحميد لانه شامي والمجاظر عراقي .

من دَمِ اليربوع<sup>١</sup> بكَفَيْكَ ، وألصق<sup>٢</sup> من كَشَى<sup>٣</sup> القُشْبِ على  
ماضِيَتِكَ . فبِشْمِ يَنْي<sup>٤</sup> وقال : أَهْكَذَا أَنْتَ يَا أَطْيَلِسَ<sup>٥</sup> ،  
تَرْكَبُ<sup>٦</sup> لِكُلِّ نَهْجَةٍ ، وَتَمِيجُ<sup>٧</sup> إِلَيْهِ : تَعِجُّهُ ؟ فقلت : المَذْأَبُ<sup>٨</sup>  
أَطْلَسَ ، وَإِنَّ التَّيْسَ<sup>٩</sup> مَا عَلِمْتَ !

فصاح به أَبُو عُبَيْدَةَ : لَا تَعْرِضْ لَهُ ، وَبِالْحِرَاءِ أَنْ تَحْلُصَ  
مِنْهُ . فقلت : الْحَمْدُ لِلَّهِ خَلَقَ الْأَنْعَامَ فِي بَطُونِ الْأَنْعَامِ !  
فقال : إِنَّهَا كَافِيَةٌ لَوْ كَانَ لَهُ حَبِيرٌ<sup>١٠</sup> . فَلَمَّا تَنَاقَشْنَا  
أَقْرَأَ عَلَيْهِمَا مِنْ رِسَالَتِي . فَقَرَأَتْ رِسَالَتِي فِي صِفَةِ الْبَرِّ  
وَالنَّارِ وَالْحُلُوبِ فَاسْتَعْنَاهَا .

١ اليربوع : نوع من الفار طوبل الرحلين ، نصير اليمين ، وله ذنب كذنب  
الجُرَذِ برصه صمداً ، في طرفه شبه النوازة ، ولونه كالأبيض الغزال ، يصطاده  
الاعراب ويأكلونه .

٢ الكشي : جمع الكشية بالضم ، شحمة بطن الضب أو أصل ذنبه ، يأكلها الاعراب ،  
ومنهم قَوْلُهُمْ : اطعم أُنْكَ كَشِيَةَ الضَّبِّ ، وهو حش على المؤاساة ، وفيل يل  
هز به . والمراد بذلك أنه يعجز عبد الحميد ببدارة نصيره لأنه شامي وليس  
كالمحافظ المراقى حضري النصير .

٣ الاطليس : تصغير الاطلس ، وهو الذئب الامعط في لونه غيرة ال سواد ،  
والرجل اذا رمى بلسح ، والبارث .

٤ عيج اليه : صاح ووقع صوته ، والمراد بذلك أنه يسلك طريقه . ويجوز  
على أسلوبه .

٥ الانعام : الايل .

٦ الحجير : العقول .

ومن رسالتي في الخلوة حيث أقول :

خرجت في لثمة<sup>١</sup> من الأصحاب ، وثبة<sup>٢</sup> من الأتواب ،  
فيهم فقية ذر لثم<sup>٣</sup> ، ولم أعرف<sup>٤</sup> به ، وعريم<sup>٥</sup> بطن ، ولم  
أشعر<sup>٦</sup> له ، رأى الخلوى يستخفه التبر<sup>٧</sup> ، واضطرب به  
الوثة ، فدار في ثيابه ، وأل<sup>٨</sup> من العايب ، حتى وقف  
بالأكداس<sup>٩</sup> وخالط غمار<sup>١٠</sup> الناس ، وانظر الى الفالوذج<sup>١١</sup>  
فقال : بأني هذا اللثمي<sup>١٢</sup> ، انظروا كآته النص<sup>١٣</sup> ، بحاجة<sup>١٤</sup>  
الزباير<sup>١٥</sup> ، أجريست<sup>١٦</sup> على شواير<sup>١٧</sup> ، وحلضها لباب<sup>١٨</sup> الحبة ،

\* تختلف رواية المدبرة لرسالة الخلوة عن رواية بيضة الدهر بمس الاختلاف .

١ اللثة بالف : الصاحب أو الأصحاب في الدهر ، والنؤس ، الواحد والجمع .

٢ الثبة : الجماعة .

٣ اللثم : سرعة الأكل .

٤ العريم : صاحب الدين يطالب به مدينه ، والمدينون الذي يطالبه صاحب الدين .

٥ شعر له : بطن له ، على التثنية .

٦ الأكداس : أي أنواع الطعام .

٧ غمار الناس : لثمي وجمعه المتكثف .

٨ الفالوذج : حواء تعمل من الدقيق والماء والنمل .

٩ اللثمي : الفالوذج .

١٠ بحاجة الزباير : أي ريق النمل .

١١ شواير : لم نجد له ذكر في ما بين أيدينا من المعجمات ، إلا معجم دوزي ويظهر

أن المراد به قطع لها شكل الزاوية ، كقطع الفالوذج ، وغيره من الخلوة .

فجاءت أديب من ريق<sup>١</sup> الأحيّة .

ورأى الحبيص<sup>٢</sup> فقال : باني هذا الغاي الرخيص ، هذا  
جليد<sup>٣</sup> سماء الرحمة ؛ لمخضت<sup>٤</sup> به فأبرزت منه زبد النعمة ،  
'يخرج' بالشحط ، ويدوب<sup>٥</sup> من اللفظ ، ثم ابيض<sup>٦</sup> ، فلواجها  
البهص<sup>٧</sup> البص ، قال : غص<sup>٨</sup> من غص ، ما أطيب خلقه  
الحبيب ، لولا حقيرة الرقيب !

ولمح<sup>٩</sup> القبيظاء ، فصاح : باني نثرة<sup>١٠</sup> القضة البيضاء ، لا  
ترد<sup>١١</sup> عن العضة . أبنار<sup>١٢</sup> خبيخت<sup>١٣</sup> أم ينور ؟ فإني أراها  
كقبيظ<sup>١٤</sup> البلور ، وبلور<sup>١٥</sup> تعجنت<sup>١٦</sup> أم يجور ؟ فإني أراها  
عين<sup>١٧</sup> عجيز<sup>١٨</sup> الموز . ومشي إليها وقد عدل<sup>١٩</sup> صاحبها أو طال  
نهاميه ، وعلق<sup>٢٠</sup> فسطاة<sup>٢١</sup> من<sup>٢٢</sup> أم<sup>٢٣</sup> واسه ؛ فقال : رطل<sup>٢٤</sup>  
يدرهمن<sup>٢٥</sup> ، وانتهشها بالشاب<sup>٢٦</sup> ، فصاح : القارة<sup>٢٧</sup> ما القارة ؟ !

١ ريق : في الأصل السنة ، والتصحيح عن يشمة الدمع .

٢ الحبيص : حلواء تصنع من العسل والقيق ، أو من التمر والسن . أو من  
الدبس والأرز .

٣ ماء البيض : أي زلال البيض .

٤ القبيظاء : الناطب ، وهي الخواص البهاء التي تؤكل مع البنيوسق ، وتعرف  
عندما يكرابيج حلب .

٥ النثرة : القطعة المذابة من الذهب أو الفضة .

٦ القسطاس : الميزان .

٧ القارة : ذي القيامة التي تدفع الغنوب بأهوالها .

هيه ! ويل للعمر من فيه !

ورأى الزلازلة ، فقال : ويل لأثنا الزانية ، أباحشائي  
ثيحت ، أم من حفاق قلبي أثقت ؟ فإني أجد مكانها  
من نفسي مكيناً ، وحبل هواها على كيدي متبناً ، فمن  
أين وصلت كف طابعها إلى باطني ، فافتطعها من دواجيني ؟  
والعزيز الغفار ، لأطلبها بالنار ! ومشي إليها ، فتألمظ له  
لسان الميزان ، فأجفل يصيح : الشعبان الشعبان !

ودفع له غمر النشا ، غير مهشوم الحشا ، فقال : فهم !  
من أين لكم نجي نخلة مريم ؟ ما أنتم إلا الشعار ، وما  
تجزؤكم إلا السيف والشار ، وهم أن يأخذ منها . فاثبت  
في صدره المعصا ، وجلس القرطضا . يذري الدموع ، ويبدي  
الحشوع . وما مثا أحد إلا عن الضحك قد تجلد . فرقت

١ هيه : كلمة استزادة ، أو كلمة تقال شيء يعلو .

٢ حفاق القلب : أي غشاؤه .

٣ دواجني : أي احتشائي التي الفت بأثني .

٤ تلمظ : أي خرج لسانه وغررك .

٥ غمر النشا : الفاخر أنه حلوا ، تصنع من التمر والنشا .

٦ ميم : اسم فل للامرء ، وممنه أخبرني .

٧ نخلة مريم : إشارة إلى الآية في سورة مريم : « وهزي إليك يذرع النخلة ،

تألف عليك رطباً حياً » .

٨ ثابت : الضعير يعود إلى الخلوالي .



له خلوعي ، وعلمت أن أفه فيه غير مضيعي . وقد تجمل  
الصدقة على ذوي وقرة ، وفي كل ذي كبد رطبة أجر .  
فأمرت الغلام<sup>١</sup> ببيع أوصالي منه تجمع أنواعا التي أنطقه  
وتحتوي على ضررها التي أضرت<sup>٢</sup> ، وجاء بها وسيرة إلى مكان  
خال طيب ، كوصف المهني<sup>٣</sup> :

خانة تطيب ليأغي الشئ خلوته ،  
وفي ستر على الفتاك إن فسكو<sup>٤</sup> :

فصبها رطبة الوافوع ، كراديس كقصع الجدوع ؛  
فجعل يقطع ويلع ، ويدجو<sup>٥</sup> فاه ويدفع ، وغناه ثبوتان  
كأنهما جسران ، وقد برز على وجه كانهما حصيتان ،  
وأنا أقول له : على رسلك أرفلان البيضة الذهب الفضة !  
فلما التقم جملة جديها ، وأنى على ماخيرها ، ووصل  
خولها بسديها ، تحشا فبشت منه ربيع عقيم<sup>٦</sup> ، أيقشا

١ الغلام : في الأصل الخواني ، والصحيح عن بيضة الدهر .

٢ أضرت : أذهت .

٣ المهني : هو أبو محمد المهدي الشاعر ، وزير معز الدولة بن بويه .

٤ الفتاك : أصحاب الميعون .

٥ يدجو : يسط .

٦ الخودق والسدير : فهران في الحيرة لعمان الأكبر ، وفي السدير موضع

في الحيرة أو نهر .

٧ ربيع عقيم : أي لا تنفع سحابة ولا شجرة .

لها بالعذاب الآليم . فتَوَرَّثْنَا تَدَارَ تَدَارَ ، وفَرَّقْنَا شَفَر  
بَغَرًا ، فَالْتَحَمْنَا مِنَ الظُّرْيَانِ ، وَصَدَّقَ الْحَبْرَ قَبْلَ الْعِيَانِ ؛  
تَفَحَّحَ ذَلِكَ فَتَرَدَّ الْأَنْعَامُ ، وَتَفَحَّحَ هَذَا فَبَدَّدَ الْأَنْعَامَ ، فَمِ  
نَجْتَمِعُ بَعْدَهَا ، وَالسُّدَمُ .

فَاتَّحَمْنَا ، وَضَعْنَا عَلَيْهَا ، وَقَالَا : إِنَّهُ لَسَجْعُكَ مُوْضِعًا  
مِنَ الْقَلْبِ ، وَمَكْنَأٌ مِنَ النَّفْسِ ، وَقَدْ أَعْرَضَ عَنْهُ مِنْ  
طَبْعِكَ ، وَخَلَاوَةٌ لِفَطْنِكَ ، وَمَلَاخَةٌ صَوْفِكَ ، مَا أَرَاكَ أَهْلًا ،  
وَرَفَعَ عَيْنَهُ ، وَقَدْ بَلَغْنَا أَنَّكَ لَا تُجَادِي فِي أَبْنَاءِ  
جِنْدِكَ ، وَلَا يُبَلِّغُ مِنَ الضَّعْفِ عَلَيْكَ ، وَالْإِعْزَازِ لَكَ .  
فَمَنْ أَشَدُّهُمْ عَلَيْكَ ؟ قَالَتْ : جَارَانِي دَاوُودُهَا حَقَّابٌ ، وَتِلْكَ  
نَائِنَةُ ثَوْبٍ ، فَاذْهَبِي ظَهْرَ الثَّوْبِ ، وَالزَّمْتُ بِهِ فِي  
سَرَفُطَةِ الْعَصَا . فَقَالَا : إِي أَيُّ مُحَمَّدٍ تُشِيرُ ، وَأَيُّ الْقَاسِمِ  
وَأَيُّ بَكْرٍ ؟ قَالَتْ : أَجَلٌ . قَالَا : فَأَيْنَ بَلَغْتَ فِيهِمْ ؟ قَالَتْ :  
أَمَّا أَبُو مُحَمَّدٍ فَاتَّضَى عَلَيَّ لِسَانُهُ عِنْدَ الْمُسْتَعِينِ ، وَسَاعَدَنِي

- ١ فرقتنا شفر بغر : أي فرقتنا في كل وجه مثل شذر مشر
- ٢ الظريان : دوية كالهرة تنه الرياح .
- ٣ تفح : أخرج وجهه . ذلك : أي الظريان . الانعام : في بنية الدهر : الانعام .
- ٤ الآمن : النفس .
- ٥ الغين : الغير ، والغناء ، والاباس .
- ٦ الضغب : القريب لمدكر والمؤنث ، والقرب .
- ٧ المستعين : الحليفة الأموي سنيان بن الحكم الذي انتقلت الخلافة في فرطية  
بعد مقتله إلى علي بن حمود الأديبي .

زرافة<sup>١</sup> انتهواها من الحاسدين ، وبلغني ذلك فأنشدته  
شعراً ، منه :

وَبُلِّغْتُ أَهْوَائِي تَجِيئُ صَدُورُهُمْ  
عَلَيَّ ؛ وَأَنِّي مِنْهُمْ عَارِغُ الصَّدُورِ

أَصَاحِبُوا إِنِّي قَوِيٌّ فَاسْتَعِزُّوا مُعْجِزَاهُ  
وَعَاظُوا عَلَى بَرِّي فَأَعْيَاهُ أَمْرِي

فقال فريق : ليس ذا الشعر شعراً ؛  
وقال فريق : أليس الله ما تدري ؟

أَمَا عَلِمُوا أَنِّي إِنْ عَصَيْتُ طَمَحُ ؛  
وَأَنِّي الَّذِي سَبَقًا عَلَى بَرِّهِ تَجْرِي ؟

وَمَا كُلُّ مَنْ هَذَا الْجِدُّ يَسْلُومُهَا ؛  
وَلَا كُلُّ مَنْ أَجْرِي يُقَالُ لَهُ : تَجْرِي

فمن شاء فليحضر ، وإني حاضر ،  
ولا شيء أجلى للشكر من الحضر

وأما أبو بكر فأقصر ، واقصر على قوله : له توبة

١ الزرافة : الجماعة من الناس ، أو المثرة منهم .

٢ الأئمة : جمع الأئمة ، أي القسم ، وهذا من قولك : فقت : بين الله .

تؤيده. وأما أبو القسيم الأفليلي فكأنه من نفسي مكين،  
وحبته بقوادى دجن، على أنه حامل على، ومنسب إلى.

## صاحب الافليلي

صاحبا : يا أبا الشافعي، نعم، من سكان خيبر!  
فقام اليهما جشي شيطا ربعة وارم الأتف، يتظالنع  
في مشيته، كاسيرا لطرفه، وراويا لأتفه، وهو ينشيد:

فومة هم الأتف والأرداب غير علم،

ومن يسوي أتب الذائف الذئبا؟

فقال بي : هذا صاحب أبي القسيم، ما هو لك فيه يا أتب  
الشافعي؟ قال : فني ثم أعرفه على من رآه. فقلت لنفسي :  
العدا من العنينة! إن لم أعرفه بي عن ذلك، ونظمتي

١ الأفليلي : قال ابن حبان، وكان أبو القاسم المعروف بابن الافليلي، قد بد  
اهل زمانه بقرطبه في عهد اتان الغوري، وانضبط لغريب الفقه، وكان راكيا  
رأسه في الخطأ الذين يتبادل عيبه، ولا يصرغه صارف عنه.

٢ يتظالنع : يمشي في مشيته.

٣ هذا البيت شعطلة في مدح بني اتف النافعة.

٤ العصا : عرس لجنية بن الأبرش، العصية أمها، ومنه المثل : لا بلد العصا غير  
العصية، أي أن الفرع يشبه الأصل، كما يشبه الأفليلي اتف النافعة.

بعض أدوارك ، ونستبين قرآن الكلام ، لم يطير لك  
بعدها طائر ، وكنت غرضاً لكل تحير عابر .

وأخذت للكلام أغيثه ، ولبيست لنيان يوثقه ، فقلت :  
وأنا أيضاً لا أعرف على من قرأت قال : ألم يثلي يقال  
هذا ؟ فقلت : فكان ماذا ؟ قال : فقد رخصي كتاب الحليل .  
قلت : هو عندي في ربيع . قال : فناظري على كتاب  
سبيوته . قلت : تحريت امرؤاً عندي عليه ، وعلى شرح ابن  
كروستويه . فقال لي : دع علك ، أنا أبو البيان . قلت :  
لأله الله ! إنا أنت كمن بين وسط . لا يحسن فيطرب ،  
ولا يسبي فيلهي . قال : لقد علمت المودون . قلت :  
ليس هو من شأنهم ، إنما هو من زعم الله تعالى حيث قال :  
« الروح من علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان » ،  
ليس من شعر يفسر ، ولا أرض تكسر . هيات ، حتى  
يكون المسك من أميك ، والعشبر من أنعامك ؟ وحتى  
يكون مفاك عذباً ، وكلامك رطباً ، ونفسك من

---

١ لاء : نسر وعلا وارتفع . وحور سحابة اشتد اسم الحلالة منه : ولأله الله  
يعني تعالى الله .

٢ ألهي : ترك الشيء عجزاً .

٣ الانقاس : جمع النقص ، وهو الخداد .

تَفْكِكَ ، وفكّيك<sup>١</sup> من فليكَ ؛ وحتى تناول<sup>٢</sup> الوضع فترفعه ؛  
والرفع فنظّمه ، والقيح فنحّته !

قال : أسعني مثلاً . قلت : حتى تُصِفَ بُرْعوتنا فنقول :

مفة برغوث

أَسُوذُ رَنْجِي<sup>٣</sup> ، وَأَهْلِي<sup>٤</sup> وَحَتِّي<sup>٥</sup> ؛ لَيْسَ يَوَانِي<sup>٦</sup> وَلَا  
زَمِيل<sup>٧</sup> ، وَكَأَنَّهُ أَجْرٌ لَا يَنْجِي<sup>٨</sup> مِنْ لَيْلٍ ؛ أَوْ شَوْنِيْزَةٌ<sup>٩</sup> ،  
أَوْ تَقْنِيَا غَرِيْزَةٌ ؛ أَوْ نَقْطَةٌ مِدَادٌ ، أَوْ أَوْيْدَةٌ فَلَبْ فَرَادٌ ؛  
شَرِبَهُ نَعْبٌ ، وَمَشِيَهُ وَثْبٌ ؛ يَكْنُتُنْ سَهَارَةٌ ، وَيَسْتُرِي  
لَيْلَةٌ ؛ يَدَارُكُ يَضَعْنِي مَوْلَمٌ ، وَيَسْتَحِيلُ<sup>١٠</sup> دَمَ كُلِّ كَاهِنٍ وَمُسْلِمٍ ؛  
مَسَاوِرٌ<sup>١١</sup> لِلْأَسَاوِرَةِ<sup>١٢</sup> ، يَجُرُّ نَذْلَهُ عَلَى الْجَاوِرَةِ ؛ يَتَكْفَرُ<sup>١٣</sup>  
بِأَرْفَعِ النَّبَابِ ، وَيَتِيكُ<sup>١٤</sup> سِتْرَ كُلِّ حِجَابٍ ، وَلَا يَهْدِي<sup>١٥</sup> بَهْوَابَ ؛

١ القلب : الشر .

٢ الزميل : الجبان الضيف .

٣ الشونيزة : الحية الدودة . في الأصل : وشونيزة ، والتصحيح عن بئمة الدهر .

٤ أوتقنها : أحكمتها .

٥ الفراد : حاملة الثدي ، وفورية تمنق بالميمر وغو . كالقمل في الإنسان .

٦ يدارك : في الأصل يدرك ، والتصحيح عن بئمة الدهر . كافر : فاقصة في

الأصل ، والزيادة عن بئمة الدهر .

٧ مساور : مواب .

٨ الأساور : الفرسان الثابتون على ظهر حيولهم ، والذين يعيدون الرمي بالسهم .

٩ يتكفر : يستر .

يُردُّ مناهيل العيش العذبة ، ويصل إلى الأخراج<sup>١</sup> الرطبة ،  
لا يتسع منه أمير ، ولا ينفع فيه غيرة غيور ، وهو أحقر  
كل حقير ؛ شره مبثوث ، وعده منكوت ، وكذلك  
كل برغوث ، كفى هذا نقصاً للإنسان ، ودلالة<sup>٢</sup> على قدور  
الرحمن .

صفة لعاب

وحى تصف تلباً فتقول : أدهى من عمرو<sup>٣</sup> . وأنتك من أنبل  
حذيفة بن بدر<sup>٤</sup> ، كثير الروع في المسبب ، معترى بارافة دماء  
المؤذنين<sup>٥</sup> ، إذا رأى الفرعة انشزها ، وإذا طشبت الكفاة<sup>٦</sup>  
أعجزها ، وهو مع ذلك بقراط<sup>٧</sup> في إدامه<sup>٨</sup> ، وجالينوس<sup>٩</sup>

١ الأخراج : جمع الحرج بالتحريك ، وهو المكان الصيق الكثير الدهر ويمكن  
به عن الحرفة ، ونرجح أن في الجمع تصميماً ، هو الجاء كما أوردته التتالي في  
بنيمة الدهر .

٢ ودلالة : في الأصل : ودلا . والتصحیح عن بنية الدهر .

٣ عمرو : أي ابن العاص .

٤ حذيفة بن بدر : سيد بني فزارة ، قتل في حرب داحس والغبراء .

٥ المؤذنين : جمع المؤذن ، وهو هنا الديك لأنه يؤذن في الصباح ، كأنه يسبح لله .

٦ بقراط : أعظم طيب يوناني في القديم .

٧ الإدام : ما يؤتد به من الطعام ، ويسوف بالدامة عند العامة .

٨ جالينوس : طبيب يوناني قديم اشتهر بالتشريح .

في اغتيال طعامه ، غذائه حَسَامٌ أو كَجَاج ، وعَشاؤه  
قَدْرَاجٌ أو دَرَّاجٌ .

## صاحب بديع الزمان

وكان فيما يقابلني من تلاميذه قتي قد رَمَى في بَطْرِفه ، وانكأ  
ني عنى كَفَّه ، فقال : تَحَبُّشٌ على الكلام طَيفٌ ، وأبيك !  
فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : أوَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الوَاصِفَ إِذَا  
وَصَفَ شَيْئاً يَتَقَدَّمُ إلى حَقِّهِ ، وَلَا تَلَطُّتِ الكلامُ على  
مَعْنَاهُ ، اكْتَفَى بِقَلِيلِ الإحْسانِ ، وَاجْتَزَى بِسِيرِ الْبَيَانِ ؟  
لأنَّه لم يَتَقَدَّمْ وَصْفٌ يُقَرَّنُ بوصفه ، وَلَا أَجْرَى سَاقٌ  
يُضَافُ إلى مَاضٍ . وهذه كُنتَ بِغَدَايَتِهِ ، أَنَّى لَكَ بِهَا  
بِأَقْبَى الْمُقَرَّبِ ؟

فقلتُ لَوَهِيرٍ : مَنْ هَذَا ؟ قال : أَرَبْدَةُ الْحَقِيبِ ، صاحب  
بديع الزمان . فقلتُ : يَا أَرَبْدَةُ الْحَقِيبِ ، اقْتَرَحْ لِي . قال :

- 
- ١ التدرج : مَطَرٌ جميل المنظر جداً ، يهز في البساتين بأصوات طيبة ، وموطنه  
بأرض حراسان وغرس وغيرهما ، وهو شبه بالتدرج إلا أنه أفضل منه لعمامة .  
٢ التدرج : مَطَرٌ جميل المنظر مألوف للريش ، زعموا أن لحمه يزيد في الدماغ  
والقطننة .  
٣ اجتزى : اكْتَفَى ، نَفَى في اجتزأ .



صفت حيارية<sup>١</sup> . فوصفتها . قال : أحسنت ما شئت أن  
تُحسِن ! قلت : أسمعني وصفك للماء<sup>٢</sup> ، قال : ذلك من  
المعظم<sup>٣</sup> . قلت : بحبائي هاتِه ، قال : أروق<sup>٤</sup> كعين السُّور<sup>٥</sup> ،  
صاف كقضيبي البيلور<sup>٦</sup> ؛ انتخب<sup>٧</sup> من الفرات<sup>٨</sup> واستميل<sup>٩</sup> ،  
بعد البسات<sup>١٠</sup> ، فجاء كلان الشمعة<sup>١١</sup> ، في صفاء الدمعة .

قلت : انظره ، يا سيدي ، كأنه عصير صباغ ، أو  
كذوب<sup>١٢</sup> فمر ليح<sup>١٣</sup> ؛ ينضب<sup>١٤</sup> من لثامه<sup>١٥</sup> ، انصباب الكوكب<sup>١٦</sup>  
من سائر<sup>١٧</sup> العين<sup>١٨</sup> حائونه<sup>١٩</sup> ، والفم عفرينه<sup>٢٠</sup> ، كأنه تحيط<sup>٢١</sup>  
من غزال<sup>٢٢</sup> فليق<sup>٢٣</sup> ، أو مختصر<sup>٢٤</sup> يضرب<sup>٢٥</sup> به من ورق<sup>٢٦</sup> ؛ يرفع<sup>٢٧</sup>  
عنك<sup>٢٨</sup> تردى<sup>٢٩</sup> ، وينصدع<sup>٣٠</sup> به فابك<sup>٣١</sup> فتعيا .

- 
- ١ وصف الماء ليدبح الزمان في المقامة المضيرة .
  - ٢ من المقم : أي لا يولد عليه له .
  - ٣ انتخب : في المقامة المضيرة : استقي .
  - ٤ الفرات : الماء المذبذ ، أو لعله أراد به دعة ، لأن قصة المضيرة وقعت في  
بقداد ، يقال : الفراتان ، أي الفرات ودجلة .
  - ٥ البسات : أي أن يبست الماء في أثناء تحت السماء ليبرد ، وبمعنى .
  - ٦ ليح : ايض ناصع .
  - ٧ العين : أي عين الماء .
  - ٨ المختصر : رواية قيمة الدهر : المخترة ، وهي نصيب كان الأمير يأخذ يده ،  
يشجر به ويصل به كلامه . الورق : الغضة .
  - ٩ تردى : أي تهلك عطشاً .
  - ١٠ بصدع : يشق .

فلما انتهت في الصفة ، ضرب زبدة الحبيب الأرض  
برجله ، فانفجرت له عن مثل يرهوت ، وقد هدى إليها ،  
واجتمعت عليه ، وغابت عينه ، وانقطع أثره . فاستضحك  
الأسنان من فميه ، واشتد غبط أنف الناقه علي .

## رجع الى انف الناقه

فقال : وفمت لك أوصاف في شعيرك تظنني لا  
أستطيعها : فقلت له : وحتى نصيف عرضاً فنقول :

ومر تجزئ ألقى بدي الأثل كالكلاء ،

وحظت بحرءاء الأبارق ما تحطأ ؛

نمى في فياد الربيع يستريح للضبا ،

فألفت على غير التلاع به ميرطأ ؛

١ يرهوت : واد أو بئر يجرهوت .

٢ تدهدى : تدحرج .

٣ العارض : السحاب المقترض في السماء .

٤ المرجز : السحاب ينموك بطنه لكثرة مائه ، ويندرك صوت وعده الأثل ؛  
شجر عظيم ينبت الطرفاء . الجرءاء : الأرض ذات الحروقة ذاك الرمل ، أو  
الكثيب ، جانب منه رمل ، وجانب حجارة . الأبارق : جمع الأبرق ، وهو  
غلف فيه حجارة ورمل وطين مختلفة .

٥ على غير التلاع : أي على غير الأماكن المرتفعة . والتلاع مسايل المياه من  
الجبال والمرتفعات . المرطأ : كداء من صوف أو خز .

وما زال يروي الشربة حتى كسا الرمي  
 درانيك، والغيضان من نسجه بيطا  
 وعنت له وبعث ثمايطا قسرة،  
 كما نثرات حصاة من جيديها سيطا  
 ولم أر درأ يذذته يبد الصبا  
 سيواة، فبات الثور يلقطه لثما  
 وبيتنا نواعي الليل في قسور يوزة،  
 ولم يحمر ثيب العشي في فرأه وخطا  
 نواه كمان الزنج في قرط كبره،  
 إذا دام مشأ في نبحثره أنفعا  
 مطلا على الآفاق والبدر فاجه،  
 وقد علق الجوراة من أذبه قرطا  
 وحتى نصف ذنبا فنقول :

إذا اجتاز علوي الزياح بأفقه،  
 أجند، لغير قان الصبا، يتنفس

- 
- ١ الدرائك : الطافس ، واحدها دريك بكسر فكسر ، والمراد الزهر الذي نبت عن المطر . الفيضان : جمع الفيضة وهو المطر الواسع من الأرض .  
 ٢ أجند : أسرع .

تذكر روضاً من شوي وبافر ،  
تولته أحراس من الذعر تحرس<sup>١</sup>

إذا اثابها من أدوب القفر طارق<sup>٢</sup>  
حيث ، إذا ما انتشر اللحظ هيس<sup>٣</sup>

أزل كذا جثمانه منتسراً<sup>٤</sup>  
طبال سودة للدهج وهو أطلس<sup>٥</sup>

قدال عليه لحظ حبيب مخادع<sup>٦</sup>  
ترى مارة من ماء عنتيه نقبس<sup>٧</sup>

فصاح فبان الجين عند هذا البيت الأخير : زاه<sup>٨</sup> ! وعلت<sup>٩</sup>  
أنف النافر كآبة<sup>١٠</sup> ، وظهرت عليه نهابة<sup>١١</sup> ، واختلط كلامه ،  
وبدا منه ساعثن بواي في خطابه ، رجه لها من حضر ،  
وأشقى عليه من أجلها من نظر .

١ الشوي : الشاء الباهر : اسم جمع بقور .

٢ امشعر : خاف ، هيس : يدير بالحق .

٣ الأزل : الليل العم ، والسريع . الأطلس : القاب الامشط في لونه غيرة  
الى سواد .

٤ الحب : المخادع حيث الغاش .

٥ زاه : حكاية صوت المرتقي والمتعجب . لم نجد لها ذكراً في كتب اللغة ، وإنما  
ذكر زه زه : حكاية قول المرتقي ، وزى زى : حكاية صوت الجين .

## صاحب أبي اسحاق بن حمام

وَسَمِعْتُهُ فِي فَنِّي ، كَانَ إِلَى جَانِبِهِ ، عَنْ سَاعِدٍ ، وَقَالَ لِي :  
وَهَلْ يَضُرُّ قُرْبَاجَتَكَ ، أَوْ يَنْقُصُ مِنْ بَدَنِيَّتِكَ لَوْ تَجَافَيْتَ  
لَأَنْفِ الشَّافَةِ ، وَصَبَوْتَ لَهُ ؟ فَإِنَّهُ عَلَى عِلَاقَتِهِ زَيْدٌ عَيْمٌ ،  
وَزَنْبِيلٌ فَتَهُمُ ، وَكَتَمْتُ رَوَابِئَهُ . فَقَالَ لَزَهْرٍ : أَمِنْ هَذَا ؟  
فَقَالَ : هُوَ أَبُو الْآدَابِ صَاحِبُ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ حَمَامٍ جَارِكَ .  
فَقُلْتُ : يَا أَبَا الْآدَابِ . وَهَذِهِ رِجْلَتِي الْكُتَّابُ ، وَفَقْتُ عَلَى  
أَحْبَبِكَ بِتَرْبِ السَّابِكِ ، وَهَلْ كَانَ يَضُرُّ أَنْفَ الشَّافَةِ ، أَوْ  
يَنْقُصُ مِنْ عِلْمِهِ ، أَوْ يَفُتُّ شَرَفَهُ ؟ أَنِ يَصِيرَ لِي عَلَى ذَلِكَ  
تَمَرُّدٌ فِي شَيْءٍ أَوْ خَطْبَةٌ ، فَلَا يَبْعَثُ بِهَا سِنَّ تَلَامِيذِهِ ،  
وَيُجَاهِلُهَا طَرَفُ مَدَنِهِ ؟ مِنْ حَرَامِيذِهِ ؟ فَقَالَ : إِنَّ الشُّبُوحَ قَدْ  
نَهَقُوا أَحْلَاسَهُمْ فِي الشُّدْرَةِ . فَقُلْتُ : إِنَّمَا الْمَرْءُ بَعْدَ الْمَرْءِ .

ثُمَّ قَالَ لِي الْأَسَدَانِ غَنِيَّةُ بْنُ أَرْفَمٍ ، وَأَبُو هَبِيرَةَ صَاحِبُ  
عَبْدِ الْحَمِيدِ : إِنَّا أَنْخَضُّكَ مِنْكَ بِبَيْتِهَا حَبِيرَةٌ ، وَتُفْتَقُ  
أَسْمَاعُنَا مِنْكَ بِعَبِيرَةٍ ، وَمَا تَدْرِي أَنْقُولُ : شَاعِرٌ أَمْ خَطِيبٌ ؟

١ غريب اللسان : حديثه .

٢ الطرمذة : الصنف والمفاخرة .

فقلت : الإِنْصَافُ أَوْفَى ، وَالصَّدَقُ بِخِيٍّ أَحَبُّ ، وَلَا بُدَّ  
مِنْ قَضَاءٍ . فَقَالَا : اذْهَبْ فَإِنَّكَ شَاعِرٌ حَسِيبٌ .  
وَالْتَقَطَ الْجَمْعُ وَالْإِبْصَارُ إِلَيَّ فَظَمِيرَةٌ ، وَالْأَعْدَى نَحْوِي  
مَائِلَةٌ .

## الفصل الثالث

### نقاد الجن

#### مجلس أدب

وحظرت<sup>١</sup> أنا أيضاً، و«غير» محبباً من مجلس الجن،  
فقد أكرمتنا بأعواننا الشجعان من المعالي، ومن راد هاتين  
الأخذ، ومن «غير» «أشبه» قولاً لأفوا<sup>٢</sup> بعض من حضر:

وثنى على آتونه

وأي عزم، ثقة أن تستلزم<sup>٣</sup>

وأنشد آتونه قول الديعة:

إياها غيروا بالحبس حلقاً فوفهم<sup>٤</sup>

محاسباً خبيراً بقلبي بعض السير

---

١ الأتونه: أي الأتونه الإلهي، شاعر جاهلي.

٢ ستار: أي سعطى ميرتها من جثة الغنى.

تَوَاهُنٌ تَخْلُفُ الْقَوْمَ الْخُزْرَاءَ عِيُونُهَا

جُلُوسُ الشُّيُوعِ فِي ثِيَابِ الْمَرَانِبِ<sup>١</sup>

جَوَانِحُ ، قَدْ أُيِّقْنَ أَنْ قَسِيْلَهُ ،

إِذَا مَا اتَّقَى الْجَيْشَانِ ، أَوَّلُ غَالِبِ

وَأَشْدَ آخِرُ قَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ :

تَتَأَيَّى الطَّيْرُ غَدْوَتَهُ

ثِقَةً بِالشُّبُعِ مِنْ جُزُرِهِ<sup>٢</sup>

وَأَشْدَ آخِرُ قَوْلِ صَرِيحِ الْفَوَّانِي<sup>٣</sup> :

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرُ عَادَاتِ وَيَقْنُ بِهَا ،

فَهُنَّ يَنْتَبِهُنَّ فِي كُلِّ مَرْنَجَلٍ

وَأَشْدَ آخِرُ قَوْلِ أَبِي نَسَّامٍ :

وَقَدْ كُفِّلَتْ عَقِيَانِ أَعْلَامُهُ لِحُجَى

بِمَعْقَبَانِ كَظِيرٍ فِي الدَّاءِ أَوْ بَوَاهِلِ<sup>٤</sup>

---

١ الخُزْرَاءُ : جمع الأخضر، وهو الذي يضرب عَجُورَ عَيْنِ المَرَانِبِ : ثياب سود  
أو دَكِيَّةٍ مِنْ جُلُودِ الْأَرَابِ بِتَبَةِ النُّسُورِ وَسِوَاهَا مِنْ الْخَوَاجِ ، وَمَا عَلَيْهَا  
مِنَ الرِّيشِ ، تَبَيَّحَ عَلَيْهِ الْفَوَّانُ .

٢ تَتَأَيَّى : تَقْصِدُ وَتَتَعَمَّدُ . غَدْوَتُهُ : أَيِ الْخُرُوبِ . مِنْ جُزُرِهِ : أَيِ مَا يَتْرَكَ  
مِنَ لُحُومِ الطَّيْرِ فَرِيَّةً هَا .

٣ صَرِيحُ الْفَوَّانِي : مَلِكُ بَنِي الْوَلِيدِ ، الشَّاعِرُ النَّبَاطِيُّ .

٤ الْمَعْقَبَانِ الْأَوَّلُ : الرَّاكِبَاتِ .



أقامت مع الروايات حتى كأنها  
من الجيش ، إلا أنها لم تقابل

فقال تميم : كلفهم قصر عن النافعة ؛  
لأنه راد في المعنى ودل على أن الطير إنما أكلت أعداء  
المدوح ، وكلامهم كلهم مشترك يحتمل أن يكون ضد ما  
نوام الشاعر ، وإن كان أبو تمام قد راد في المعنى . وإنما  
المحسن المتخلص انتهى حيث يقول :

له عسكراً خبيلاً وطيراً إذا رمى  
بها عسكراً لم يبق إلا الجمجمة

وكان بالحضرة في حسن البيعة ، فاحتد بقول تميم :  
فقال : الأمر على ما ذكرت يا تميم ، ولكن ما نسأل  
الطير إذا شيعت أي القليلين الغالب ؟ وأما الطير الآخر  
فلا أدري لأي معنى عافت الطير الجمجمة دولة عظام  
الشوق والأذراع والمقاربات والمصاعيق ؟ ولكن الذي  
خلص هذا المعنى كله ، وزاد فيه ، وأحسن التركيب ،  
ودل بلفظه واحدة على ما دل عليه شعر النافعة وبنت  
المتني ، من أن القتلى التي أكلتها الطير أعداء المدوح ،  
فإنك بن الصنعبي في قوله :

١ بها : الضمير عائد إلى الخيل والطير لا إلى عسكرا .

وتدري سباع الطير ان كمانه .

هذا لتبين صيد الكمان . سباع

لهن العاب في الغداة وغيره .

إذا جد بين الداريتين فراع

تطير جيعا فوقه وتردها

ظلمة الى الأوكار ومعنى سباع

نبتة بالاحسان رقيقة رهايا

فهن رفيق بشوى ويوسع

والنعم من افراخها فهي طوعة

لدى كل حربى والمثوك نطع

ثم صبع جرحا فيجبر تغرها

عليهم . والاسير العتاق مصاح

فاعترى المجلس لقوله ، وعليوا صدقة . فقات الزهير :

من فأتيتك بن الصنم ؟ قال : يعني نفسه . قلت له : فبلا

عرفاني شأه منذ حين ؟ إني لأرى تزعات كريمة . وفمت

١ الصيد : جمع الأسيد وهو الزارع الرأس كبرا

٢ ألم : اطمع اطمع . من افراخها : نبتة الجنس .

٣ فاصح : تقاتل .

فجئستُ إليه جِلَّةَ العَظَمِ له . فاستدارَ نحوِي ، مَكْرِيماً  
 لِسَكَّانِي ، فقلت : جَدُّ أَوْشَنَّا ، أَغْرَكَ اللهُ ، بِحَبْلِكَ ،  
 وَأَمْطَرَنَا بِعُيُونِ آدَابِكَ . قَالَ : سَلْ عَسَا شِلْتُ . قُلْتُ :  
 أَيُّ مَعْنَى سَبَقَكَ إِلَى الْإِحْسَانِ فِيهِ غَيْرُكَ ، فَوَجَدْتَهُ حِينَ  
 رُمْتَهُ صَعْباً عَلَيْكَ إِلَّا أَنْتَ نَقَذْتَ فِيهِ ؟ قَالَ : مَعْنَى قَوْلِ  
 الْكِنْدِيِّ ١ :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَمَا نَزَمَ أَهْلُهَا ،  
 لَسَمَوْتُ حُجَابَ الْمَاءِ حَلَالاً عَلَى حَالِ

قُلْتُ : أَغْرَكَ اللهُ ، هُوَ مِنَ الْعَقَمِ ، أَلَا تَرَى مُعَبَّرَ بَنٍ  
 أَيْ رِبْعَةً ، وَهُوَ مَنْ أَطْبَعَ النَّاسَ ، حِينَ رَامَ الْإِدْنُوهُ مِنْهُ  
 وَالْإِلْهَامُ بِهِ ، كَيْفَ اقْتَضَحَ فِي قَوْلِهِ :

وَنَقَضْتُ عَنِ الذُّومِ أَقْبِلْتُ وَخِشَّةً ٢  
 حُجَابٍ ، وَرَأَيْتُ خِشَّةَ الْقَوْمِ أُرْوَرُ ٣

قَالَ : صَدَقْتُ ، إِنَّهُ أَسَاءَ فَخْشَةَ الْبَيْتِ ، وَأَرَادَ أَنْ  
 يُلْطِفَ الذُّومَ إِلَى ، فَبَاءَ مُقْبِلًا بِرَكْنٍ كَرَّ كُنْهَ أُرْوَرُ .

١ الكندي : أي امرؤ القيس .

٢ خِشَّة : في رواية : خَشِيَّة . ورواية الديوان :

وخفض عن الصوت أقبلك خشيئة إلى حجاب ، وشغفي خشيئة إلى أُرْوَر

فأعجبني ذلك منه ، وما زلت مقدماً هذا المعنى رجلاً ،  
ومؤخراً عنه أخرى ، حتى مررت بشيخ يعلم بُنيته  
صناعة الشعر وهو يقول له : إذا اعتدلت معنى قد سبقك  
إليه غيرك فأحسن تركيبه ، وأرق حاشيته فاضرب عنه  
جملة . وإن لم يكن بدّ ففي غير العروض التي تقدم إليها  
ذلك المعلن ، لتتخط طبعك ، وتثوى منتاك .  
فتذكرت قول الشاعر وقد كنت أنيسه :

لما ناسى الشجيم في أهيه  
وأضحت الجوراء والمردم

أقبلت والوطء خضعة  
ينساب من مكنته الأروم

وعلمت أنه صدق ؛ وإن أبي ربيعة لو ركب غير عروضيه  
لخالف . فقلت أنا في ذلك :

١ هـ : أي من الكندي .

٢ المنة بالضم : الضعف ، والنفوة ، من الإحداد .

٣ الشاعر : هو اسماعيل بن يار السائي شاعر أموي من دواني بني تميم مرة ،  
تيم قريش ، وكان منقطعاً إلى آل الربيع ، ثم وعد على عبد الملك بن مروان  
ومدحه . وعاش عمراً طويلاً إلى أن أدرك آخر سلطان بني أمية .

٤ المرزم : نجم ، وهما مرزمان مع التمرين . رواية الأغانى :

حتى إذا الصبح بدا ضوءه . وغارت الجوزاء والمرزم

٥ أقبلت : رواية الأغانى : خرجت . حفيف : رواية الأغانى : حفي .

وَلَمَّا نَسُوا مَنْ كُفِّرُوا  
فَنَامَ ، وَنَامَتُ لَعُيُونُ الْعَمَسِ ١

وَدَوْتُ إِلَيْهِ ، عَلَى بُعْدِهِ ،  
دَشُو رَفِيقِ دَرِي مَا التَّمَسِ ٢

أَدْبَيْتُ إِلَيْهِ دَيْبِي الْكَرَى .  
وَأَسَدُو إِلَيْهِ لَمُؤُ التَّمَسِ ٣

وَبَيْتُ بِهِ لَيْتِي قَاعِمًا .  
إِلَى أَنْ تَبْسُمَ تَعْرِ الْعَمَسِ ٤

أَفْجَلُ مِنْهُ لَيْتِي حِينَ الْمَضَامِ .  
وَأَرْشَفُ مِنْهُ لَمُؤَادُ الْعَمَسِ ٥

فَقُمْتُ وَهَبَاتٍ عَلَى رَأْسِهِ ، وَفَلَسْتُ لَمْ دَرْتُ أَيْكَ !  
فَقَالَ لِي قَائِلُكَ مِنْ التَّحْقِيقِ : فَمَنْ جَدِيتَ أَنْتَ أَحَدًا  
مِنَ الْفُحُولِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَوْلُ أَبِي الْقَلْبِيبِ :

١ غَلَا : امْتَلَأَ .

٢ الْجَلَا : الْإِعْتَاقُ ، أَوْ إِصْوَعُهَا ، وَاحْتَمَا طَائِبَةً أَوْ ضَلَاةً . الْعَمَسُ : سَوَادٌ مَنَحْنُ  
فِي الشَّعَةِ .

أَخْلَعُ أَنْجِدَ عَنْ كَيْفِي وَأَطْلُبُهُ ،  
وَأَتْرُكُ الْفَيْتَ فِي عَمْدِي وَأَتَسْجِعُ لَا

قَالَ لِي : يَاذَا ؟ قُلْتُ : يَقُونِي :

وَمِنْ قَبِيَّةٍ لَا يَدْرُكُ الطُّوفُفُ رَأْسَهَا ،  
تَسِيلُ بِهَا رِيحُ الصَّبَا فَتَحْدَرُ

إِذَا رَاحَتْ مِنْهَا الْمَخَارِبُ تَصَوَّبَتْ  
هَيُونًا عَلَى بَعْدِ لَمْدَى ، وَهِيَ تَجَارُ

تَكَلَّفَتْهَا ، وَالذَّلِيلُ قَدْ جَسَّ بِحَرَمِهَا ،  
وَقَدْ أَجْمَلَتْ أَمْوَاجُهَا تَكَلَّمَ

وَمِنْ عَنِّي حَفَنِي أَيْصُ ذُو سَفَافِقٍ ،  
وَفِي الْكَتَفِ مِنْ عَمَالَةِ الْحَطِّ أَسْمَرُ

عُمَّا حَاجِبِي مِنْ لَدُنْ كُنْتُ يَاوَمًا ،  
مُقْبِلَانِ مِنْ جِدِّ الْفَتَى رَحِيحُ يَعْتَرُ

---

١ أَخْلَعُ : رَوَاةُ الدِّيْوَانِ : أَخْرَجَ . كَتَبَ بِالْمَعْدِ وَالْقَبْتِ عَنِ الْبَغْفِ لِأَنَّهُمَا  
يَدْرُكَانِ بَ ، وَالْمُرَادُ بِالْقَبْتِ الْحَصْبِ وَسُفَّةِ الْمَيْتِ .

٢ الْمَخَارِمُ : أَنْوُفُ الْجِبَالِ ، وَالْمُرَادُ هُنَا أَعَالِي الْجَبَةِ . صَوَّبَتْ : سَدَّ صَعَدَتْ  
تَجَارُ : تَصَوَّبَتْ .

٣ السَفَافِقُ : ضَرَائِقُ الْبَغْفِ وَشَطَطُهُ .

٤ الْجَدُّ : الْحَطُّ .

فذا جدول في العبد تسقى به النى .  
وذا عظم في الكف يحن فيسر

فقال : والله انى كان القبت ابلغ ، ففقه زدت زيادة  
مليحة طريفة ، واخترعت معاني لطيفة . هل غير هذا ؟ فقلت :  
وقوله أيضاً :

وأظلم فلا أبدي الى الماء حاجة  
ولاشئ فوق البعلات لعاب

قال : بماذا ؟ قلت : بقولي :

ولم أنس بالناوس أيماننا الأنى  
جـا أبداً نحبونها وحبائنها

وهشة ضرب من وفانة ، فمطير  
يوئيل المتأبى طعن وضرابها

وقفنا على جسر من اثوت وقفنا  
صلياً لنضاه داب قومي ودابها

---

١ وأظلم : رواية القديون : وأصدى ، وهي أجود البعلات : الناي النجيلة .  
لعمد الشمس : ما راه المافر من أشعة الظهيرة كأنه حيوط تتدل فوق رأسه ،  
ويكون ذلك وقت اشتداد الحر .

٢ الناوس : القبر ، وهنا موضع بعنة الأتى : الاعياء . ونعلها أبنا جمع آية  
ليستقيم وجه الكلام . حبائها : مبلغ جهدها ، وبكير الماء : الثوداد .

إذا الشئ رامت فيه أكل الحومنا ،  
جرى جشعاً فوق الجساد العائها

فصاح صيحةً منكّرةً من صياح الجن كاد يُنخبها  
لها فؤادي قرعاً ، والله ، منه !

وكان بشجوةً منّا جنّتي " كذبت غضبة لركائيد ونقبضيه ،  
بحدق في " أدوتهم ، يومني بهتين تعذّين ، وأنا ألوذ بطرفي  
عنه ، وأسعيفاً بهته منه ، لأنه ملأ عيني ونفسي . فقال لي نساً  
انتهيت ، وقد استغفرت الحسد : على من أخذت الزمير ؟  
قلت : وإنما أنا تفاحٌ عندك منذ اليوم ؟ قال : أجل !  
أعطينا كلاماً يوعى قلاع الفداحة ، ويسجّم بماء العذوبة  
والبراعة ، شديدة الأثر جسد النظام ، وضعه على  
أبي ممقٍ مثنت . قلت : كأي كلام ؟ قال : كلام أبي  
الطيب .

توّأنا على الأكوار تمثلي كرامة  
ليمن بان عنه ، أنا نديم به زكياً

١ ينخب : يزعج .

٢ الزمير : الفخ في القصب .

٣ الأكوار : رجال الأبل . عنه : أي عن الربع . والواد : غني إلى الربع  
على الأقدام ، لا راكبين ، أكراماً لمحب الغائب عنه .



تَدْمُ السَّحَابَةُ الْغُرَّ فِي فِعْلِهَا بِهِ ،  
وَتُعْرِضُ عَنْهَا ، كُلَّمَا طَلَعَتْ ، عَثْبًا<sup>١</sup>

وَقَوْلُهُ :

أَرَأَيْتَ أَكْبَرُ هَيْسَةً مِنْ نَاقِي ،  
تَحْمَلْتُ يَدَا لَمْرُحًا وَخَفَا مَجْمَرًا<sup>٢</sup>

تَوَكَّتْ دُخَانَ الرِّمْتِ فِي أَوْحَانِهَا ،  
ظَلِيمًا لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ الْعَشِيرَا<sup>٣</sup>

وَنَكِرْتُمْ وَكِبَائِهَا عَنْ مِهْرَلِكٍ<sup>٤</sup>  
لَقَعَانٍ فِيهِ ، وَلَيْسَ مِسْكَ أَذْفَرَا<sup>٥</sup>

فَإِنَّكَ دَامِيئَةُ الْأُظْلَى كَمَا تَا<sup>٦</sup>  
حَذِيثُ عَوَائِمُهَا الْعَلِيقُ الْأَحْمَرَا<sup>٧</sup>

١ في عملها به : أي أنها عفت بقره .

٢ أكبر همة : رواية الديوان : أَرَأَيْتَ همة نَاقِي في ناقة . الرمح : الهبة السريعة .  
المجمر : الصلب ، وبكسر الميم : أخفيف السريع .

٣ الرمت : شجرة من النضى .

٤ المهرلك : الذكوى الرائحة .

٥ الأذفر : باطن الحنف الذي يلي الأرض . حذيث : ألبست حذاء .

وكنقوله :

على كل طائر تحت طير كانشا

من الدمر يستأى من الدحيم يصعهم<sup>١</sup>

عيا تحتهم ذئب الفوارس فوقها

فكل حصان عارج<sup>٢</sup> فتنهم<sup>٣</sup>

ومذاك يختل بالفوس على الفضا

ولكن صدمه الشوارشوا أخوما

هذئي<sup>٤</sup> والله بما غري به سمعي . وفنت له : أي ما لو

كان من جبهه منته<sup>٥</sup> ، واستبشت به عدونا غمضا<sup>٦</sup> ! ثم

استندما<sup>٧</sup> وأشده

ولرب تامل رايا ملوم كنهه<sup>٨</sup>

أستأوه<sup>٩</sup> وسعد الشهي بسلاور<sup>١٠</sup>

١ الفواوي : الصامر بعض من الخوج ، ويراد ملاوكة الفرس ، وباللهي راسه

٢ لها فنته : في الجرون : أي في الوغى ، وهي لغو رس فوقها : أي على هذه

الخوي : تعاقب ، يتخلل الفروع على فرسانها الذين فوقها .

٣ ادئي : ذهني بالامر العظيم .

٤ الجمال : جمع الجاء ، وهو ثاء أو دهفة ، والمراد : لو كان هذا الشر من

الظلمت .

٥ الصوي : جمع الصوة ، وهي عبارة تكون علامة في الطريق يهتدى بها .

كالبحر يضرب وجهه في وجهه ،  
ضعباً على العنابر وجهه عبوره

طاولته من عروني يضربه  
أنبتت همي في قراره كورده

وتلي الحبيب المفضلة ،  
تلقى الردى ، فكيف دون عبوره

وسراحتي من وكوفي ذو ذكره ،  
عبدت لها برقي الطبع والعبوره

فرداً ، إذا بعثت بهجي حبيبه  
عولاً علي ، أحضرت في دجوره

حتى بدا عبد العزيز لي حبيبي  
أعني ، عزفت الشجى عن نوره

---

١ الضرب : الهمز المذكور انجم المجتمع الحظاء

٢ المقامه : النوع الواسعة .

٣ الذكره : حدة البغى المذكور : ليس الحريد واحوده .

٤ فرداً : حال من انه راء ، حذوله . ، وتروى بالهمز خبر فبتدأ محذوف .

٥ عبد العزيز : هو المؤمن بن عبد الرحمن بن عامر .

وَأَشَدُّهُ :

اللَّهُ فِي أَرْضٍ عَدِيدَةٍ هَوَاءَها ،  
وعِصَابَةٍ لَمْ تَنْهَمِ إِسْفَافُها

تَكَرَّرَتْهُمْ أَعْمَى الْخُطُوبِ ، وَعُوجِحُوا  
يُسْتَقِلُّ مِنْهُ ، عَكِنْ دَرِبَافُها

وَأَفْتَحْ تَفَالِقُها بَعِزْمَةٍ فَيَعْمَلُ ،  
لَوْ حَوَّلَتْ أَمِيقَ الشَّرِيفِ سَافُها

وَلَوْ أَتَى مِنْهُ ، إِذَا مَا اسْتَلْذَبَها ،  
تَنْعَرُضُ الْجُوزَاءُ ، تَحُلُّ نِطَافُها

وَأَشَدُّهُ :

لَا تَبْكِيكِ مِنَ اللَّيْلِ فِي أَسْفَا  
تَحَرَّ مَتَلَكْ تَغْيِبَةُ سَارِبٍ مِنْ مَشْرَبٍ

١ الله : أي رابع الله .

٢ تَكَرَّرَتْهُ الْأَفْئِ : لَمَنْه . التَّمَلُّ : التَّمَلُّع .

٣ سَافُها : نَعْمِ الرَّمْعِ يَعُودُ إِلَى جَعَلِ .

٤ نِطَاقُ الْجُوزَاءِ : ثَلَاثَةُ كَوَاكِبَ مَسْتَرَحَّةٍ فِي وَسْطِ الْجُوزَاءِ ، تَسْمِيًا الْعَرَبِ

النَّظْمِ ، وَهِيَ مِثْلُ الْإِسْطِظَامِ وَالْإِسْطَامِ .

٥ النُّبْةُ : الْجُرْعَةُ .

فأقول ما لك عتقها سيفه الردي ،  
يُسْتَلُّ مِنْ تَغْيِرِ الْقَدَالِ الْأَشْبِ  
وراحيل عيشك كل رحلة ساعة ،  
وقد أظلم طيبك في الزم أن الأظلم  
فإذا يكبت قلبك عتقك ، إنه  
زجل الجناح يقر مو الكوكب

وأشدن

ولم أزل مني ما أله من معاصير ،  
ولا كمن في ما أله من معاصير  
ولو كان في الجو كثير أزمه ،  
لو كمن إليه ظلم فتأخذ كاسير  
وعلمت إجابتي علي ، وقد رأيت  
مضالي في آثار إحدى الكتابين  
نقلت : إن تجرني من محطتي ،  
فإنني إن تحضني بعير المتخاطر

١ زجل الجناح : أي مريمه وله صوت وجنة .

٢ الكسر : جانب البيت ، والشقة البقية من الجناح . الفناء : الفناء البيت الجناح .

تَشَبَّهَتْ بِمِثَارِ الْوَقْرِ مَنِي ، وَنَشَأَ  
لَدَى كُلِّ مُبَيِّضٍ الْعَتَايِيغُ وَأَفِيرُ

لَهُ فِي تَبَاضِيرِ يَوْمٍ يَقْضَى فَاجِرُ ،  
وَنَحْنُ سَوْدُ الْمَيْلِ مَجْمُوعَةُ كَافِرِ

زَوَيْدُكَ ، حَى تَنْطَرِي عَمَّ النَّجَلِي  
عَبْرِيَّةً هَذَا أَمْ تَرْضَى الْكُنَافِي

وَدُونَ أَعْتَابِي لَمَسْتُمْ كَثْرَ دُرِيَّةً ،  
مِنَ الْحَرَمِ سَلَامِيَّةً فِي الْمَكَاكِرِ ٢

وَدَ سَحْنُ أَسْلَمَةَ إِلَيْهَا ، يَبْتَغِي  
مَوَارِدَنَا عَنْ تَبَرَّاتِ الْمَصَادِرِ

وَأَنْتَ ، ابْنُ حَزْمٍ ، مُتَعَبِّسٌ مِنْ عِنَاوِهَا  
إِذَا مَا كَثُرَتْ فُنُنُ الْجُلُودِ الْعَوَائِرِ ٣

---

١ المناير : كذا في الأصل ، ولا معنى له ، وصحح ابن يكون المانين ، كما رأى  
مصحف القديرة .

٢ هبة كمروية : يريد بها صديقه الفقيه الإمام محمد بن حزم . سلامية : نسبة آل  
سلمان الفارسي الصماني . المكابر : جمع المكبر ، وهو العبر والأصل .

٣ الجدود : الحفوف .

وما جرد أذيال المعنى تجرد نيته  
شاورخ معزوي ظهور الجرائد<sup>١</sup>

إذا ما تبتلى بصره العيش كره<sup>٢</sup>  
أرى مقارعة الموت<sup>٣</sup> منحة نظير<sup>٤</sup>

هل من أويلر فيا فبشدا<sup>٥</sup>  
أحر شامبيل كريمة العناصر<sup>٦</sup>

ليعلم في رأيي<sup>٧</sup> في عن أدي<sup>٨</sup>  
بعد المرامي<sup>٩</sup> في ميب الجدوا<sup>١٠</sup>

يطالب معدي في كل فتنة<sup>١١</sup>  
ظهور المداكي عن ظهور المداير<sup>١٢</sup>

- 
- ١ معزوي : واكب . يقال اعزوي حرسه : ركنه عرباناً . الجرائد : الجبابرة .  
٢ كرهها : الصمير يعود إلى الجرائد ، على تشبيهاً بالحق . المنزع : المنيل .  
٣ شامبات : كان ابن حزم في أول أمره يحل به النظر في الفقه إلى رأي أبي  
عبد الله بن إدريس الشافعي ، فاضل عن مذهبه وتمسك به ، حتى وسر به ولب  
إليه ، ثم عدل عنه إلى رأي الظاهرية . مذهب داود بن علي وأتباعه ، فمعه  
وجادل عنه ، وانحرف عن غيره من المذاهب ، وكان في جداله ناسياً حديد  
اللسان حتى استهدف إلى فقهاء وقته فثألوا على بغيته ، وشتموا عليه ، فلفظة  
الجرائد تعطبق على عبادلته وتأويلاته الالمية  
٤ كان لابن حزم ردود عنيفة على المعتزلة في كتابه القفل في الملل والأهواء والنحل .  
٥ المذاكي : الحيول التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو ستان .

وَأَبْشَدُهُ :

وَقَالَتِ النَّفْسُ لَمَّا أَنْ خَلَّتْ بِهَا ،  
أَسْكُو إِلَيْهَا أُخْرَى خَلَّتْ مِنْ النِّعَمِ :

حَتَّى مَا أَتَتْ عَلَى الظَّرِّ أَوْ مُضْطَجِعٌ ،  
مَعْرِتِي فِي دِيَارِ الظُّلْمِ وَالظُّلْمَةِ<sup>١</sup> :

وَفِي الشَّرِّ لَكَ ، لَوْ أَرَمَمْتَ مُرَاجِلًا ،  
يَوْمٌ مِنَ الشُّوقِ ، أَوْ يَوْمٌ مِنَ الْعَدَمِ<sup>٢</sup> :

تَمَّ اسْتَمَرْتُ بِفَضْلِ الْقَوْلِ لَكُمْ بَنِي ،  
عَقَلْتُ : بَنِي لَأَسْتَنْصِي بَنِي الْحَكَمِ<sup>٣</sup> :

الْمُتَلَحِّفِينَ رِوَاةَ الشَّمْسِ بِكَفَعُمُ ،  
وَالْمُتَمَلِّينَ الثَّرَايَا أَخْفَضَ الْفَدَمِ :

أَلَيْسَا بِالْحَبِيبِ ، حَتَّى نَوَدَّتَا أَجْلِي ،  
لَمَّا وَجَّهْتَا أَطْعَمَ انْوَدَّ مِنَ أَلَمِ<sup>٤</sup> :

---

١ العرس : الذي ينزل في مكان آخر قبل الاستراحة .

٢ العدم : الفقر .

٣ بني الحكم : أي أمراء بني أمية .

٤ ألت : في الأصل ألت ، ونبه على ذلك مصححو النسخة .



وَذَادَنِي سَكْرَمِي عَمَّنْ وَلِيَتْ بِهِ ،  
 وَيَلِيَّيْ مِنَ الْحُبِّ ، أَوْ وَيَلِيَّيْ مِنَ الْكَرَمِ  
 تَخَوَّنْتَنِي رِجَالُ طَالَمَا تَشَكَّرْتْ  
 عَهْدِي ، وَأَنْفَقْتْ بِمَا رَاعَيْتْ مِنْ دَمِّ  
 لَتَيْنْ وَرَدْتْ سَهْبَلًا غَيْبُ الْهَلَةِ ،  
 لَتَقْرَعَنَّ عَلَيَّ السَّنْ مِنْ نَدَمِ  
 هُنَاكَ لَا تَبْتَغِي غَيْرَ السَّنَاءِ يَدِي ،  
 وَلَا تَخِيفُ إِلَى غَيْرِ الْعُلَى قَدَمِي  
 حَتَّى تَوَافِي فِي أَذَى مَوَاكِبِهِمْ ،  
 عَلَى النُّعَامَةِ سَلَالًا مِنْ النِّعَمِ  
 زَيْدَانِ مِنْ زَفَرَاتِ الْخَلِيلِ أَوْرُدُهَا  
 أَمْوَاةً نَبْطَةَ تَهْوِي فِيهِ بِاللَّحْمِ

١ ذَادَنِي : دَفَعَنِي وَرَدَنِي .

٢ سَهْبِلُ : نَجْمٌ يَأْتِي ، وَالْغَرِيَاءُ مِنَ النُّجُومِ السَّامِيَةِ ، فَمَا لَا يَشْتَبَاهُ . وَحَطَّابِيهِ لِلْأَمِيرِ  
 الْأُمَوِيِّ الَّذِي قَالَ عَنْهُ أَنَّهُ أَضَلَّ الثَّرِيَاءَ أَحْمَسَ قَدَمِهِ . وَلَمَّا ارَادَ بِسَهْلٍ أَحَدَ  
 أَمْوَاءِ بَنِي حَمُودَ الَّذِينَ كَانُوا ، فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ ، يَنْزِعُونَ الْأُمَوِيِّينَ الْحُلَافَةَ . ثَلَاثَةٌ :  
 أَيُّ لَيْلَةٍ ثَلَاثَةٌ .

٣ النُّعَامَةُ : أَسْمُ فَرْسٍ . سَلَالَهُ : يُقَالُ : ثَلَاثُ سَلَالٍ النِّعَمِ ، أَيُّ يَطْرُدُهَا وَيُسَوِّقُهَا  
 أَمَامَهُ ، وَتَكُونُ مِنْ غَنَائِهِ فِي الْفَرَسِ . النِّعَمُ : الْأَيْلُ .

٤ نَبْطَةُ : كَذَا فِي الْأَمَلِ ، وَهُوَ كَمَا يَنْظُرُ أَسْمُ مَوْضِعٍ ، أَوْ نَهْرٍ ، لَمْ تَتَمَكَّنْ مِنْ  
 اثْبَاتِهِ ، وَإِلَيْهِ أَرْجِعُ ضَمِيرَ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ تَهْوِي فِيهِ .

قَدْ دَامَ أَرْوَاحُ مَنْ هُوَ مِنْهُ وَجَدَتْهُمُ  
أَوْعَى لِحَقِّ الْعَلَى مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ

فَفَتَحَ عَلِيٌّ عَيْنَيْهِ كَمَا وَثَّقَتْهُمَا ثُمَّ قَالَ لِي : مَنْ الْقَاتِلُ ؟

ضَلَّعَ الْبَيْتُ عَفِيَّةً ،

مَحْبِسًا لَهَا فِي الْبَيْتِ ،

وَالْقَتِيلُ ، وَرَأَيْتُهَا

مُتَعَبِدَةً وَفَرِيدَةً

فَلَمَّا : أَنَّى . قَالَ : فَمَنْ الْقَاتِلُ ؟

فَمَا مِنْ إِذَا رَأَى نَعْمَى كَلَامِي ،

رَأَى نَعْمَى نَعْمَى فَذَلِكَ الْمَعَالِي

شَكْوَتْ بِذَلِكَ خُرُوفَ الزَّمَانِ ،

فَرَأَى نَعْمَى أَنَّهُ كُنْتُ نَعْمَى الزَّمَانِ

وَنَقَصْتُ عَنْ هَيْئَتِي فَلَمَرْتِي ،

فَمَا لَيْتَنِي لَيْسَ لِي مَنْ شَمَانِي

وَلَا تَغْرُو لَعْنَةً ، عِنْدَ النَّعْمِ

قِرْ ، أَنَّهُ يَنْتَسِي وَضِيعَ الْأَمَانِي

---

١ المأوى : المأوى .

قلت : أخي . قال : فمن القائل ؟

صدوداً ، وإن كان الحبيب مساعفاً ،  
وبُعْدًا ، وإن كان المزار قريباً  
وما فتئتُ تلك الديار حباناً  
لنا ، قبل أن تلقى بين حبيبا  
ولو استعشتنا بانودة في العوى ،  
لأدنين بالقأ ، أو تفلن وفيها  
وما كان يحفلو ثمري ، غير أنه  
عدته الموادي أن يكون طيباً

قلت : عمي . قال : فمن القائل ؟

أنت ذلك . لا عن حاجة عرضت لنا  
إليك ، ولا قلب إليك مشوق  
ولكننا نرنا بفضل حلومنا  
جباراً ، نلتقي برنا بعشوق

قلت : جدتي . قال : فمن القائل ؟

ويلي على أخور نيا ،  
أحسن ما يلهم به اللاهي

أَقْبَلَ فِي غَيْدٍ حَكَمِيَّ الطَّبَاءِ  
بِصُورٍ تَوَاقِدٍ خُمْرٍ أَهْوَاوِ

يَأْمُرُ فِيمَنْ وَبَشَى ، وَلَا  
يَعْقِبُهُ مِنْ آصِرٍ نَاهِي

حَتَّى إِذَا امْتَكَنِي أَمْرٌ ،  
تَوَكَّنْتُ مِنْ خِيفَةِ أَفْهِ

قلت : تجدني أي . قال : فمن القائل ؟

وَيْتَعِ الْكِتَابُ مِنْ شَيْخٍ هَبْنَقَةٍ ،  
يَلْقَى الْعُيُونُ بِرَأْسِ مُخْتَلِ رَارِ

وَمُتَّشِرِ الرَّيْعِ إِنْ نَاحِيَتُهُ أَبْدَأُ ،  
كَأَنَّمَا مَاتَ فِي خَيْشُومِهِ فَارِ

قلت : أنا . قال : والذي نفسُ فرعونَ بيده ، لا  
عَرَضْتُ لَكَ أَبْدَأُ ، إِنْ أَرَاكَ عَرِيقاً فِي الْكَلَامِ . ثُمَّ فُلْ  
وَاضْمَعْ ، حَتَّى إِنَّ احْتِفَاءَ لَتَدْرُسُهُ ، فَلَا يَشْغَلُ رِجْلَيْهَا .

---

١ الترافعي : جمع الترفوة وهي مقدم الخلق في أعلى الصرح حيثما يترقى فيه النفس .  
٢ هبنقة : رجل يضرب به المثل في الحق ، أجواء بحري الصفة . الرار : الذائب  
من الملح .

فَعَجِبْتُ مِنْهُ ، وَفَلَتَ لُزْهَيْرُ . مَنْ هَذَا الْجَيْشِيُّ ؟ فَقَالَ لِي :  
 اسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ . إِنَّهُ ضَرِطٌ فِي عَيْنٍ وَجُلٌّ قَبْدَرَتْ مِنْ  
 قَعَاهُ ، هَذَا فِرْعَوْنُ بْنُ الْجَوْنِ . فَقُلْتُ : أَعُوذُ بِاللَّهِ الْمَظِيمِ ،  
 مِنَ النَّارِ وَمِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ! فَتَبَسَّمَ زُهَيْرٌ وَقَالَ لِي :  
 هُوَ تَابِعَةُ رَجُلٍ كَبِيرٍ مِنْكُمْ ، فَفَهَّمَهَا عَنْهُ .

## الفصل الرابع

### حيوان الجن

#### لغة الحمير

ومشيت يوماً أنه وبها غير نارض الجن أيضاً تنفر من الفوائد  
ولعمري الدنيا أهل الآداب منهم ، إذ أشرافنا على قراوة  
عشاء<sup>١</sup> ، نقرأ عن بركة ماء ، وفيها عانة<sup>٢</sup> من حمير الجن  
وبها لهم ، قد أصابها أولق<sup>٣</sup> فهي فصطكت بالمواقر ، ونفخ

---

١ القواراة : القمل من الأرض ، والقار السديم . عاء : كثيرة المشي ، أو  
ثوبها الريح غير حاية الصوت لكثافة عشبها .

٢ العانة : القطيع من حمير الوحش .

٣ الأولق : الجنون أو شبهه

من المتأخر ، وقد اشتد خراطيمها ، وعلا شحجها ، وثماها .  
فلما بصرت بنا أجفلت ، يا بني ، وهي تقول : جاءك على رجلك !  
فارتعت لذلك ، فقبضت رجليه ، وقد عرف القصد ، وقال  
لي : تهيباً للحكم . فأنما حققت بنا ، بدأني بالتفديف ، وحبستني  
بالكنية . فقلت : ما الحبيب ، حمي حياك أيتها العانة ،  
وأخصب ترعك ؟ أنت : شمران الجسار ، وبغل من  
عشاقنا الخلفاء فيهما ، وقد وضيتك حكماً . فلت : حتى  
أسمع . فقدمت لي بقعة شبيهة ، عليا لجأها وبوقها ،  
لم تدخل فيما دخلت فيه العانة من سوء المنطق ، ولحجب  
الحركة ، فقالت : أحداً الشعرين لبغل من بغالنا وهو :

على كل نصير من هوام دليل :  
نقام على حر الخوى ، ونجول

وما زال هذا الحب داء مبرحاً ،  
إذا ما اغتري بغلاً فليس يؤول

بنفسي التي أمّا ملاحظ ظرفها  
فيحسر ، وأمّا تخذعها فأسيل

٩ الشجع : صوت البغل .

تَعَيَّنْتُ بِمَا حَمَلْتُ مِنْ ثِقَلِ حَبْلٍ،  
وَإِنِّي أَلْبَسْتُ لِلثِقَالِ حَمُولَ

وَمَا نِلْتُ مِنْهَا فَايِلًا غَيْرَ أَنِّي  
إِذَا هِيَ بَالَتْ نِلْتُ حَيْثُ نَبُولُ

والشعر الآخر: لِدُكَيْنِ الطَّيَارِ:

دَهَيْتُ بِهَذَا الْحَبْلِ مِنْهُ هَوَيْتُ،  
وَرَأَيْتُ إِذَا دَانِي فَلَسْتُ أُرَيْتُ

كَكَلَفْتُ بِالْقَبْرِ مِنْهُ عَشْرِينَ حَبْلَةً،  
يُحْمَلُ هَوَاهَا فِي الْحَشَا وَيَعْيَتُ

وَمَا لِي مِنْ بَرَاكِ الصَّبَابَةِ مَحْلُصٌ،  
وَلَا لِي مِنْ قَبْضِ السَّقَامِ مُغَبِّتُ

وَعَمِيرُهَا مِنْهَا قَلْبَهَا فِي تَمِيمَةٍ،  
تَمَاهَا أَحْمَرُ الْحَصِيدَيْنِ تَحْيَتُ

وَمَا نِلْتُ مِنْهَا فَايِلًا، غَيْرَ أَنِّي  
إِذَا هِيَ رَأَتْ رُئْتُ حَيْثُ تَرُوتُ

١ رَأَتْ : أَبْطَأَتْ .

٢ تَمَاهَا : أَيِ نَيْبِهَا إِلَيْهِ . الْإِخْم : الْأَسْوَدُ .

٣ رَأَتْ : أَحْدَثَتْ .



فضحك "زهير" ، وتماسكت ، وقلت للنسيبة : ما  
 هويت ؟ قالت : هو هويت ، بلغه الحبيب . فقلت : والله ،  
 إن للرؤس رائحة كريهة ، وقد كان أنف النافقة أجدر أن  
 يحكم في الشعر ! فقالت : فهمت منك . وأشارت إلى العانة  
 أن "ذاكينا مغلوب" ثم انصرفت قانعة راضية .

وقالت في البعثة : أما تعرفني أيا عامر ؟ قلت : لو كانت  
 ثم علامة ! فامحلت لسانها ، فإذا هي بعاءة أبي عيسى ، والحال  
 على أخذها ، فتبنا كيتنا طويلاً ، وأخذنا في ذكر أيامنا ، فقالت :  
 ما أبقت الأيام منك ؟ قلت : ما تزين . قالت : نسب عمرو  
 عن الطوق ! فما فعل الأختبة بعدى ، أم على العهد ؟ قلت :  
 نسب الغلمان ، وشاخ الفتيان ، ونكثت الحلال ، ومن  
 إخوانك من بلغ الأمانة ، وانتهى إلى الورادة . فتفتست  
 الضمراء ، وقالت : سدام الله تسبل العهد ، وإن حالوا عن  
 العهد ، ونسوا أيام الوفا . بحرمه الأذنب ، إلا ما أقرأنهم  
 في السلام ، هذا : كذا قاسرين وأكثرو .

١ أنف النافقة : الجبي الذي مر ذكره .

٢ انصرفت : الضمير يعود إلى العانة .

٣ شب عمرو عن الطوق : مثل يصرب لمن يلبس شيئاً دون قدره وعمره ، أو  
 لمن كبر عن شيء كان يتزياه .

٤ التسبل : المطر . العهد : أول مطر الواسعي ، ومطر بعد مطر يدرك آخره  
 بل أوله .

## الأوزة الأدبية

وكانت في الحركة بقرب - بومعة بيضاء شهلا . في مثل  
اجتاث الشعامة ، كذا أدرك عليها الكفوف ، أو ليست غلالة  
من عتس الحيز . . . أرا حنقا من وأنها حركة ، ولا  
أحسن لاجل في شهرة صبا ، نسي ماقتها ، وأكبر  
حداقها ، ومواليا ، وأحد وأب . . . ترى الحنق . . . مشغوا  
منها ، والشكر . . . خود . . . منها ، فصاح بالبيعة : لقد حكيتكم  
بموى . . . ورغبتكم من حاكمكم بغير الرضا .

قلت له : يا بوم : ما شئت ؟ قال : عي بعمد شيخ من  
مشيخكم ، تسمى العانة ، ولكن أم خفيف ، وهي ذات  
حظ من الأدب ، والسعيد . . . قلت : أينها الأوزة  
الجميلة ، العريضة الطويلة ، أين حسن بجمال حدقتك ،  
واعبد الـ منكبيك ، واستقامة جناحك . . . وحلول جبدك ،  
وصغر رأسك . . . مقابلة الضيف مثل هذا الكلام ، وتلقني  
الطاري الغريب بشبه هذا المقال ؟ وأنا الذي هبت بالاوزة

١ الساق : ناحة مقدم العنق من لدن ماق الفرط الى الترفوة .

٢ المعبودة : مؤخر العنق ، والهة الشجرة فوق الفنا ، وأعلى اللدال خلف  
الاذنين .

حباية ، واحتلت في الكتف على كل مفالة ، وأنا  
 الذي استرجعتها الى الوطن النوف ، وجببتها الى كل  
 عطريف ، فالتخذا السادة ياروينا واسهنتك عليه الفطرقاة  
 مشا ، ووحيت بدلا من العصفير ، وملكلمات الزواير ،  
 وسميت لدقة الحدة ، ونقار الديوك ، ونطاق الكباش .  
 هذيان الفخيت من كلامي ، ثم تومعت وهذا اعترتها  
 خبطة شديدة في ماله ، هرة سامة ، وبرة مثرقة ، نفيس  
 هنا وفرج هناك ، هذا نقشب الجاهل ، والحيات لثابها ،  
 وهي مصراة احريه السور ، وهذا الفعل معروف من  
 الاوت عند الفرج والرج . ثم سكنت وقدمت علقها ،  
 وعرضت صدرها ، وعملت قيديا فيها ، واسقبلتنا جانية  
 كصدر المركب ، فقالت : ايها الفار المروء ، كيف  
 تحكم في الفروع وانت لا تحكم الاموال ؟ ما الذي  
 تحسن ؟ قلت : ارجال شعير . وانصاب خطبة ، على حكم  
 المنقوح والنشوبة . قالت : ليس عن هذا أسألك . قلت :  
 ولا بغير هذا أجابك . قالت : حكم الجواب أن يقنع على

١ الفطريف : السيد الشريف .

٢ الميذاف : الجناح ، ومنه ميذاف السفينة .

٣ التمية : السارية المنصوبة علامة لطريق ، والمراد هنا ما يثار به من رأي لا  
 يعدل عنه ، يقال : نصت له رأيا .

أصل السؤال ، وأنا إنما أودت بذلك إحسان الشجر والغريب  
الذين هما أصل الكلام ، ومادة البيان . قلت : لا جواب  
عندي غير ما سمعت . قالت : أقيم أن هذا منك غير داخل  
في باب الجدال . قلت : وبالجدال تطليقنا وقد عقدنا سلمه ،  
وكفينا حربته ، وإن ما رميتك به منه لأتقد سبامه ،  
وأخذت حرامه ، وهو من تعاليم الله ، عز وجل ، عندنا في  
الجدال في محكمات نزيهه . قالت : أقسم أن الله ما علمك  
الجدال في كتابه . قلت : محمول عليك أم خفيف ، لا يلزم  
الأورد حفظ أدب القرآن ، ذل الله ، عز وجل ، في محكم  
كتابه حاكياً عن نبيه إبراهيم ، عليه السلام : «ربي الذي  
يحيي ويميت» قال : أنه حي وأميت . فكان هذا الكلام  
من الكافر جواب ، وعلى وجوبه مقال ؛ ولكن النبي ، صلى  
الله عليه وسلم ، لما لاحظ له الواضحة القاطعة ، رماها بها ،  
وأخرب عن الكلام الأول ، قال : «فإن الله يأتي بالشمس  
من انشراق ، تأتيها من المغرب ، فيبئت الذي كفر» .  
وأنا لا أحسن غير المجدل شعر ، واقتضاب خطبة ، على  
حكم المقترح والنسبة .

فاهتزت من جانبيها ، وحال الماء من عينيها ، وهمت

١ محمول عليك : من حمل عنه : أي حمله .

٢ حال الماء : أي سقط .

بالطيران . ثم اعتراها ما يعتري الابرز من الألفة وحسن  
الرجعة ، فقدّمتْ عنقها ورأسها إلينا عشي تحوّلنا رويداً ،  
وتنطبق نطقاً مُتداركاً خطباً ، وهو فعل الابرز إذا أنت  
واستراضت وتذللّت ، على أني أحب الابرز وأستظرف  
حركاتها وما يعرض من سخافاتِها .

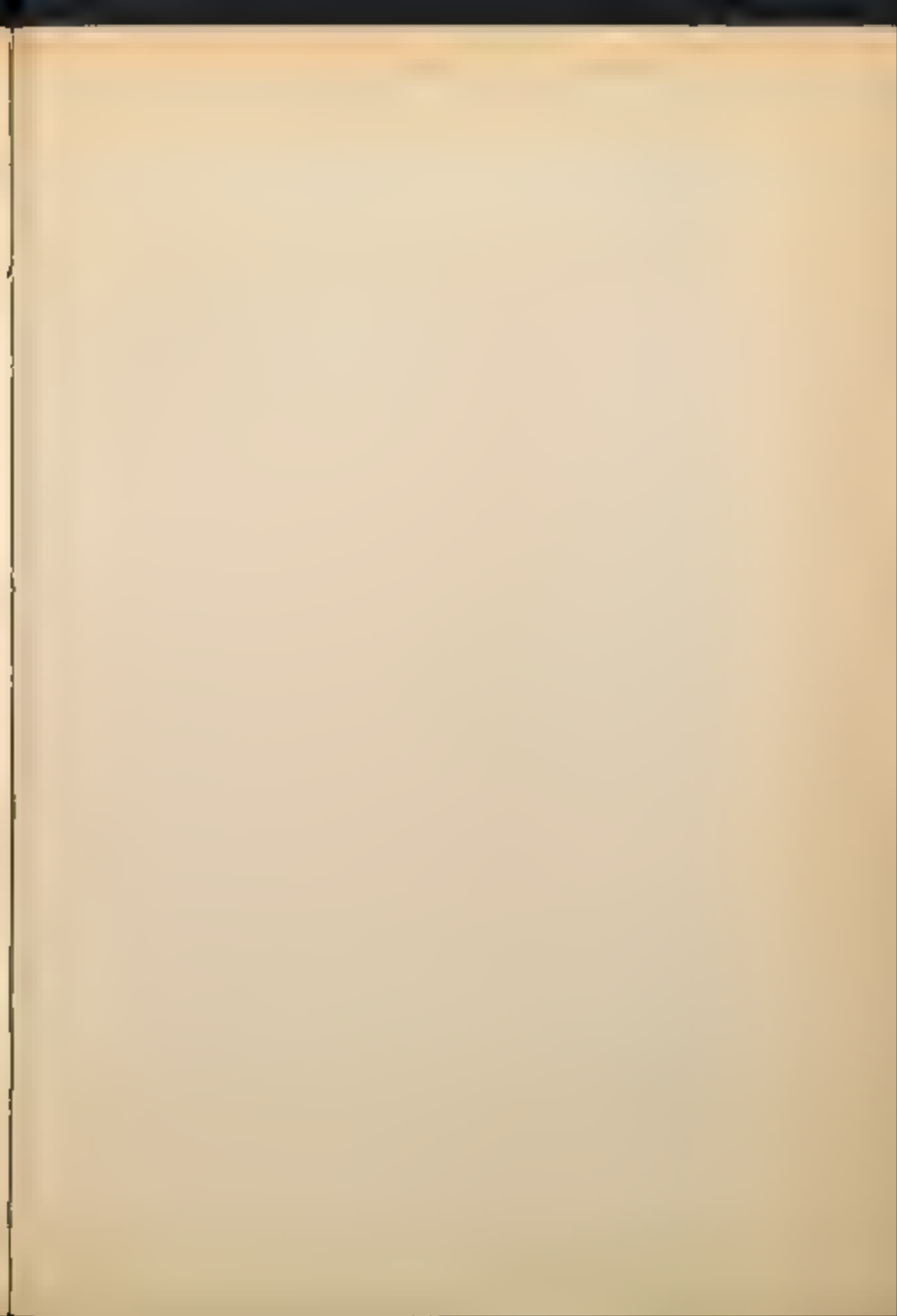
ثم تكلمتْ بها مُبِمَّيَّاً ، ولها مؤنباً ، حتى خالطتنا  
وقد عقدنا صلحاً وكفينا حرباً ، فقلت : يا أمّ تخفيف ،  
بالذي جعل عذاه ماء ، وحشى رأسك هواء ، ألا أئتما  
أفضل : الأدب أم العقل ؟ قالت : بل العقل . قلت : فهل  
نعرفين في الحقائق أحقّ من ابرزة ، ودعيني من مثلكم في  
الخباري ؟ قالت : لا . قلت : فتطاشي عقل التجربة ، إذ  
لا سبيل لك إلى عقل الطبيعة ، فإذا أحرزت منه نصيباً ،  
ربّوت<sup>١</sup> منه بحظّ ، فحينئذٍ نظيري في الأدب . فانصرفت<sup>٢</sup>  
وانصرفنا .



١ مبمياً : داعياً بقوله : يس يس .

٢ الخباري : خاطر معروف يضرب به المثل في الحق والفاوة كما يضرب بالابرز .

٣ باب : رجع .



# رسالة التواضع والزواضع

## الكتاب الأول

ابن شهيد الأندلسي  
حياته ، أدبه ، رسالة التواضع والزواضع

٧	.	.	.	.	.	ابن شهيد
١٢	.	.	.	.	.	الفئة
١٦	.	.	.	.	.	ابن شهيد والمؤمن
٢٠	.	.	.	.	.	عند المستعير
٢٢	.	.	.	.	.	في خلافة الحموديين
٢٤	.	.	.	.	.	مرضته الأخيرة
٢٥	.	.	.	.	.	لهو ومجون
٣٦	.	.	.	.	.	أصحابه وأهل مودته
٣٧	.	.	.	.	.	حصومه وحصاده
٥٠	.	.	.	.	.	أدب ابن شهيد - الشاعر
٦٣	.	.	.	.	.	الكاتب
٧٣	.	.	.	.	.	الناقد
٨٦	.	.	.	.	.	رسالة التواضع والزواضع - نخبتها
٩١	.	.	.	.	.	تاريخها

٩٦	.	.	.	.	مدفأة
٩٧	.	.	.	.	انعامها
٩٨	.	.	.	زهير بن نعيم	المدخل
٩٨	.	.	.	تواضع الشعراء	الفصل الاول -
٩٩	.	.	.	تواضع الكتاب	الفصل الثاني -
٩٩	.	.	.	نقاد الجنب	الفصل الثالث -
١٠٠	.	.	.	حيوان الجنب	الفصل الرابع -
١٠٠	.	.	.	في رسالة الففران	

### الكتاب الثاني

## رسالة التواضع والزواجر

### المدخل

١١٧	.	.	.	.	زهير بن نعيم
-----	---	---	---	---	--------------

### تواضع الشعراء

١٢٢	.	.	.	.	شيطان امرئ القيس
١٢٥	.	.	.	.	شيطان طرفة
١٢٨	.	.	.	.	شيطان نيس بن الخطيم
١٣١	.	.	.	.	صاحب الى غام
١٣٧	.	.	.	.	صاحب البحرى
١٤١	.	.	.	.	صاحب الى قواس
١٤٠	.	.	.	.	صاحب الى العليب



## تواضع الكتاب

١٥٧	.	.	.	صاحب الجاهظ وعبد الحميد
١٦٣	.	.	.	رسالة الخلوأ
١٦٨	.	.	.	صاحب الاقليد
١٧٠	.	.	.	صفة برغوث
١٧١	.	.	.	صفة لعلب
١٧٢	.	.	.	صاحب يدبع الزمان
١٧٤	.	.	.	رجع الى انف النافقة
١٧٧	.	.	.	صاحب الي اسحاق بن حمام

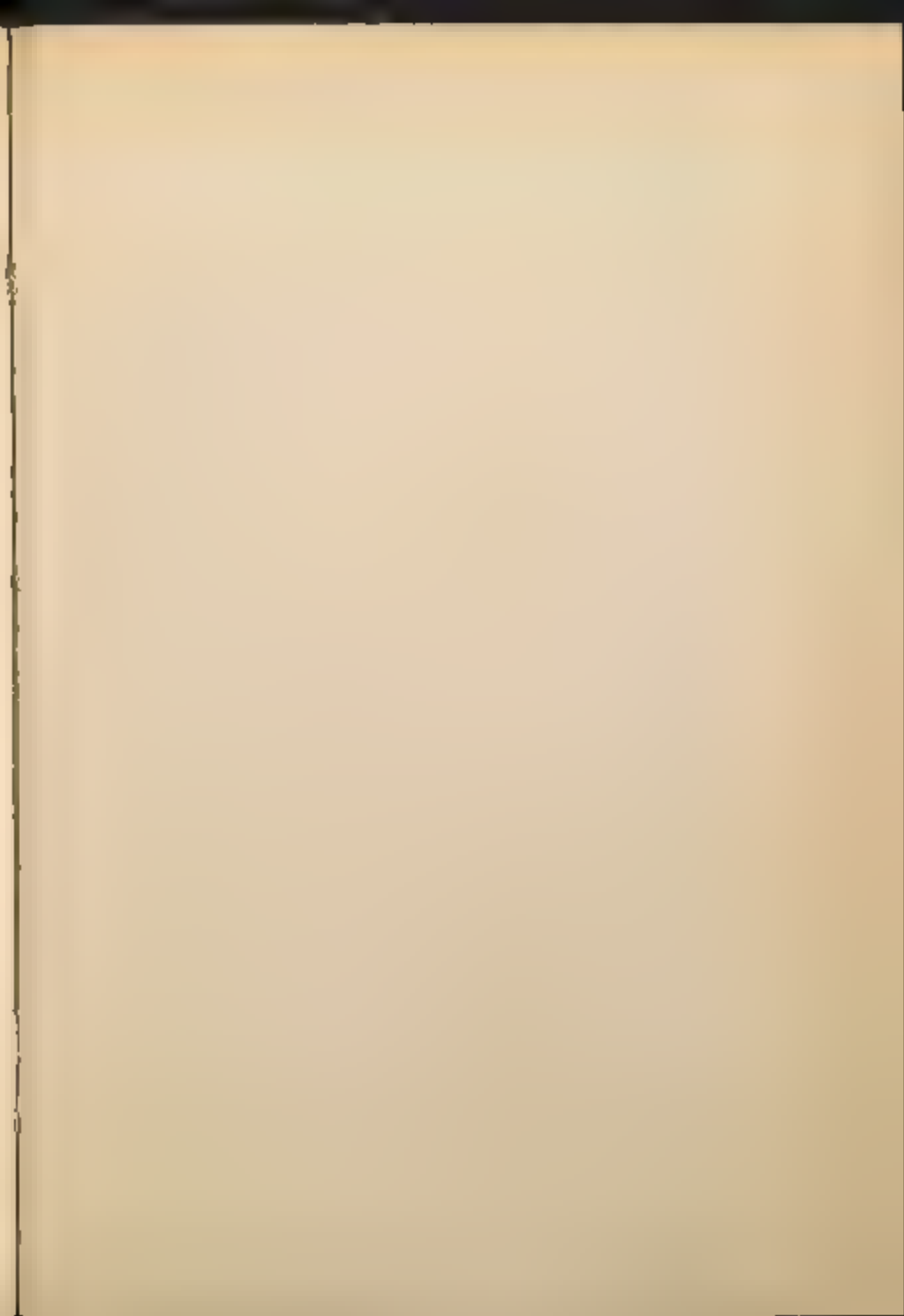
## تتاد الجن

١٧٩	.	.	.	مجلس أدب
-----	---	---	---	----------

## حيوات الجن

٢٠٣	.	.	.	انة الحميم
٢٠٦	.	.	.	الاوراة الادبية





## المراجع

اعتمدنا درأوين الشعراء ، وكتاب الأغاني ، وديوان الحماسة ، والمقد الفريد ،  
ومعجم البلدان ، والقاموس ، ومعجم دوزي . في تصحيح الأسماء ، وتحقيق  
أسماء الأعلام والأماكن ، وترجم الاصطلاحات الأندلسية أو الحضرية ، الواردة  
في رسالة التوابع والزوابع . ودرجنا في الكلام على ابن شهيد ونقد آثاره إلى  
هذه الكتب :

### الكتب العربية

ابن جبار :	الذخيرة
الفتح بن خاتبات :	طلمح الأنفس
التمالي :	يتيمة الدهر
المصري :	نفع الطبيب
ابن خلدون :	كتاب العرب
ابن خلكان :	وفيات الأعيان
ابن عذاري :	البيان المغرب
بطرس البستاني :	أدباء العرب - ج ٣
بطرس البستاني :	معارك العرب في الشرق والغرب -

### الكتب الأفرنسية

- Dozy, Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne, Leyde — E. J. Brill 1881.
- Cl. Huart, Histoire des Arabes, Geuthner, Paris.
- Louis Bertrand, Histoire d'Espagne, Arthème Fayard, Paris.
- G. Brockelmann, Histoire des Peuples et des États Islamiques (Traduction de M. Tazourout) Payot, Paris.

T

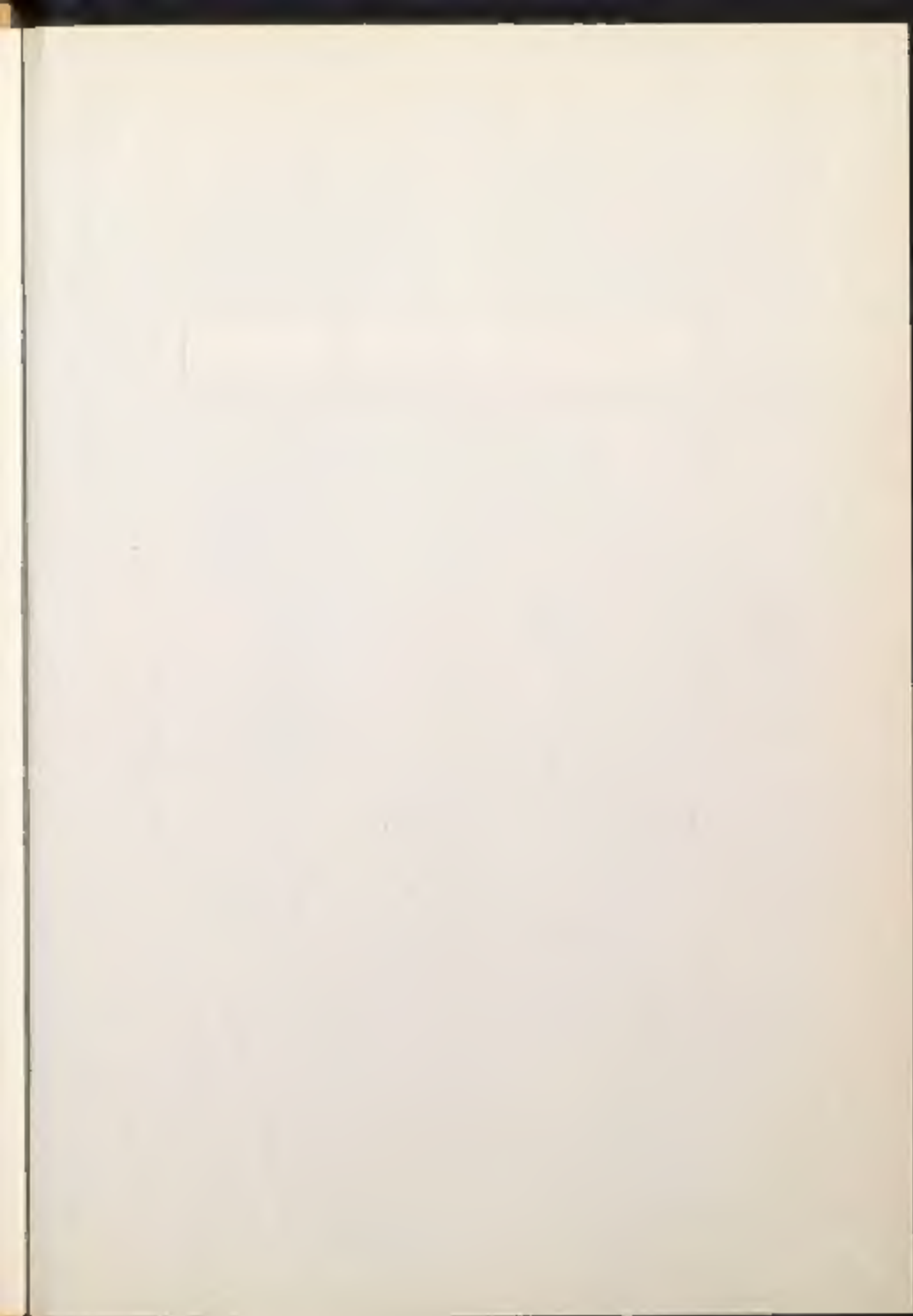
Book

CC 15

\*PB-35271-00  
5-08T  
CC

B







Elmer Holmes  
Bobst Library  
New York  
University

NYU - BOXET



31142 01241 2287

PJ7750.12716 R5 1951

Risalat al

PJ  
7750  
.12716  
.R5  
1951